دكتور
عبد الغفار حامد هلال
أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

أصوات اللغة العربية

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثالثـة

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حمدًا لله الذى جعل اختلاف الألسنة بين بنى الإنسان إحدى آياته ، ودلائل قدرته ، وخص العرب بمزيد من الفضل حين أنزل كتابه - القرآن الكريم - بلسانهم فسما به فوق عديد من الألسن البشرية ·

وصلاة وسلاما على من ألهمه ربه سر البيان فخاطب العرب قاطبة بمالهم من لهجات ومنطق ، فكان ذلك إحدى معجزات بيانه ، ودلائل رسالته الخالدة ·

اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى بسنته إلى يوم الدين ·

وبعد :

فللعربية تفرد فى مجال الأصوات يشهد به أهلها ، والأجانب عنها ، وقد أفصح علماؤها الأوائل عن كثير من جوانب هذا التفرد ، وألوانه ، وخاصة فى مجال ذوق الحروف المفردة ، وتركيب الكلمات والعبارات منها ·

والمبادىء التى وضعها الصوتيون العرب لا تزال مناط إعجاب كثير من المهتمين بالدراسات الصوتية فى العالم ·

وقد حظيت دراسة الأصوات - فى العصر الحديث - باهتمام بالغ ، ولا سيما فى الجامعات ودور البحوث اللغوية المتخصصة ·

وللأزهر دوره الذى كان - وسيظل - بارزا فى هذا الميدان كما هو بارز فى غيره من دراسات الجوانب اللغوية الأخرى ·

وهذا الكتاب - الذى بين يديك - يتناول الأصوات العربية من جانبين يطلق عليهما لدى الأوربيين اسما (الفوناتيك) و(الفونولوجى) ·

وقد بدأته بمدخل عرضت فيه للتعريف بالصوت ودراسته ومزاياها وأثر علمائنا فى الدراسة الصوتية ·

ونظرا لما كشفه علم الأصوات الحديثة من صلة بين الصوت الطبيعى والصوت اللغوى آثرت أن أربط بينهما فى باب خاص ليكون ذلك أساسا لبحث أصوات العربية بحثا علميا وتجريبيا ·

ثم عقبت ذلك بباب آخر حللت فيه مخارج الأصوات العربية وصفاتها ، وأوضحت ملامحها وأسرارها ·

وفى باب ثالث تحدثت عن الأبنية اللغوية فأوضحت المنهج الصوتى للبناء اللغوى وفلسفته كما عرضت بالبحث والتحليل المقاطع الصوتية وأثر تجاور الأصوات ·

وفى باب رابع ذكرت نبذة فى علم التجويد لما له من أثر فى الدراسة الصوتية والأدائية ·

وقد ناقشت القديم والحديث فى هذه الميادين المتعددة حتى أصل إلى نتائج علمية سديدة أتركها للباحث ليحكم عليها بالنظرة المنصفة الموضوعية ·

وأملى أن يكون هذا البحث الصوتى المتخصص عملا جديا يفيد أرباب العربية ، ومتعلميها ، والمهتمين بها ·

والله أسأل عونه وحسن توفيقه ،

القاهرة فى ٨ من ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ٣٠ من نوفمبر ١٩٨٧ م

د / عبد الغفار حامد هلال

مدخـــــل :

* الصـــوت .
* تاريخ الدراسة الصوتية عند العرب .
* قيمة الدراسة الصوتية ومزاياها .

الصـــــوت

يعد الصوت ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة وعنصرا فعالا من عناصرها ، فلو تأملنا اللغة لوجدناها ذات عناصر ثلاثة :

١ - **العنصر الأول** : الأصوات المفردة فهى اللبنات الأولى والأساسية للغة ·

٢ - **العنصر الثانى** : الكلمة أو الكلمات: وتتألف من الأصوات المفردة ، فكل كلمة مؤلفة من مجموعة من الأصوات ·

٣ - **العنصر الثالث** : الجمل أو التراكيب : وتتألف من الكلمات مجتمعة فهى عبارة عن مجموعة من الكلمات منظمة بطريقة خاصة ، وتخضع لنظم وقوانين ارتضتها الجماعة الناطقة بها ·

ولا ريب أن عنصر الأصوات هو أهم هذه العناصر لأن اللغة بكل عناصرها لا تقوم إلا به ، وهى بدونه جثة هامدة ، فاللغة المكتوبة لا قيمة لها إذا لم تكن معروفة الأصوات ، وطرائق النطق ، وقد ماتت لغات كثيرة عندما جهلت طريقة نطق الأصوات فيها ·

وإن اللغة التى يتخذها علم اللغة موضوعا له هى اللغة التى تقوم على ربط مضمونات الفكر الإنسانى بأصوات ينتجها جهاز النطق ·إنها اللغة التى تقوم على إصدار واستقبال أصوات تحدثها عملية الكلام ، فالأصل فى اللغة أن تكون كلاما [١] ·

وقد أصبحت دراسة الأصوات علما مستقلا له أهميته وخطره بين العلوم اللغوية وهو يقوم على دراسة الأصوات المفردة ومعرفة مخارجها من الحلق واللسان والشفة - وصفاتها - من جهر وهمس وشدة ورخاوة وغيرها مما

---

(١) د · محمود السعران : علم اللغة ص ٥٨ ·

سنفصله - ويعرف هذا الاتجـــاه - عند الأوربيين - باسـم (الفوناتيك) phonatics ويعرف عند المحدثين بالدراسة الوصفية [١] .

كما يقوم على دراسة مواقع الأصوات فى الكلمات فى حد ذاتها[٢] وعرف هذا الاتجاه باسم (الفونولوجيا) phonology أو الدراسة التنظيمية أو علم وظائف الأصوات وهو يدرس الأصوات من حيث وظائفها فى الاستعمال اللغوى[٣] .

● **تاريخ الدراسة الصوتية عند العرب :**

اهتم العرب - منذ ظهور الدين الإسلامى - بالحفاظ على القرآن الكريم ولغته - خوف التحريف والتغيير - حتى لا تنبهم معانيه على أهله فوصفوا مخارج الحروف وصفا دقيقا أثار دهشة المستشرقين ، وإعجابهم[٤] وتحدثوا عن صفات الحروف وأصواتها بما يدل على إرهاف الحس العربى وشفافيته ، وقد أطلقوا على هذه الدراسة (تجويد القرآن الكريم) [٥] .

فكان ذلك الاهتمام أولا فى ظلال علم التجويد الذى حافظ على الأصوات فى القرآن الكريم ، ثم نشأ عنه اهتمام علماء اللغة بالأصوات فألفت فيها الكتب فالخليل بن أحمد قد وضع كتابا فى النغم والأصوات كما ضمن كتابه (العين) بعض آرائه الصوتية والأخفش الأوسـط ألف كتابا فى الأصوات ، ولابن السكيت كتاب فى الأصوات ، ولشيخ اللغويين سيبويه دراسة فى الأصوات أفرد لها جزءا من كتابه تحدث فيـه عن سماتها ومخارجها ، وائتلافها ، ثم كانت الدراسات الواسعة التى أصلها ، وتفرغ لها أبو على الفارسي فى كتبه ولا سيما البغداديات والشيرازيات ، والبصريات ، والحجة فى القراءات السبع ، وكذلك تلميذه العبقرى ابن جنى الذى خص الأصوات بكتاب سماه (سر صناعة الإعراب) وأودع كتابه (الخصائص) كثيرا من الأمور التى تتصل بالدراسة الصوتية ، ثم توالت المؤلفات فى ذلك .

(١، ٢) انظر د . إبراهيم نجا : التجويد والأصوات ص ٤ .

(٣) جان كانتنيو : دروس فى علم أصوات العربية ص ١٧ .

(٤) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٦ .

(٥) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٧ .

ويرجع الفضل فى الدراسات الصوتية إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى الذى وضع أسس هذا العلم ، وتابعه على ذلك تلميذه سيبويه فقد تحدث الخليل عن الجهاز الصوتى من الحلق والفم إلى الشفتين وبين مواطن إخراج الحروف منه من حلقية ، وشجرية ، ونطعية ، وذلقية ، وشفوية ، وبين مخرج كل حرف على وجه التحديد الدقيق [١] .

وقد رسم الخليل الطريقة التى يمكن بها معرفة مخرج الصوت الحقيقى ، وكان فى ذلك موفقا كل التوفيق إلى حد أن علم الأصوات الحديث يعترف بكثير من آرائه ومقاييسه الصحيحة .

وقد تابعه فى ترسم هذا الطريق تلميذه سيبويه فى الكتـــاب فتناول الجهاز الصوتى ، وبين مخارج الأصوات فى كل موطن منه ، كالحلق ، وأقصى اللسان ، ووسطه وطرفه ، كما تناول الحديث عن صفات الحروف من جهر وهمس ، وشدة ورخاوة إلى غير ذلك[٢] مما سنوضحه عند حديثنا عن مخارج الحروف وصفاتها ومما قال به الخليل إن الحركات أبعاض حروف المد ، وهو ما يقره علماء الأصوات المحدثون .

وأيا ما كان الأمر فإن التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم به تصنيف سيبويه للأصوات العربية حسب المخارج[٣] وذلك لأن سيبويه كان دقيقا فى تحليله وتفصيلاته ، وعلى كل حال فإن الفضل يعود إلى صاحبه الذى ابتدأ الطريق الشاق .

ولقد ظلت أفكار الخليل وتعليلاته ، وابتكاراته ، نبراسا ، وهديا لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض ، والعلوم اللسانية بصفة عامة[٤] .

أما ابن جنى فبدلا من أن يتناول الموضوع تناولا عابرا - كغيره من سابقيه - أفرغ جهدا كبيرا يضفى على البحوث الصوتية لونا من القوة وبين أنها

---

(١) الخليل بن أحمد : العين ١/٥٧ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٣) د . السعران : علم اللغة ص ٩٩ .

(٤) من كلام الدكتور عبد الله درويش محقق (العين) فى المقدمة ص ٥ .

دراسة لغوية مهمة ، يجب على عالم اللغة أن يضعها فى الاعتبار ، ولذلك أفرد لها كتابا خاصا هو (سر صناعة الإعراب) - المشار إليه - ومعظم الآراء التى ساقها ابن جنى فى كتابه هذا نالت إعجاب المستشرقين ، وعلماء اللغة الأوربيين ·

ففى ثنايا بحوثه نحس بمبلغ القوة العلمية ، والدقة الفائقة حتى ليثير إعجابنا وصفه للجهاز الصوتى وصف الفيلسوف الحكيم ، والعالم التجريبى الذى كشف عن الأسرار الصوتية ، وأنها تحتاج إلى دراسة آلية ، كما يقول علماء اللغة المحدثون فقد شبه الحلق بالناى (المزمار) وشبه مدارج الحروف ومخارجها بفتحاته التى توضع عليها الأصابع ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناى المنسوقة ، وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات ، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت فى الحلق ، والفم ، باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة[١] ·

ويربط ابن جنى بين علم الأصوات وعلم الموسيقى ، ويقول : إن علم الأصوات والحروف له تعلق ، ومشاركة ، للموسيقى ، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم[٢] ·

ونظرة ابن جنى هذه نظرة علمية صائبة تشير إلى حاجة الدراسة الصوتية إلى الجانب العملى التطبيقى المعتمد على الآلات ، كما نرى ذلك متبعا فى العصر الحديث الذى أجريت فيه التجارب المعتمدة على الآلات ، والأجهزة المعملية الدقيقة ·

وكتاب ابن جنى السابق عنوان واضح على تفوقه فى دراسة الأصوات فقد تكلم عن الصوت كمادة علمية ، لها مفهومها المحدد ، وتناول الأصوات العربية من معظم جهاتها ، وائتلاف الحـروف بعضها مع بعض لتكون الكلمات ، والتعبيرات اللغوية ·

ويمكن تلخيص مادة الكتاب فى النقاط التالية :

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٩ ·

(٢) نفسه ص ١٠ ·

١ - حديثه عن الصوت والحرف والفرق بينهما واشتقاق كل منهما .

٢ - عدد الحروف الهجائية العربية ، وترتيبها وذوقها .

٣ - وصف مخارج الحروف - وهى الأصوات - وصفا تشريحيا دقيقا .

٤ - بيان الصفات العامة للحروف ، وتقسيمها إلى أقسام مختلفة .

٥ - ما يعرض للصوت فى بنية الكلمة من تغير يؤدى إلى الإعلال ، أو الإبدال أو الإدغام ، أو النقل أو الحذف .

٦ - نظرية الفصاحة فى اللفظ المفرد ، وأنها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج[١] .

ويعتبر حديث ابن جنى عن الأصوات أعظم حديث عربى صوتى وقد أفاد منه المحدثون من الغربيين أيما إفادة ، بل إن ابن جنى قال منذ ألف سنة ما لم يتوصل إليه علماء الأصوات إلا فى عصرنا هذا[٢] .

وقد درس العرب الأصوات كذلك فى أثناء بحوثهم فى الصرف ، والمعاجم ، فهم يعللون لبعض الصيغ بما يدخل فى نطاق الأصوات كإبدال تاء الافتعال طاء أو دالا كما فى اضطرب ، وادعى ، وادكر ... الخ ومثل هذا كثير .

وفى المعاجم كثير من ذلك أيضا ، بالإضافة إلى أن كل معجم قد تناول جانبا من الدراسات الصوتية العربية[٣] .

---

(١) من مقدمة محققى سر الصناعة . الأستاذ مصطفى السقا وآخرين ١/ ١٤ والكتاب يحتوى على مباحث أخرى كحديثه عن الحروف الزائدة وغير الزائدة والجارة وغير الجارة ، وبيان معانى الحروف وغير ذلك مما هو بعيد عن الدراسة الصوتية .

(٢) من مقدمة الأستاذ عز الدين التنوخى لكتاب (الإبدال) لأبى الطيب اللغوى ص ١٧ ومقال للأستاذ عبد الله أمين فى مجلة (المقتطف) ج ٣ فى ٢٨ من رمضان سنة ١٣٦٦ هـ ١٥ من أغسطس سنة ١٩٤٧ م ص ١٥٨ .

(٣) فقد نقلت المعاجم كلام اللغويين فيما يتعلق بالإعلال والإبدال والادغام والحذف والزيادة وغير ذلك مما يتعلق بالأصوات فى كل مناسبة تصريفية أو صوتية .

وفى علم البلاغة بحوث تتعلق بالأصوات ، كحديثهم عن فصاحة الكلمة ، وشرطهم خلوها من تنافر الحروف ونحو ذلك . والتنافر هو ما يعرف فى علم الأصوات بالدراسة التنظيمية وهى طريقة تأليف الحروف مع بعضها [1] .

وتعد الدراسة الصوتية العربية من أسبق الدراسات الصوتية فى العالم ، ولم يشارك العرب فى هذا السبق سوى الهنــود ، وقد اعترف بذلك المستشرق (برجستراسر) يقول : « ولم يسبق الغربيين فى هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند (يعنى البراهمة) والعرب »[2] .

---

(1) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٧ .

ومن عرض لذلك المنحى على بن عيسى الرمانى فى كتابه (النكت فى إعجاز القرآن الكريم) فقد ذكر فيه أقسام البلاغة العشرة المعروفة فى عصره ومنها التلاؤم والإيجاز .

ومن ذلك ما قاله فى الموازنة بين قول الله تعــالى: ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ وقول العرب (القتل أنفى للقتل) قال : وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس ، وموجــود فى اللفظ بأن الخروج من الفــاء إلى اللام (فى القصاص) أعدل من الخــروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام (القتل أنفى) وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء (القصاص حياة) أعــدل من الخــروج من الألف إلى اللام (أنفى للقتل) .

وقد ذكر حديثا مفصلا عن التلاؤم وقسم التأليف إلى متنافر ومتلائم فى الطبقة الوسطى ، ومتلائم فى الطبقة العليــا ، وذكر أن السبب فى التلاؤم تعديل الحــروف فى التأليف فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما .

وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه وكلاهما صعب على اللسان والسهولة من ذلك فى الاعتدال ، ولذلك وقع فى الكلام الادغام والإبدال . انظر: الرمانى: النكت ٧٢ ، ٨٧ - ٩٢ وانظر ابن سنان الخفاجى : سر الفصاحة ١٠٩ - ١١٤ فقد نقل كلامه فى ذلك ورد عليه أكثره .

(2) برجستراسر : التطور النحوى ص ٥ .

وقد درس اليونان والرومان الأصوات أيضا ، إلا أن دراستهم تقوم فى جملتها على ملاحظة الآثار السمعية التى تتركها الأصوات فى الأذن ، وهى - بهذا - تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذين أدركوا الأسس (الفسيولوجية) فى تكوين الأصوات[1] ولم يفطن اليونان إلى تقسيم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين وهما الأصوات المهموسة ، والأصوات المجهورة ، كما فطن إلى ذلك الهنود والعرب تبعا للأوتار الصوتية ·

فالعرب من السابقين فى هذا الميدان ، لأنهم ساروا بلغتهم على نمط خاص من ابتكار العلماء العرب ، وباستقلال عن الهند ·

وقد استفاد الغربيون من دراسات العرب الصوتية ، وأصلوا عليها علوما كثيرة وفروعا للدراسات الصوتية ، مكنهم منها تطور العصر وظهور الآلات الدقيقة ، والدرس المعملى الصوتى ، الذى أمكن عن طريقه تحديد الأصوات وطرق استخدامها بدقة على حين كان العالم العربى يعتمد على ذوقه المرهف ·

وبالمقارنة بين ما استحدثه الغربيون فى (علم الأصوات اللغوية) وما وصل إليه أسلافنا نلاحظ دقة الدراسة الصوتية ، وصحتها فى كثير من وجوهها ·

● **قيمة الدراسة الصوتية ومزاياها :**

ينبغى أن نشير إلى أن الدراسة الصوتية ذات قيمة حيوية كبيرة تخدم اللغة والمجتمع على سواء ، ونحن نشير إلى أهم الجوانب التى تبرز فيها تلك القيمة فى اللغة - بمجالاتها المتعددة - والمجتمع - بمتطلباته وأهدافه ·

أولا - فى مجال اللغة والبحث فيها :

١ ـ للدراسة الصوتية أثر كبير يمكن استخدامه فى وضع أبجديات دقيقة للغات التى ليس لها كتابات حتى الآن - وهى مئات - فالصوت يجعل من الممكن إعطاء رموز مفصلة لكل كلمة - فى اللغة كما هو الحال فى الصينية وإن كان من الملاحظ أن ذلك يؤدى إلى إيجاد عدد ضخم من الرموز لا يسهل تعلمه[2] كما أن « اللغة بمرور الزمن يصيبها التغير والتطور على حين تبقى

---

(١) د · السعران : علم اللغة ص ٩٢ ·

(٢) د · أحمد مختار : الصوت اللغوى ٣٥١ ·

الأبجـدية على صـورتها الأولى دون تغيير عادة ومن ثم يظهر فيهـا نوع من القصور[١] .

وقد ذكر الدكتور كمال بشر نوعين لهذا القصور :

أحدهما : يتمثل فى عدم قدرة الأبجدية على تمثيل النطق تمثيلا صادقا بسبب التطور الذى يلحق أصوات اللغة على مر الزمن وله أمثلة فى لغات كثيرة :

ومن أمثلته فى الانجليزية الصوت القصى الانفجارى المهموس (k) حيث تصوره الأبجدية الإملائية مرة بحرف (k) ومرة ثانية بالرمز (c) وثالثة بالرمز (q) ورابعة بالرمز(ch) وأمثلة هذه الحالات بالترتيب Character, queen , cat, kill .

ومن أمثلته فى العربية كتابة الفتحة الطويلة برمز الياء فى مثل (رمى) فطبيعة الصوت توجب كتابته بالألف أى (رما مثل : غزا) ومثل ذلك الأصوات التى تنطق ولا تكتب مثل ألف هذا وهذه .

ثانيهما : وجود رموز أبجدية فى اللغات دون مقابل صوتى لها فى الكلام المنطوق .

ومن أمثلة ذلك فى الانجليزية الرمز (L) فى الكلمة talk فلا يوجد مقابل صوتى لها .

وفى العربية لا يوجد مقابل صوتى للألف التى تكتب بعد واو الجماعة فى مثل قضوا ورموا وكذلك الواو فى مثل عمرو [٢] .

وعلى هذا فعن طريق الدراسة الصوتية يمكن إصلاح الأبجديات التقليدية لتكون أدق تمثيلا للنطق [٣] .

٢ - دراسة الأصوات مهمة جدا لصرف اللغة ونحوها ، فالأبواب الشكلية أصواتية تنغيمية ، وإن كانت هناك أبواب عامة نحوية فى طبيعتها ،

---

(١) د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ص ٢٣٥ .

(٢) د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، بتصرف .

(٣) د . السعران : علم اللغة ص ١٣٥ .

كالجملة المؤكدة ، وغير المؤكدة ، والطلب والتقدير ، والتمنى ، والاستفهام وما إلى ذلك .

ولا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتى «فليس هناك علم للدلالة بلا صرف، ولا علم للصرف بلا أصوات» (١) فدراسة الأصوات هى المقدمة الأولى لدراسة تركيب الكلمات morphology أو دراسة الصرف بمعناه الخاص(٢) .

وموقعية النبر فى الفعل الماضى فى العربية تؤكد أهمية اعتماد الصرف على الأصوات فالفعل الماضى الثلاثى المجرد ينبر مقطعه الأول دائما فإذا اتصلت به لاحقة صرفية تغير موقع النبر فيه تقول : ضرب - بنبر المقطع الأول - فإذا قلت : (ضربت) نبر المقطع الثانى .

والنبر يميز بين المعانى والصيغ فى الانجليزية(٣) .

وربط الصرف بالأصوات واضح من دراسات علمائنا الأقدمين . فقد حاولوا بيان التغيرات التى تطرأ على أبنية الكلمة العربية وهى - فى معظمها - تعتمد على الأصوات .

أما علاقة النحو بالأصوات فهى وإن اتضحت فى بعض الجوانب (٤) فى دراسات الأقدمين فلم تتضح فى معظمها إذ لم يعتبر النحاة العرب دراسة أصوات اللغة قسما من أقسام النحو الكبرى كما يفعل الغربيون(٥) فالنحو - فى نظرهم - ناقص بدون دراسة الأنماط التنغيمية(٦) .

٣ - للدراسة الصوتية صلة قوية بالدراسة المعجمية فلابد للمعاجم من الاستعانة بالأصوات ولذا فإن مقدمات معظم المعاجم العربية تحوى معلومات عن أصوات اللغة العربية (٧) مما يدل على حاجة هذه الدراسة إلى الأصوات .

---

(١) د . تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ص ٢٥٢ ، ٢٥٨ .

(٢) د . عبد الرحمن أيوب : أصوات اللغة ص ٢٥ .

(٣) د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٤) انظر المصدر السابق ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٥) كانتنيو : دروس فى علم أصوات العربية ص ١٧ .

(٦) د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ص ٢٣٩ .

(٧) د . السعران : علم اللغة ص ١٠٠ .

٤ - لها صلة بالمعانى التى تدل عليها الحروف والكلمات ، فتحديد المعنى - أحيانا - يتوقف على الطريقة الصوتية كالنبر والتلوين الموسيقى ، وقد حاول ابن جنى الربط بين الأحداث وأصوات الحروف فيما سماه بامساس الألفاظ أشباه المعانى وترتيب الأصوات وفق الأحداث المعبر بها عنها .

٥ - الدراسة الصوتية مهمة للباحث اللغوى - بصفة عامة - « إذ لا يمكن الأخذ فى دراسة لغة ما أو لهجة ما دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها وأنظمتها الصوتية » [١] ولذلك « يجب على دارس الأصوات اللغوية أو عالم اللغة بوجه عام أن تتوفر له القدرة على وصف جميع الأصوات الكلامية الخاصة بأى لغة من اللغات » [٢] .

والكلام نمط سلوكى مترابط ولذا فدراسة الصوت الإنسانى يمكن على أساسها تحليل عناصر الكلام واتخاذ مناهج محددة للدراسة ، فمنهج للأصوات وآخر للتشكيل الصوتى ، وللصرف ، والنحو ، وهكذا [٣] .

ثانيا - فى مجال التطبيق الاجتماعى :

نحن نعرف أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، فهى وسيلة المجتمع للتعبير عن أغراضه وشئونه ، فالمجتمع حريص على بقائها وإتقانها وحياة اللغة تقوم على حياة أصواتها وإجادة نطقها ، ولذا فنحن نرى أن معرفة الأصوات مهمة لطوائف المجتمع بأسره .

هى مهمة لمدرس اللغة : إذ يجب أن ينطق أصواتها ، كى يستطيع نقلها إلى الأجيال التى يعلمها فى المدارس نقلا سليما ، ونحن نعلم أن التلاميذ لن يتخصصوا جميعا فى دراسة اللغة فمنهم سيكون المهندس والطبيب والعامل والاقتصادى والفيلسوف وغيرهم من أرباب المهن التى يحتاجها المجتمع ، ولا ريب أن طوائف المجتمع هذه ينبغى لها أن تتمتع بقدر غير قليل من معرفة أصوات اللغة لتبقى اللغة سليمة على لسان المجتمع وذلك العبء يقع على كاهل المدرس الذى ينبغى إعداده إعدادا كافيا لهذه المهمة المنوطة به .

(١) نفسه ص ١٣٣ .

(٢) نفسه ص ١٥٤ .

(٣) د . تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ٢٥٤ .

هى مهمة لوسائل الإعلام : إذ يجب على المشتغلين بالصحافة وأجهزة الإعلام المسموعة والمرئية أن يكونوا على دراية واسعة بطريقة نطق الأصوات اللغوية ، فهم ذوو تأثير واسع على المستوى الثقافى والشعبى ، لأنهم ينقلون إلى الجماهير الغفيرة ما يهمهم من شئون لغتهم التى يتحدثون بها ، والجماهير تتلقف الأصوات منهم ثم تقلدها، ولو أحسن هؤلاء النطق لأثر ذلك فى جودة اللغة على لسان الشعب .

وهى مهمة كذلك للمشتغلين بالغناء والتمثيل فلا ننسى الأثر الكبير الذى ينعكس على الشعب فى تلقى الأصوات وطرائق النطق من أفواه هؤلاء ، ونحن نلاحظ تحريف بعض الأصوات العربية على لسانهم فالقاف - تنطق - على لسانهم - قريبة من الكاف والظاء قريبة من الزاى ، ويظن أبناء الشعب أن نطقهما - بهذه الصورة - تحضر فى الأساليب العربية [1] .

وعن طريقة دراسة علم الأصوات يمكن التمثيل والإيقاع حسب الحزن أو الفرح أو غيرهما من مقتضيات الكلام [2] .

هى مهمة لمهندسى الصوت : فهم فى أشد الحاجة إليه لأن أجهزة الصوت الحديثة كالتليفونات وأجهزة التسجيل الصوتى المختلفة تحتاج إلى إحاطة القائم على شئونها - من مخترع أو مستعمل - بتفاصيل نطق كل صوت . وتحديد عدد ذبذباته وأجهزة الراديو والسينما الناطقة وأجهزة المساعدة على إسماع الصم وغيرها كل ذلك يحتاج إلى دراسة الأصوات .

وكثير ما ينشأ خلل صوتى - عند استعمال هذه الأجهزة - أساسه عدم اعتماد المهندس على أسس الأصوات أو عدم إجادته لها .

هى مهمة لتعليم الصم و البكم : سواء كانوا ثقيلى السمع أو ولد أحدهم أصم أو أصيب فى وقت متأخر ، فيمكن - بالاعتماد على الدراسة الصوتية - تعليمهم طرائق خاصة بنطق الأصوات حتى يفهموا تعبيرات المتكلمين .

---

(١) نبه الدكتور بشر على إهمال بعض وسائل الإعلام للدراسة الصوتية وبعضها أدرك ذلك أخيرا كالإذاعة وكذلك معهد الفنون المسرحية الذى قام هو أول مرة بالتدريس فيه . علم اللغة العام : الأصوات ص ٣٢١ .

(٢) د . السعران : علم اللغة ص ١٣٦ .

ومن ذلك تدريبهم على الإدراك بقراءة الشفتين أو قراءة الكلام ·

وقد طور جهاز النطق الطبيعى ليساعد على تمثيل المريض للنماذج التى يقدمها المدرس ·

ومن عندهم صمم جزئى قد يسمعون ترددات معينة دون غيرها فيمكن ملاحظة ذلك فى تعليمهم ·

ومن ذلك التجارب والأبحاث التى أجريت لتحديد معايير للسمع وتعيين درجات للصم ، وأنواع الاستخدام للأذن السليمة والمريضة عند ترددات مختلفة فى العملية الكلامية مما ساعد على تطوير الوسائل المعينة على السمع لتكون أصلح [١] ·

هى مهمة لعلاج عيوب النطق : حتى يصل الإنسان إلى النطق السليم فعلم تصحيح النطق phoniatrics يعطى اهتماما لكل عيوب النطق سواء كانت خصائص نطقية ، أو أمراضا فى النظام العصبى المركزى أو نقصا فى السمع ، ولكن تناول الظواهر الصوتية المرضية يفترض معرفة مسبقة بعلم الأصوات اللغوى [٢] ·

ومن ذلك تدريب من يخطئون فى نطق بعض الأصوات العربية كالراء وتدريب الأجنبى الذى يتعلم العربية على نطق أصواتها بدقة ·

ومن ذلك إصلاح عيوب جهاز النطق كالخلل فى سقف الحنك أو الحنجرة وغير ذلك ·

هى مهمة لتعليم اللغة للأجانب : فلابد من تعلم كل النظام النطقى للغة المتعلمة بما فى ذلك من تنغيم وظواهر موسيقية فإذا كانت لغة المتعلم الأصلية تملك نظاما من خمس علل والأجنبية نظاما من سبع علل مثلا فمع صعوبة تعليم فونيمى العلة الزائدتين توجد صعوبة الاضطراب والخلط ، وعدم التمييز بين الفونيمات ، وبدون معرفة علم الأصوات قد لا تجدى الإقامة بين أبناء اللغة فى اكتساب النطق السليم كما أثبتت التجارب ذلك [٣] ·

---

(١) د · مختار : الصوت اللغوى ٣٥٢ - ٣٥٤ بتصرف ·

(٢) نفسه ٣٤٨ ، ٣٤٩ ·

(٣) نفسه ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ·

ويضرب الدكتور بشر أمثلة للخلط بين أصوات اللغة الأصلية واللغة المتعلمة بسبب التأثر بالعادات النطقية الأصلية .

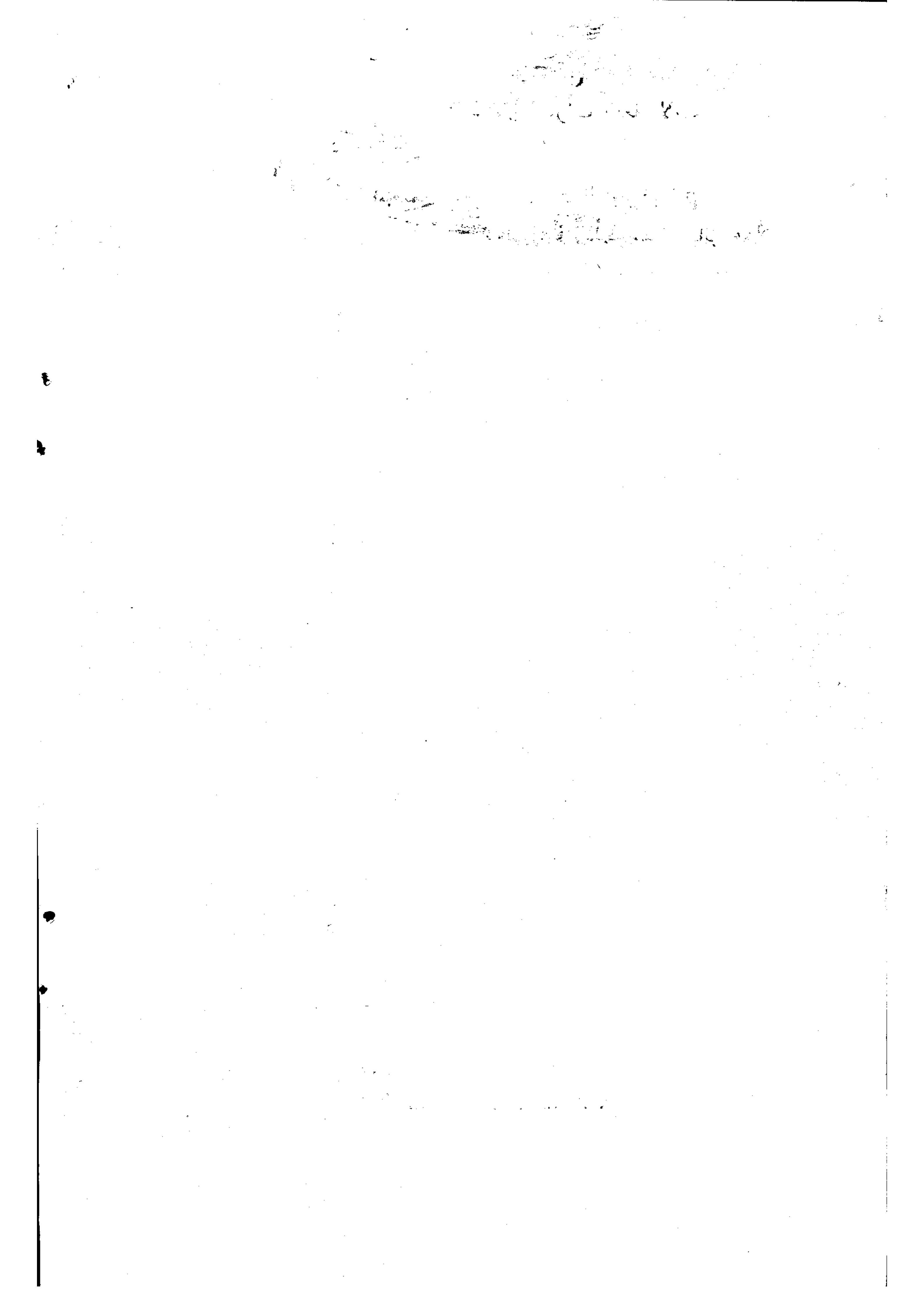
ومن ذلك نطق بعض المتعلمين العرب للصوت الانجليزى (p) لو كان مجهورا ونطق الصوت (v) كما لو كان مهموسا وذلك بسبب تأثر هؤلاء المتعلمين بنطق نظيريهما فى اللغة العربية وهما الباء (b) وهو صوت مهموس والفاء (f) وهو صوت مهموس [1] .

وتعليم الأجانب للغتنا العربية بعد أن أصبحت واسعة الانتشار فى العالم تقتضى قيام نظام دراسى واع لأصواتها حتى يتقنها المتعلمون [2] .

* * *

(١) د . بشر : علم اللغة العام : الأصوات ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) نفسه ص ٢٣١ - ٢٣٣ .



الباب الأول

الصوت الطبيعى والصوت اللغوى
وخصائص كل منهما

نظرا لأن دراسة الصـوت الإنسانى وبيان العوامل المختـلفة فيه تحتاج إلى معرفة جهاز النطق ، وكيفية انتقال الصوت منه إلى السامع عن طريق الهواء ، وما يؤثر فيه من عوامل البيئة ، والثقافات المختلفة لذلك كان علينا أن نعرض لبيان معنى الصوت الطبيعى والمؤثرات فيه ، ثم نبين الصوت الإنسانى وخصائصه وما يحتاج إليه ·

فالصوت نوعان : عام ، وخاص ·

فالصوت العام : هو الصوت الطبيعى ·

والصوت الخاص : فى اصطلاحنا - هو الصوت اللغوى ·

● الصوت الطبيعى :

يعرف الصوت فى علم الطبيعة (الفيزياء) بأنه :

الأثر السمعى الذى ينشأ من اتصال جسم بآخر [1] أو هو الحدث الذى يختص السمع بإدراكه وينشأ من التقاء جرمين أحدهما بالآخر ·

والمراد بالأثر السمعى أو الحدث الذى يختص السمع بإدراكه :

تلك الظاهرة الطبيعية التى هى عبارة عن الذبذبات أو الاهتزازات الصادرة من الجسمين الملتقيين،وتنتقل خلال الوسط الناقل للصوت - كالهواء - فى شكل موجات متتابعة حتى تصل إلى آذان السامعين ·

فإذا انعدم هذا الاهتزاز أو تلك الذبذبات انعدم السمع أو فنى الصوت ·

ويمكن إدراك ذلك بطرق شوكة رنانة فإنك تلاحظ اهتزازها ، ويتبع ذلك الأثر السمعى ، وإذا سكنت اختفى الصوت ·

ويمكن معرفة اهتزازها بتقريب كرة من نخاع البيلسان منها ، فيلاحظ أن

---

(١) انظر : أحمد موسى وآخرين · دروس فى الطبيعة قسم الصوت ص ٥ وانظر د · نجا : التجويد والأصوات ص ٥ ود · أنيس : الأصوات اللغوية ص ٧ ·

الكرة - حال طرق الشوكة - تبتعد عن فرعيها وعند انتهاء الهزات تسكن بجوارها .

وكذلك طرق وترين مثبتين فإنه يحدث هزات يمكن إدراكها بالعين المجردة أو بتقريب كرة من نخاع البيلسان كما سبق .

وعدم وضوح الذبذبة للعين المجردة ينشأ من زيادة سرعة الحركة أو ضيق الاهتزازة .

والأجسام المهتزة كثيرة ، ومتنوعة ، ويحدث من التقائها ألوان متعددة من الاهتزازات التى تلون الصوت الناجم عنها .

فاتصال الأجسام له صور متعددة ينشأ فيها الصوت :

١ - فهو ينشأ بالتقاء جسمين التقاء ما سواء كان على جهة الاصطدام كما نسمع فى الضرب باليد على المكتب أو طرق قطعة من الحديد بمطرقة أو اصطدام سيارة بأخرى .

أو كان الاتصال على جهة الاحتكاك كما نسمع من أثر احتكاك أقدامنا بالأرض وكذلك احتكاك عجلات السيارة بها أو عجلات القطار بالقضبان الحديدية التى تسير فوقها .

٢ - وينشأ الصوت - أيضا - من تفريق الأجسام بعضها عن بعض كتمزيق قطعة من القماش أو الورق أو نشر قطعة من الخشب .

٣ - ينشأ من التفاعلات الكيماوية كتفجير القنابل وطلقات المدافع .

٤ - ينشأ من التأثيرات الكهربائية كالرعد والشرارة الكهربائية .

وقد جعل ابن سينا الصوت ينشأ من حالتين [١] :

إحداهما: قرع جرمين وهو يقابل ما يسمى بالاصطدام فالقرع - عنده - تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم لمزاحمته تقريبا تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها وليس ذلك إلا معنى الطرق الذى ذكرته قواميس اللغة للقرع [٢] .

---

(١) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٣ .

(٢) قرع الشىء يقرعه قرعا : ضربه . اللسان ١٠/ ١٣٥ .

الثانية : قلع جرمين ولعله يقابل بعض الحالات الأخرى كالاحتكاك وتفريق الأجسام بعضها عن بعض فهو عنده تبعيد جرم ما عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر تبعيدا ينقلع عن مماسته انقلاعا عنيفا لسرعة حركة التبعيد » وهذا - كما قال - يتبعه صوت من غير أن يكون هناك قرع ، وذلك أيضا تؤيده المعاجم اللغوية [1] .

ومن ذلك ندرك إحساس علمائنا القدامى بخواص الصوت وعوامل نشأته .

وهذه الأصوات الناجمة عن التقاء الأجسام على تلك الصورة وغيرها ليست على وتيرة واحدة فمنها ما ترتاح الأذن لسماعه ومنها ما لا ترتاح له فهى نوعان :

١ - أصوات موسيقية :

وهى النوع الذى ترتاح له الأذن كصوت عود أو كمان .

٢ - أصوات غير موسيقية أو ضوضاء :

وهى النوع الذى لا ترتاح له الأذن كدوى القنابل والمدافع والرعد .

ونحن نلاحظ - بعد هذا العرض - أن للصوت مصدرا ينشأ عنه يمكن تسميته بجهاز الإرسال ، وله جهاز يستقبله وهو أذن السامع .

وينتقل الصوت من مصدره إلى أذن السامع خلال موصل يحمله بينهما - ويسمى الوسط الناقل للصوت ، وهذا - فى الغالب - هو الهواء ، وقد يمر الصوت خلال سائل أو جسم صلب .

وسنتحدث عنها بالتفصيل :

الأسس التى تقوم عليها دراسة الصوت

للصوت ثلاثة أسس تقوم دراسته عليها وهى كما ذكرنا آنفا :

١ - مصدر الصوت .

---

(١) قلع الشىء حوله من موضعه ويقال ذلك للصخرة العظيمة تنقلع عن الجبل . اللسان ١٠/ ١٦٤ .

٢ - الوسط الناقل للصوت .

٣ - جهاز استقبال الصوت .

فالمصدر هو الجسم الذى يحدث بتذبذبه أثرا مسموعا كالشوكة الرنانة أو الوتر الصوتى .

ويتكون الصوت بحدوث اهتزازات فيه نتيجة الاصطدام أو الاحتكاك أو غيرهما من أنواع اتصال الأجسام بعضها ببعض .

ولو حدثت ذبذبة واحدة من جسم فإنها تؤثر فى ذرات الهواء المجاورة لها وينتقل هذا التأثير من طبقة هوائية إلى الطبقات المجاورة لها ، وهكذا تباعا حتى يصل إلى أذن السامع .

وتعرف هذه المجموعة من الاهتزازات باسم (الموجة الصوتية) .

وإذا كان مصدر الصوت موحد التكوين كجسم من نحاس أو حديد سميت الموجة الناجمة عنه موجة بسيطة لانتظام هزاتها .

أما إذا كان مصدر الصوت مختلف المعادن كجسم مكون من نحاس ورصاص فإن الموجة تسمى مركبة لعدم انتظام الهزات الناشئة عنها .

والذبذبة عبارة عن حركة الجسم فى اتجاه معين حتى يصل إلى مكان معين [١] وهذه الذبذبة لها سعة هى عبارة عن المسافة الواقعة بين النقطة التى كان الجسم ساكنا عندها وأقصى نقطة يصل إليها الجسم بعد اهتزازه فى اتجاه معين .

كما أنها تكون سريعة أو بطيئة .

وتتوقف الذبذبة من حيث السعة والسرعة على عوامل منها :

١ - حجم الجسم ووزنه صغرا وكبرا ، وطولا وقصرا ، وهيئة :

فالأجسام الكبيرة الحجم أو الثقيلة الوزن أو الواسعة الفراغات أبطأ تذبذبا من عكسها .

---

(١) د . نجا : التجويد والأصوات ص ١٩ .

والوتران المشدودان على العود يصدران عددا من الذبذبات يتغير حسب طول الوترين أو قصرهما وسمكهما فى الغلظ والدقة .

فالطول والغلظ يجعلهما أبطأ تذبذبا والعكس وبندول الساعة إذا طال أو قصر كان له هذان الوضعان .

٢ - قوة طرق الجسم :

فكلما كان الطرق شديدا أدى إلى سعة الاهتزازة ، وسرعتها والعكس بالعكس .

وإذا تكررت الذبذبة بانتقال الجسم المهتز من جانب إلى آخر وأعقب ذلك عودته إلى نقطة البدء سمى ذلك دورة كاملة [١] أو اهتزازة أو ذبذبة كاملة [٢] .

وهذه الاهتزازات أو الذبذبات تنتقل خلال الوسط الناقل للصوت - كما ذكرنا - إذ لا ينتقل الصوت فى فراغ بل لابد من وسط مادى ينتقل خلاله [٣] ويكون هذا الوسط غازا كالهواء .

وتأثير الاهتزازات فيه يكون على هيئة ضغط اهتزاز الجسم على طبقة الهواء المجاورة له وعندما تحاول هذه الطبقة أن تعود إلى وضعها الطبيعى فإنها تضغط على طبقة الهواء المجاورة لها ، ويتكرر ما حدث للطبقة الأولى ، وهذا ما يسمى فى عرف علماء الصوت (تضاغطا) فإذا ما حاول الجسم المهتز الرجوع إلى الجهة المضادة أدى ذلك إلى عودة طبقة الهواء المجاورة له إلى حالتها الطبيعية بتباعد جزيئاتها مرة أخرى وهذا يتكرر فى الطبقات المجاورة فتؤدى هذه العملية إلى ما يعرف باسم (التخلخل)ومن(التضاغط) ، و(التخلخل) تتكون الأمواج الصوتية [٤] التى أشرنا إليها .

وقد تكلم ابن سينا عن عملية انضغاط الهواء وتخلخله بانتقال الهزات فيه فذكر [٥] أن طرق الجسم أو احتكاكه بآخر ينشأ عنه تموج سريع عنيف

---

(١) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٩ .

(٢) أحمد موسى وآخرين : دروس فى الطبيعة ص ١٩ .

(٣) نفسه ص ١٢ .

(٤) نفسه ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٥) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٣ .

فى الهواء فمع القرع « ينضغط وينفلت من المسافة التى يسلكها القارع إلى جنبتها بعنف وشدة وسرعة وأما فى القلع فلاضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذى أخلاه المقلوع منها دفعة بعنف وشدة » .

ويعترف علم الطبيعة بأن تلك التضاغطات والتخلخلات تصل إلى الأذن دخولا فى حال التضاغط وخروجا فى حال التخلخل [1] وابن سينا يشير إلى وصول هذا التموج إلى الأذن [2] .

وقد ثبت علميا أن هذه الهزات تسير فى الهواء بسرعة ٣٤٠ مترا فى الثانية الواحدة .

وتتوقف سرعتها على حالة الهواء من حيث السكون والحركة فانتقالها حال حركة الهواء كهبوب الرياح أو العواصف أسرع من انتقالها حال سكونه وركوده .

وقد يكون الوسط غازا أخف من الهواء كثافة كالأيدروجين فينتقل فيه الصوت بصورة أضعف من انتقاله خلال الهواء وقد يكون غازا أثقل من الهواء كثانى أكسيد الكربون فيمر الصوت فيه بصورة أقوى من مروره خـــلال الهواء[3] .

وقد يكون الوسط سائلا كالماء وزيت البترول ويتوقف انتقال الصوت فيه شدة وضعفا على كثافة السائل فكلما زادت الكثافة كالماء اشتد الصوت والعكس صحيح أيضا كانتقاله خلال زيت البترول .

وقد يكون الوسط صلبا كالمعادن والخشب والمطاط وغيرها ولكل منها نظام خاص فى انتقال الصوت خلاله فينتقل خلال بعضها بسهولة كالمعادن والخشب على حين لا ينتقل فى المطاط مثلا إلا مع شدة [4] .

أما جهاز استقبال الصوت : فهو الأذن أو ما يقوم مقامها ، وإلى أذن السامع تصل الهزات أو الذبذبات فتتلقفها ثم ترسلها إلى المخ لدراستها .

---

(١) أحمد موسى وآخرين : دروس فى الطبيعة ص ٣٠ .

(٢) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٣ .

(٣) أحمد موسى : دروس فى الطبيعة ص ٣٠ .

(٤) نفسه : ص ١٤ ، ١٥ .

● الصوت اللغوى [1] :

هو الصوت الصادر من جهاز النطق الإنسانى وقد حاول الإنسان - منذ القدم - أن يعرف ما حوله فى هذا الكون الفسيح ، واتخذ لذلك عدة وسائل كان أهمها الكلام الذى قوامه الأصوات ·

وقد اعتاد الإنسان - بما وهبه الله من عقلية مميزة ، وذكاء فطرة - أن يصدر أصواتا للتعبير عما يدور فى نفسه ، وما تمليه عليه رغباته الشخصية والجماعية وما يحيط به من أجواء ·

وربما كانت تلك الأصوات التى أصدرها الإنسان فى بدء وجوده التاريخى تقليدا للأصوات الطبيعية من حوله كخرير الماء ، ونزيب الظبى إلى غير ذلك على ما هو معروف فى نشأة اللغة الإنسانية الأولى · (ولكن تقليده للأصوات الطبيعية حوله مرحلة متأخرة جاءت بعد أن حاول هو النطق أولا ، وكان

---

(١) يفرق الدكتور تمام حسان بين ثلاثة اصطلاحات فى منهج الأصوات الفوناتيك هى :

١ - الجرس noise·

٢ - الحس voice من الكلمة العامية (فلان حسه جميل) ·

٣ - الصوت Sound ·

فالجرس : أى أثر سمعى غير ذى ذبذبة مستمرة مطردة كالنقرة على الخشب أو الطبلة ، وكالاصطدام ، وضجيج حركة المرور وما يسمع نتيجة سقوط جسم على آخر وهلم جرا ·

والحس : ما نطقه جهاز صوتى حسى ، وبخاصة الجهاز النطقى الإنسانى فمعناه - إذا - ضيق محدود لا يشتمل فى دلالته على معنى الصوت اللغوى لأن الحركات العضوية التى تدخل فى مفهوم الصوت اللغوى لا تدخل فى دلالة هذا الاصطلاح وأما الصوت بالمعنى العام (الذى يشمل اللغوى وغير اللغوى) فهو الأثر السمعى الذى به ذبذبة مستمرة مطردة حتى ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا ·

فما تسمعه من الآلات الموسيقية النغمية أو الوترية أصوات ، وكذلك الحس الإنسانى صوت ويتوقف فهم الصوت بهذا المعنى العام على اصطلاحات ثلاثة يجب التفريق بينها وهى (درجة الصوت pitch علو الصوت loudness قيمة الصوت quality timbre انظر د · تمام : مناهج البحث فى اللغة ٥٩ - ٦٣ ·

الدافع الأول لهـذا النطق مجرد المصـــادفة لأن قوة السمع نمت عنده قبل النطق(١) .

وقد جاء تقليده للأصوات التى سمعها عفو الخاطر ومازال يدرج فى هذا الطريق إلى أن اكتمل النمو اللغوى عنده) (٢) .

وقد ساعده ذكاؤه على ترجمة الأصوات وتفسيرها ثم تقليدها وأدى كل هذا آخر الأمر إلى تكوين لغته ذات القواعد والأصول (٣) .

والإنسان بهذا الذكاء وبالعقل الذى ميزه الله به وبجهاز النطق الدقيق ، قد تحققت له صفة الكلام بتلك الصورة البديعة التى انفرد بها .

وقد اقتضى هذا من الباحثين أن يهتموا بدراسة الكلام الإنسانى ، والتاريخ حافل بجهود العلماء الذين تناولوا اللغات البشرية بالبحث والدراسة ، سواء فى الأصوات أو المفردات والأساليب .

وينشأ الصوت الإنسانى باصطدام الهواء الخارج من الرئتين بالأوتار الصوتية فى الحنجرة ، ثم يمر خلال الفم أو الأنف ، حتى يصل إلى أذن السامع .

فالصوت الإنسانى لا يخرج عن الصوت الطبيعى من حيث إنه أثر سمعى ينشأ من اتصال جسم بآخر - فى جهاز النطق الذى يمثل مصدر الصوت ثم ينتقل فى الوسط الناقل للصوت - كما هو فى علم الطبيعة - إلى جهاز استقبال الصوت وهو الأذن .

ومن عرضنا لطريقة حدوث الصوت واستقباله نتأكد أن دارس علم الأصوات اللغوية بحاجة ماسة إلى شىء من علم الطبيعة لمعرفة طبيعة الأجسام المصدرة للصوت والأوساط الموصلة له كالهواء كما أنه بحاجة ملحة إلى شىء من علم التشريح، فالأذن المستقبلة للصوت لم نقف على أجزائها إلا من دراسة

---

(١) د . نجا : التجـــويد والأصـــوات ص ٢١ ود . أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢ .

(٢) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٢١ .

(٣) د . أنيس ، الأصوات اللغوية ص ١٣ .

علم التشريح كذلك فإن جهاز النطق الإنسانى - بعامة - يحتاج إلى علم التشريح فى معرفة خواصه وأدائه لوظائفه فالحنجرة - مثلا - لم يكن يعرف القدماء خصائصها الصوتية بوضوح كامل وكذلك القصبة الهوائية فلما كشف علم التشريح أجزاءها وخواصها وقفنا على طبيعة الأصوات الصادرة منها وأسرارها ففى الحنجرة الأوتار الصوتية ذات الرنين الخاص مع بعض الأصوات وهى تسكت مع بعضها وتأخذ وضعا ثالثا مع بعض آخر ولكل ذلك أثره فى إبراز الأصوات اللغوية ·

كذلك القصبة الهوائية كما ثبت من الدراسة التشريحية لها وظيفة لغوية فى تقوية الأصوات وتضخيمها (١) ·

ومن هنا احتاج الباحث فى الأصوات إلى أن يقف - بوجـــه عام - على معرفة أعضاء النطق من حيث طبيعتها وخواصها والأسباب التى تجعلها تؤدى وظائفها بطريقة سليمة والأمور التى تعوقها عن أداء وظائفها بطريقة طبيعية ·

وإلى جانب ذلك هناك أمور أخرى ينبغى لدارس الأصوات أن يحيط بها فعليه أن يعرف شيئا من علوم كثيرة كعلم النفس ، وعلم الاجتماع وعلم الجغرافيا وعلم التاريخ فلذلك - بلا ريب - أثره فى الأصوات الإنسانية ·

فللإنسان مجالات أربعة يتصل بها هى المجال الفيزيقى والمجال العضوى والمجال النفسى ، والمجال الروحى واللغة تضم هذه جميعا على أن تتعاون فيما بينها ·

---

(١) يمكننا بدراسة الطبيعة أن نقف على أسرار بعض الأصوات فلو درسنا على الطريق الطبيعى صوت (ح) وصوت (هـ) وصوت (ف) لوجدنا فروقا بين هذه الأصوات الثلاثة ·

ولكننا لو رجعنا للملاحظة السيكولوجية لوجدنا المصريين - مثلا يعتبرونها أصواتا ثلاثة على حين يعتبرها اليابانيون صوتا واحدا ·

وما يقال عن هذه الأصوات يقال كذلك عن فتحة الضاد فى (ضرب) وفتحة السين فى (سلب) وكلاهما من وجهة النظر العربية فتحة لا تفترق عن الأخرى ولكنهما من وجهة النظر اللغوية عند الانجليز (مثلا) حركتان مختلفتان وهذه النظرة الأخيرة تؤيدها الدراسة الطبيعية للصوت ·

ومن هنا كانت دراسة الطبيعة لها أهميتها فى البحث اللغوى فالصوت ظاهرة طبيعية وفى نفس الوقت ظاهرة سيكولوجية · انظر د · أيوب : أصوات اللغة ص ٢٣ ، ٩٥ ·

واللغة - لكونها ظاهــرة اجتماعـية ، والأصوات هى الجانب العملى منها - تتوقف الإحاطة بهـا على علوم كثيرة ، فجوانب للوراثة ، وأخرى للبيئة ، وثالثة لانتقالها بين الأجيال ، ورابعة لاتصالها بغيرها ، هذا وغيره يجعل دراستها محتاجة إلى الاستعانة بعلم الأجناس البشرية (الأنثروبولوجيا) وبعلم الوراثة وعلم الحياة العام ، فضلا عن علم الاجتماع وعلم النفس [١] كما أنه لا غنى فى دراسة تطورها وصلتها بالمجتمعات إلى الاستعانة بعلمى التاريخ والجغرافيا [٢] .

ولكن ينبغى أن تكون تلك الدراسة على قدر الحاجة حتى لا تصرفنا عن موضوعية البحث ، كما حدث ذلك فى بعض الأحيان بالنسبة للدراسة الصوتية واللغوية [٣] .

● **بعض المصطلحات الصوتية :**

هناك بعض الأمور التى تميز صوتا من آخر وقد وضعت لها مصطلحات علمية تحددها وأهمها :

١ - شدة الصوت أو علوه :

هى خاصية تميز بها الأذن بين صوت مرتفع وآخر منخفض ، ويتبين ذلك من مقدار تأثير الصوت على الأذن .

فمثلا إذا اقترب مصدر الصوت من السامع برز الصوت مرتفعا وإذا ابتعد المصدر سمع الصوت ضعيفا أو منخفضا .

ونحن ندرك ذلك عندما نقرب المذياع مثلا منا فنسمع الصوت عاليا وعندما نبعده عنا نسمع الصوت منخفضا .

وإذا أحاط بمصدر الصوت أشياء مساعدة على علوه سمع بوضوح أكثر من حال عدم اتصالها به .

فصوت الأستاذ المحاضر يسمع بصفة خاصة يحس بها سامعوه فإذا جىء بجهاز مكبر للصوت كان ذلك من أسباب ارتفاع الصوت وشدته .

---

(١) فللدراسة الصوتية صلة قوية بالدلالات (أو الرمزية) .

(٢) د . السعران : علم اللغة ص ٧٣ - ٧٨ بتصرف .

(٣) د . أيوب : أصوات اللغة ص ٢٣ .

ونستطيع أن نجمل الأسباب التى تؤثر فى ارتفاع الصوت فيما يلى :

(أ) قوة الصوت من مصدره :

ويعبر عنها العلماء بقولهم : أن تكون الاهتزازة واسعة ، وذلك يتأتى بقوة الطرق أو الاصطدام أو الاحتكاك ، فالمعروف أن طرق الجسم - مثلا يؤدى إلى اهتزازه والصوت - كما قلنا - مجموعة من الهزات التى يحملها الهواء إلى السامع وكلما كان الطرق شديدا كانت الاهتزازة واسعة والعكس بالعكس ، إذ يكون وقع الذبذبات الصوتية على الأذن قويا فى الحالة الأولى فنسمع الصوت قويا ، ويكون تأثيره على الأذن ضعيفا فى الحالة الثانية ، وعلى هذا يترتب ارتفاع الصوت مع سعة الاهتزازة وانخفاضه مع ضيقها ·

ويمكن أن نلمس ذلك بطرق شوكة رنانة طرقا قويا ، وطرقها طرقا ضعيفا حيث يعلو الصوت فى الأولى ويخفت فى الثانية ومثل ذلك يتأتى للصوت الإنسانى ·

(ب) قرب السامع أو بعده من مصدر الصوت :

فكلما قرب السامع من المصدر كان الصوت عاليا وكلما بعد عنه كان الصوت منخفضا وذلك مشاهد ملموس كما ذكرنا من تقريب المذياع أو إبعاده ، وتقريب ساعة من أذنك فإنك تسمع صوتها واضحا ويختفى كلما بعدت عنها ·

فالتناسب مع المسافة عكسى ·

(ج) الأشياء المساعدة التى تتصل بالمصدر :

فتقوى الصوت كأن يلحق بالمصدر صندوق مجوف كما فى العود مثلا فالصندوق يستخدم كفراغ رنان يقوى الصوت الصادر من أوتاره ·

والآلات الموسيقية تختلف فى حجم غرف الرنين أو الصناديق الملحقة بها كالكمان والقانون والبيانو ولذا نسمع منها نغمات مختلفة شدة وضعفا ·

وفى جهاز النطق الإنسانى أعضاء تستخدم بمثابة الفراغ الرنان كالقصبة الهوائية والحلق والفم والأنف فهى تقوى الأصوات الإنسانية ·

ومن قدرة الله أن جعل الإنسان يستطيع أن يتحكم فى جهاز النطق فيجعل غرف الرنين الخاصة به تتسع أو تضيق فتخرج منه أصوات رفيعة تارة ومفخمة تارة أخرى كالسين والصاد والذال والظاء والتاء والطاء وغيرها [١] .

ويمكن أن ينبعث الصوت خافتا فيؤدى إلى ارتفاعه اتصاله بجهاز مكبر للصوت على حد ما نرى ونسمع فى الحفلات والمحاضرات العامة .

(د) **كثافة الوسط الذى ينتقل فيه الصوت** : فكلما زادت الكثافة قوى الصوت ، وارتفع والعكس صحيح .

وقد بينا ذلك آنفا .

٢ - درجة الصوت :

خاصية يستطيع بها السامع التفريق بين أصوات مختلفة فى ذبذباتها سرعة وعددا .

فدرجة الصوت تتوقف على سرعة الذبذبات وعددها ، فإذا بلغت حدا معينا سمى الصوت مرتفع الدرجة أو دقيقا ، وإذا قلت سمى الصوت منخفض الدرجة أو سميكا ويسمى النوع الأول - أيضا - بالصوت الحاد والثانى بالصوت الغليظ .

ويمكن أن نتصور ذلك لو قارنا بين مواء القطة وزئير الأسد فالأول حاد لأنه ينجم عن عدد كبير من الاهتزازات الصادرة عن الوترين الصوتيين عند القطة ، والثانى زئير الأسد - صوت غليظ لأن عدد ذبذباته فى الثانية أقل من الأول .

ويلاحظ أن صوت الطفل حاد وصوت الرجل غليظ ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الصوت الإنسانى صادر كما نعلم عن اهتزاز الوترين الصوتيين فى الحنجرة ، وبتشريح حنجرة الطفل وجد أن الوترين الصوتيين فيها قصيران ورفيعان ومشدودان ولذلك فإن اصطدام الهواء بهما عند النطق يجعلهما يهتزان كثيرا فى الثانية الواحدة .

---

(١) د . حسن ظاظا : كلام العرب - من قضايا اللغة العربية ص ٩ .

ولوحظ - بالتشريح كذلك - أن حنجرة الرجل تشتمل على وترين طويلين وسميكين ومرتخيين نسبيا إذا قورنت حنجرة الرجل بحنجرة الطفل ، ولذا فإن طرق الهواء لهما يجعلهما يهتزان لكن بنسبة تقل عن العدد المقرر للأصوات الحادة ٠

أما المرأة فقد ثبت بالتشريح - كذلك - أن حنجرتها تشتمل على وترين أقصر من وترى الرجل ورفيعين - بالنسبة لوترى الرجل أيضا - ومشدودين مما يجعل صوتها حادا فى معظم هذا الجنس ٠

وقد قدر أن متوسط الذبذبات للرجل من ١٠٠ - ١٥٠ دورة فى الثانية وللمرأة من ٢٠٠ - ٣٠٠ دورة فى الثانية [١] ٠

وإن أوتار العود الموسيقى تتحكم فيها بعض المفاتيح التى تجعل بعضها مشدودا أكثر من الآخر وقد صممت الأوتار على هيئة تجعلها صالحة لإصدار أصوات مختلفة حدة وغلظا على النحو السابق ٠

٣ - نوع الصوت :

خاصية تميز بها الأذن بين الأصوات الناشئة من مصادر مختلفة وإن اتحدت فى الشدة والدرجة ٠

فيمكن للسامع أن يميز بين صوتين صادرين من مصدرين مختلفين ، وإن اتحدت ذبذبات كل منهما فى السعة والعدد ٠

فقد تنتج عدة ذبذبات بقوة واحدة وبطريقة متساوية ولكن من جسمين لكل منهما نوع خاص فتميز أذن السامع بين كل منهما بإدراك نوع المصدر الذى أنشأ هذه الذبذبات وصدرت منه ٠

فيمكن للأذن أن تميز - بهذه الصورة - بين صوتين صادرين من كمان وناى كما يمكن أن تميز بين صوتى رجلين يتحدثان على هيئة واحدة فيعرف السامع أن هذا الصوت لفلان وهذا الصوت لغيره مثلا ٠

ويمكن بهذه الصفة أن يفرق الإنسان بين صوت رجل وصوت امرأة وصوت طفل وإن لم يشاهد صاحب الصوت بعينه ٠

---

(١) د ٠ مختار : الصوت اللغوى ص ٨٢ ٠

وسنعرف بعد قليل - أن لكل جسم رنان ذبذبات أساسية وأخرى توافقية ، وعلى الثانية يتوقف نوع الصوت .

وقد ثبت أن سلسلة النغمات التوافقية التى تصحب نغمة العود مثلا تختلف عن سلسلة النغمات التوافقية التى تصحب نغمة أخرى متفقة مع النغمة الأولى فى الشدة والدرجة ولكنها صادرة من كمنجة [١] .

وحيث إن الجسم الرنان يقوى بعضا من هذه التوافقيات أكثر من الأخريات فإن النغمة تتلقى خصائص تسمح للسامع أن يميز بين صوت وآخر أو آلة وأخرى [٢] .

ومجموعات هذه الترددات التى يمكن بوساطتها التمييز بين الأصوات تسمى (حزما صوتية) .

وتظهر الحزم الصوتية فى الرسم الطيفى كشرائط سوداء أفقية [٣] .

٤ - تردد الصوت :

هو عدد الذبذبات التى يصدرها الجسم المهتز فى الثانية الواحدة ، فإذا قيل إن تردد هذا الجسم هو ٥٠٠ دورة مثلا فإن معنى ذلك أنه يصدر هذا العدد من الذبذبات الكاملة (٥٠٠) فى الثانية الواحدة .

وللأذن قدرة على استقبال الترددات الصوتية بنسب علمية لا تتجاوز ٢٠ر٠٠٠ دورة فى الثانية وأكثر من ذلك لا يمكن للأذن أن تدركه .

كما أن من المعلوم صوتيا أن أقل تردد تستطيع الأذن سماعه هو ١٦ - ٢٠ دورة فى الثانية .

ولكن الترددات التى يهتم بها عالم الصوت فى تحليل الكلام تقع تحت ٨٠٠ دورة فى الثانية .

ويلاحظ أن لكل جسم رنان نغمتين إحداهما تسمى أساسية ، وهى التى

---

(١) أحمد موسى وآخرين : دروس فى الطبيعة ص ٤٨ .

(٢) د . مختار : الصوت اللغوى ٧ ، ٨ .

(٣) نفسه ص ١٦ .

نقيس ترددها ، والثانيـــة تسمى توافقيــة ، وهى التى تختلف من مصدر لآخر [١] .

٥ - الرنين :

تقوية الصوت الصـــادر من جسم باهتزاز جســـم آخر متأثر بالجسم الأول [٢] .

فمصدر الصوت إذا اتصل بجسم آخر يجعل الصوت الناجم عنه يأخذ طابعا خاصا قوة وضعفا أو نغمة موسيقية خاصة سميت تلك الظاهرة الصوتية بالرنين ·

وهو نوعان : اضطرارى واختيارى ·

فالأول (الاضطرارى) :

هو الذى ينشأ عن الاهتزاز غير الإرادى فالجسم المجوف الذى يلحق بالأوتار فى الجهاز الموسيقى كالعود مثلا يقوى الصوت ويفخمه على الرغم من صدور نغمات متباينة ومختلفة الدرجة ·

والثانى (الاختيارى) :

هو الذى ينشأ عن الاهتزاز الإرادى كرنين الأعمدة الهوائية فى المزمار ، والناى حيث يقوى كل عمود النغمة التى تلائمه [٣] .

وفى الجهاز الصوتى الإنسانى أجسام مجوفة وظيفتها تقوية الصوت ، وتنويع نغمته كالقصبة الهوائية وفراغ الحلق والفم والأنف ·

وقد أمكن عن هذا الطريق تعـــديل نوع الصـــوت فيما يعرف بعملية (الترشيح) ·

٦ ـ الترشيح :

طريقة خاصة لتعديل نوع الصوت فيكون نقيا تارة وعميقا أخرى ، وهذا يقوم على إضعاف بعض الترددات وتقوية بعضهـــا الآخر حسب الموقف المطلوب ·

---

(١) أحمد موسى وآخرين : دروس فى الطبيعة ص ٤٨ ·

(٢) نفسه ص ٥٤ ·

(٣) نفسه ص ٥٥ ·

ونحن نعلم أن للصوت نوعين من النغمات أساسية وتوافقية ، فإذا قويت الأولى أصبح الصوت نقيا ، وإذا قويت الثانية أصبح الصوت عميقا [١] .

٧ - سرعة الصوت :

هى المسافة التى يقطعها الصوت فى الثانية ، ويمكن تحديدها بعملية رياضية تقوم على ضرب تردد الصوت (عدد ذبذباته فى الثانية) فى طول موجته .

فلو علم مثلا أن صوتا تردده (٥٠٠) وطول موجته (متر) نضرب ٥٠٠ X ١ = سرعة الصوت [٢] .

* * *

جهاز النطق الإنسانى

بجانب ما لهذا الجهاز من وظائف بيولوجية له وظائف صوتية مهمة وقد عرف العرب أكثر أعضاء النطق هذه وأطلقوا عليها أسماء ذات دقة كافية [٣] .

بيد أن علماءنا القدامى - رحمهم الله - لم يكونوا يعرفون بعض تفصيلات هذا الجهاز الذى ركبه الله تعالى بنظام دقيق ، فقد غفلوا عن دور بعض أجزائه فى إصدار الأصوات ، فمثلا القصبة الهوائية لم يكونوا يعلمون أثرها فى الأصوات ، والحنجرة التى تعد غرفة مجهزة بالأدوات اللازمة لإصدار الصوت وتعد المركز الرئيسى له ، لم يحدد القدماء ما بداخلها من الأوتار الصوتية ودورها فى إنتاج الأصوات ، ولا ريب أن لهم عذرهم فى هذا فلم يكن عندهم علم التشريح الذى يوقفهم على حقيقة هذا الجهاز وتحليل أجزائه وخواصه الوظيفية .

وبعد تقدم علم التشريح وقفنـــــا على كثير من أسرار هذا الجهاز ومكوناته .

وعن طريق هذه المعرفة أدركنا طريقة إبراز الأصوات والعوامل التى تؤثر فيها صحة وخطأ وقوة وضعفا .

---

(١) د . مختار : الصوت اللغوى ص ١٦ .

(٢) احمد موسى وآخرين : دروس فى الطبيعة ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) كانتينيو : علم أصوات العربية ص ١٨ .

وينتج هذا الجهاز عددا ضخما من الأصوات لا يمكن حصره الا أن كل لغة اتخذت لنفسها عددا معينا من الأصوات ·

ومن هنا كان على متعلم الأصوات والباحث فيها أن يلم بدراسة سريعة لأعضاء هذا الجهاز ليمكنه دراسة الأصوات علميا وعمليا على حد سواء ·

ويتألف هذا الجهاز من عدة أعضاء هى :

١ - الرئتان ·
٢ - القصبة الهوائية ·
٣ - الحنجرة ·
٤ - الحلق ·
٥ - اللسان ·
٦ - الحنك الأعلى ·
٧ - الأسنان ·
٨ - الأنف ·
٩ - الشفتان ·

انظر الشــكل



ونوجز الحديث فى كل منها :

أولا - الرئتان :

الرئة : جسم مرن قابل للانكماش والانبساط يتكون من حويصلات هوائية وأنابيب شعرية وما يعرف بالشعب الشعرية ولكل إنسان رئتان تقعان فى القفص الصدرى فى ناحيتيه اليمنى واليسرى ويقع بينهما القلب بأغشيته المختلفة ويفصلهما عن البطن الحجاب الحاجز .

وهاتان الرئتان تنقبضان وتنبسطان بمعونة الحجاب الحاجز والقفص الصدرى فالرئتان تستقبلان الهواء فى حركة الشهيق وتخرجانه فى حركة الزفير ويتم ذلك فى عملية التنفس المعروفة والتى تؤدى دورا حيويا للجسم بأخذه الأكسجين لتنقية الدم وطرد حامض الكربونيك(ثانى أكسيد الكربون مع ماء) .

والأصوات الإنسانية تنشأ مع حركة الزفير ، فالهواء الخارج من الرئتين يصطدم بالأوتار الصوتية فى الحنجرة وبأعضاء النطق الأخرى فينشأ الصوت .

وتتم عمليتا الشهيق والزفير بطريقة أوتوماتيكية وخاضعة لنظام الضغط الجوى ، فالحجاب الحاجز - بما فيه من مرونة - يتمدد إلى أسفل ، ويتوافق ذلك ميكانيكيا مع حركة القفص الصدرى باتساعه إلى الأمام والجانبين فالحجاب الحاجز مكون من نسيج عضلى يقع بين جهاز التنفس والجهاز الهضمى وله مرونة تمكنه من الانقباض والانبساط فى وضع رأسى ، (إلى أعلى وإلى أسفل) .

والقفص الصدرى يتكون من الأضلاع التى تتصل بعظام الصدر الأمامية حتى العمود الفقرى ، من الخلف وله قدرة - كذلك على الانقباض والانبساط إلى الأمام وإلى الجانبين .

وفى عملية الشهيق يتمدد الحجاب الحاجز إلى أسفل والقفص الصدرى يتسع فى الاتجاهين المشار إليهما ، وبذلك تتسع الرئتان ويتخلخل الهواء الموجود داخلها وتقل كثافته فتدخل كمية من الهواء لتعادل الضغط داخل الرئتين وخارجها ، ثم إذا عاد الحجاب الحاجز إلى الانقباض إلى أعلى وعاد القفص الصدرى - فى الوقت ذاته إلى الانكماش من جهتيه تتقلص الرئتان ، ويزيد

ضغط الهواء الموجود فى داخلهما عن الهواء الخارجى ، فتحدث عملية الزفير بخروج كمية من الهواء ، حتى يتعادل الضغط الداخلى مع الخارجى ومن هذا التحرك يبدو أن عمليتى الشهيق والزفير تتمان بطريقة آلية نتيجة قيام هذه الأجزاء الثلاثة (الحجاب الحاجز - القفص الصدرى - الرئتين) بالأدوار المنوطة بها فى الانقباض والانبساط .

ويبدو أن السبب الرئيسى لذلك ناشىء عن الجزئين الأولين فالرئتان تقومان بحركتهما متأثرتين بعمل الحجاب الحاجز ، والقفص الصدرى ، والرئتان - لمرونتهما العجيبة - قادرتان على التكيف لاستقبال الهواء ، وإخراجه حسب الحالة التى تكون عليها .

وذلك كله يعطى إمكانية التحكم فى إبراز الأصوات عن طريق التحكم فى استعداد الرئتين ، والمؤثرات عليهما لإدخال الهواء ، وإخراجه أو الاحتفاظ به قدر الإمكان ، وخروجه شيئا فشيئا .

ولذا فنحن ندرك قدرة بعض الأشخاص على التحكم فى كمية الهواء حال التفوه بالأصوات ، فقراء القرآن المجيدون يستطيعون قراءة آيات كاملة فى عملية تنفس واحدة ، على حين أن غيرهم ممن لا يتعودون ذلك لا يمكنهم نطق عبارات كاملة على هذا النسق الذى يفعله قارئو القرآن الكريم ، وللمران دور كبير فى أداء هؤلاء ، ولولا مرونة الرئتين ، والأجزاء المحيطة بهما ما استطاعوا أن يفعلوا ذلك .

ثانيا : القصبة الهوائية :

هى عبارة عن قناة غضروفية ، تقع فوق الرئتين ، وتتصل بالحنجرة من أعلى ، وهى مكونة من حلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف ، وهى مغطاة من الداخل بغشاء مخاطى .

وقطر القصبة الهوائية بين ٢ سم ، ٢,٥ سم وطولها حوالى ١١ سم ، وتتشعب من أسفل إلى شعبتين تتصل كل منهما بإحدى الرئتين .

ووظيفتها الأساسية دخول الهواء خلالها إلى الرئتين ذهابا وإيابا .

ولا ريب أن تكونها من عظام غضروفية يعطيها مرونة تفيد فى إدخال

الهواء ، وإخراجه ، كما أن تغطيتها بالغشاء المخاطى تجعل مرور الهواء بها سهلا ميسورا .

ولولا هذا الغشاء لتعبت القصبة الهوائية أو جرحت ، أو أصابتها الآلام الشديدة من جراء مرور الهواء بها ، لكن الإنسان لا يكاد يشعر بمرور الهواء ، ولا يحس بأى ألم لأن القناة مهيأة لذلك .

ثالثا - الحنجرة :

هى جزء مهم من أجزاء جهاز النطق ، وقد أثبت تشريحه أنه غرفة تكييف أساسية لإبراز الأصوات ، ولمرونة حركتها من أسفل إلى أعلى وأمام وخلف ينشأ رنين خاص للأصوات .

وتقع الحنجرة فوق القصبة الهوائية من أعلى وتتألف من عدة أجزاء هى :

١ - الغضروف الدرقى .

٢ - الغضروف الحلقى .

٣ - الغضروفان الهرميان .

٤ - الوتران الصوتيان .

٥ - لسان المزمار .

فالغضروف الدرقى :

عبارة عن نسيجين غضروفيين مربعى الشكل ، يقعان فى الجزء الأمامى من الحنجرة ، ويلتقيان من الأمام فيكونان ما يسمى بالبروز الحنجرى أو تفاحة آدم Adam's apple وهذا البروز يبدو واضحا فى الرجل أكثر منه فى المرأة .

وقد وصفه ابن سينا فقال : موضوع إلى قدام يناله الجس فى المهازيل عند أعلى العنق تحت الذقن وشكله شكل القصعة ، حدبته إلى خارج ، وإلى قدام ، وتقعيره إلى الداخل ، وإلى الخلف ويسمى (الغضروف الدرقى) و (الترس) .

والغضروف الحلقى :

هو غضروف على شكل حلقات ناقصة الاستدارة من الخلف ، ويقع تحت الغضروف الدرقى وهو متصل به بعدة أربطة وعضلات وله قاعدة من جزئه الخلفى ·

ويتحدث عنه ابن سينا فيقول :

الغضروف الثانى خلفه مقابل سطحه ، وسطحه متصل به بالرباطات يمنة ويسرة ، منفصل عنه فوق ويسمى (عديم الاسم) [١] ·

الغضروفان الهرميان :

كل منهما يشبه الثانى وهو عبارة عن هرم أو بروز صغير ويعدان كوتدين يربط فيهما الوتران الصوتيان ويرتكز كل منهما على قاعدة الغضروف الحلقى من الخلف ويقع كل منهما فى ناحية منه ، ولهما قدرة على الحركة والانزلاق والاستدارة ·

ويصفهما ابن سينا على أنهما غضروف واحد قائلا :

والغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليها وهو منفصل عن الدرقى ، ومربوط بالذى لا اسم له (يعنى الحلقى) من خلف بمفصل مضاعف ، يحدث من زائدتين ، وتصعدان من الذى لا اسم له وتستقران فى نقرتين له ويسمى (المكبى) والطهر جهارى أو الطهرجالى [٢] ·

الوتران الصوتيان :

هما زوجان من الطيات الجلدية [٣] يربطان أفقيا فى الغضروفين الهرميين من الخلف كل منهما فى أحد الغضروفين ومن الأمام يربطان معا فى تجويف الغضروف الدرقى عند زاوية التقاء جزئية أحدهما بالآخـــر ، وهمـــا قابلان للحركة أفقيا من الخلف ·

---

(١) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٦ ·

(٢) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٦ ، ٧ ·

(٣) ولا يبدو أن العرب قد عرفوا الأوتار الصوتية · كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٧ ، ١٨ ·

وإذا عرفنا أن الغضروفين الهرميين يدوران فى اتجاه متعاكس أدركنا أن الوترين الصوتيين يلتقيان مرة وينفرجان أخرى ويتمثل ذلك فى ثلاث صور لكل منهما وضع خاص فى تكوين أصوات معينة ·

فإذا استدار الغضروفان الهرميان فى اتجاه متقابل وجدنا الوضعين التاليين :

(أ) فعند دورانهما فى اتجاه متقابل يلتقى الوتران التقاء تاما بحيث لا يتركان فراغا بينهما وهنا ينشأ صوت الهمزة ·

وقد يحدث فى أثناء هذا الدوران المتقابل أن يلتقى الوتران التقاء غير محكم فيلاحظ وجود فراغ بينهما فيمر الهواء خلالهما ويهزهما فتنشأ الأصوات المجهورة ·

(ب) وعند دورانهما فى اتجاه غير متقابل يبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر فيتركان الطريق مفتوحا أمام الهواء ليمر عليهما دون اهتزاز فتنشأ الأصوات المهموسة ·

وينبغى أن تعلم أن الفراغ الواقع بين الوترين الصوتيين يسمى بـ(المزمار) ·

لسان المزمار : ويسمى - أحيانا - طبق رأس القصبة ·

وهو عبارة عن نسيج ليفى غضروفى مثلث الشكل أقرب ما يكون إلى ورقة الشجرة وهو مربوط من قاعدته فى الغضروف الدرقى من الأمام ، ويقع خلف اللسان [1] ·

وهو صمام يغلق فتحة الحنجرة ، وهو الحارس الأمين عليها من دخول الأجسام الغريبة ، ويظهر أثره عند الأكل أو الشرب ، أو تعرض الفم للأجسام الغريبة ، حيث يقوم لسان المزمار بإغلاق الحنجرة إغلاقا تاما ، فإذا أفلت منه شىء قامت الشعيرات الدقيقة التى تقف خلفه بطرد ما أفلت نتيجة عدم إحكام الإغلاق ، وفى الأحوال العادية وعدم الكلام يظل طريق الهواء مفتوحا ·

وعند عملية الكلام يقوم لسان المزمار بإغلاق الحنجرة أو فتحها حسب ما تقتضى الأصوات الصادرة ·

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٧ ·

والمعروف أنه يغلق الحنجرة - أحيانا - فيسد الطريق أمام الهواء القادم من الرئتين والمار بالقصبة الهوائية ، فيصطدم بالوترين الصوتيين بالحنجرة ، فتهتز ، وتنشأ من ذلك الأصوات المجهورة ·

أما فى حالة فتحه فإن الهواء يخرج دون عائق ، ولا يحرك الوترين الصوتيين ، بل يتركهما على حال السكون فتنشأ الأصوات المهموسة ·

وسنفصل ذلك فيما بعد ·

وقد شعر ابن سينا بأثر الحنجرة فى بروز الأصوات وإن لم ينبه إلى عمل الأوتـار الصوتية ، فقـد أحس بأن الحنجـرة - بحركة بعض الأجزاء - تضيق أو تتسع وبعمل بعضها الآخر تنطبق أو تنفتح ولعل فى ذلك ما يشير إلى عمل الأوتار الصوتية وتأثرها بالهواء وعدم تأثرها حال التقائهما أو انفراجهما ·

يقول : واصفا حال الغضاريف الثلاثة التى تكون الحنجرة وحركتها تضييقا وتوسيعا :

فإذا تقارب الذى لا اسم له (الحلقى) من الدرقى وضامه حدث منه ضيق الحنجرة ، وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل ·

وإذا انطبق الطهرجالى على الدرقى حصر النفس وسد الفوهة وإذا انقلع عنه انفتحت الحنجرة ·

ثم تحدث عن العضلات التى تجعل لأجزاء الحنجرة مرونة فى التضييق والاتساع والانطباق والانفتاح ونحن نوجزها فيما يلى :

١ - تضييق الحنجرة واتساعها :

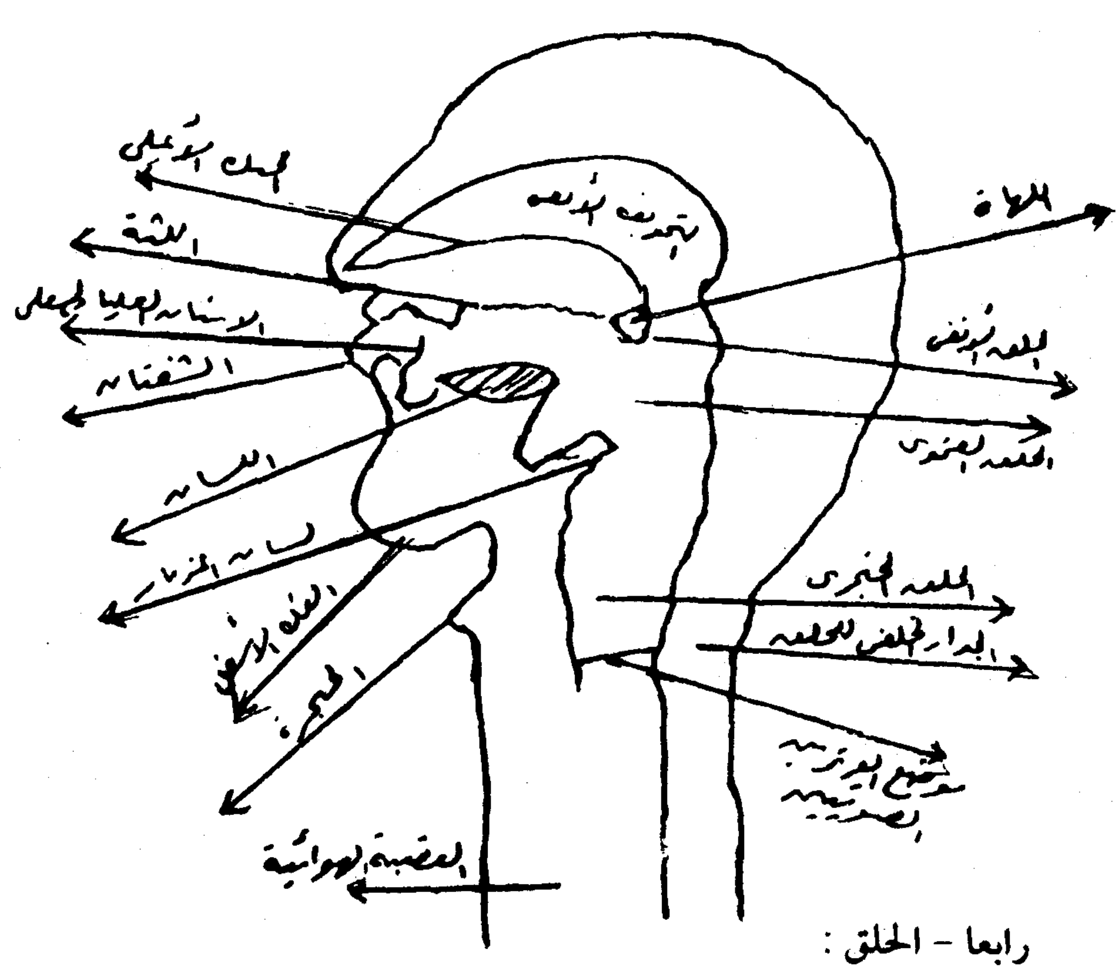
حالة التضييق - ويسميه أحيانا الضم - تحدث عند تقارب الغضروفين الدرقى والحلقى بواسطة عضلات خاصة يأتى بعضها من العظم اللامى - وهو عظم مثلث الشكل - وبعضها الآخر من عضلات فردية ومزدوجة تتصل بالغضروف الدرقى وتلتف وراءه على الغضروف الحلقى مع عضلات تصله بالمرىء ·

أما حالة الاتساع فتحدث بابتعاد هذين الغضروفين أحدهما عن الآخر

بواسطة حفز النفس إلى خارج بقوة ، عن طريق عضل الصدر والحجاب الحاجز ، ومن ذلك عظم يتصل بمقدم الغضروف الدرقى فإذا تشنج جذبه الى فوق وإلى قدام فنزله عن ملاصقة الغضروف الحلقى ، وهناك عضلات أخرى ممتدة بين الدرقى والحلقى والحلقوم وبتشنيجها تفترق هذه الثلاثة بعضها عن بعض .

٢ - انطباق الحنجرة وانفتاحها :

فهناك عضلات تصل الغضاريف بعضها ببعض ، منها عضلات تطبق وأخرى تقوم بتنحية الطهرجالى عن الدرقى فإذا تشنجت جذبته إلى الخلف وفرقت بينه وبين الدرقى (١) .



رابعا - الحلق :

هو الجزء الذى يلى الحنجرة ، وينتهى بأول الفم ، وهو ينقسم - فى عرف علماء اللغة - إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٦ - ٨ بتصرف كبير .

أقصى الحلق - وسط الحلق - أدنى الحلق [1] .

ويقسمه العلماء - أيضا - إلى ما يعرف بالحلق الحنجرى ، والحلق الفموى ، والحلق الأنفى ، نسبة إلى موقع الجزء القريب من الأنف، أو الفم ، أو الحنجرة .

ومن الحلق تخرج الأصوات التى جمعها الشاعر فى قوله :

همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء

وتنشأ الأصوات من الحلق عن طريق انقباض الحائطين الأمامى والخلفى أو بعبارة أخرى جذر اللسان ومؤخر الفم ، ولذا فمن الأدق أن تسمى الأصوات الصادرة منه (لسانية حلقية) [2] .

ومع ذلك فإن الحلق يعتبر فراغا رنانا يقوى الأصوات بصفة عامة .

خامسا - اللسان :

عضو مهم من أعضاء النطق ، وعليه المعول فى إبراز كثير من الأصوات ولولا اللسان لم يمكن إخراج الأصوات ، وسلامتها ولذا نسبت اللغة إلى اللسان والقرآن الكريم يعبر عن اللغة باللسان كما فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[3] « بلسان عربى مبين » .

ويقوم اللسان بالمشاركة فى إنتاج الأصوات بحركته الكثيرة فى الفم ، وعند عدم الكلام يستقر فى قاع الفم .

وللسان أجزاء يشترك كل منها مع غيره فى إصدار بعض الأصوات :

١ - أقصى اللسان . ٢ - وسط اللسان .

٣ - مقدم اللسان . ٤ - جانب اللسان .

ويفرق العرب بين أجزاء اللسان فيميزون بين (عكدة) اللسان أو (عكرته) - أى أصله - وبين أقصى اللسان ووسط اللسان وظهر اللسان وحافة اللسان وجانب اللسان كما يسمون طرف اللسان إذا كان يابسا - كعند

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٨ .

(٢) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٩٤ . (٣) إبراهيم : ٤

النطق بحروف الصفير - (أسلة) وإذا كان رخوا وتحرك بسهولة - كعند النطق بحروف التكرير والانحراف - (ذلقا أو ذولقا)(١) .

واللسان يتحرك حركات متعددة فى كل الاتجاهات داخل الفم ، ويتصل فى أثنائها بالحنك الأعلى كما يتصل بالأسنان وباللثة عليا وسفلى وتتغير صوره داخل الفم وحجمه ، حسب اتساع ما بين الفكين ، وحسب مكان اللسان وهيئته (٢) .

وقد أحس بعض القدماء بأثر اللسان وحركاته وأشكاله فى الفم ·

قال ابن سينا : وأما اللسان فتحركه بالتحقيق ثمانى عضل ، منها عضلتان تأتيان من الزوائد السهمية التى عند الأذن يمنة ويسرة وتتصلان بجانبى اللسان ، فإذا تشنجتا عرضتاه ، ومنها عضلتان تأتيان من أعالى العظم الشبيه باللام وتنفذان وسط اللسان فإذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام فتبعها جزء من اللسان وامتد وطال ، ومنها عضلتان من العضلين السافلين من أضلاع هذا العظم ينفذان بين المعرضين والمطولين ، ويحدث عنهما توريب اللسان ، ومنها عضلتان موضوعتان تحت هاتين وإذا تشنجتا بطحتا اللسان ، وأما تمييله إلى فوق وداخلا فمن فعل المعترضة الموربة (٣) .

وهذا وصف لحركات اللسان من أمام وخلف وأعلى وأسفل وجانبا ووصف لأشكاله من طول وقصر وبسط وانقباض واتصال بسقف الحنك وغيره مما يجاوره من بقية أعضاء النطق فى الفم على وضع يغير من صورة الفم ويتحكم فى إصدار العديد من الأصوات ·

وهذا يوحى بما تبين للمحدثين من تشكيل صورة الفم بطرق متعددة تقوى الأصوات وتضخمها ·

سادسا - الحنك الأعلى :

جزء مهم من أجزاء الجهاز النطقى ، وهو الجزء العلوى من الفم ويتصل به اللسان فى أماكن عديدة لإنتاج الأصوات وله عدة أقسام :

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩ ·

(٢) نفسه ص ١٨ ·

(٣) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٨ ·

١ - مؤخر الحنك أو أقصاه: وهو الجزء الخلفى منه القريب من الحلق .

ونظرا لطبيعته اللينة فإن بعض الباحثين يسميه (الحنك اللين) ويطلق على الجزء المتدلى منه والذى يقرب من الحلق اسم (اللهاة) [١] .

٢ - وسط الحنك : وهو الجزء الذى يلى مؤخره ولطبيعته الصلبة يسميه بعض الباحثين : الحنك الصلب وقد يسمى (الغار) .

فإذا سمعت أو قرأت أن الجيم - مثلا - صوت غارى فاعلم أنه من وسط الحنك .

٣ - مقدم الحنك : [٢] وهو الذى يلى الحنك الصلب وتقع فيه اللثة ، وأصول الأسنان العليا .

ولا ريب أن سقف الحنك الأعلى يشترك مع اللسان - كما ذكرنا - فى تكوين أصوات معينة ، كما أنه أحد جدران الصندوق الفموى الذى يصنع الرنين والتضخيم للأصوات :

سابعا - الأسنان :

للأسنان وظيفة أساسية من الناحية الصوتية ويمكن إدراك أهميتها عندما نسمع كلام إنسان فقد بعض أسنانه إذ نلاحظ أن الأصوات تخرج من فيه مشوهة .

فالأسنان تشارك اللسان فى مخارج الأصوات فاللسان يتصل بأصولها أو بأطرافها أو بجوانبها أو يرتكز عليها بصور شتى وكل واحد من هذه المواضع مخرج لأنواع معينة من الأصوات .

وهى - مع ذلك - تقوى صندوق الفم .

وعدة الأسنان ثنتان وثلاثون موزعة على الوضع التالى :

(١) هى زائدة لحمية صغيرة تتدلى فى طرف جلدة فى أقصى الفم تسمى (غشاء الحنك) وهى التى تغلق الخياشيم أو تفتحها .

كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٨ .

(٢) يفرق العرب بين (الحنك الأدنى) - ويسمى نطعا أو الغار الأعلى - وبين (الحناك الأعلى) . كانتنيو : ص ١٨ .

١ - **الثنايا** : وهى أربع فى كل فك ثنتان وتقع فى الجزء الأمامى من الفم من أعلى وأسفل وتظهر عند فتح الفم أو عند التحدث .

٢ - **الرباعيات** : وهى أربع - أيضا - ثنتان فى كل فك (العلوى والسفلى) وتلى الثنايا من الجانبين وقد سمعنا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى إحدى الغزوات - كسرت رباعيته .

٣ - **الأنياب** : وهى أربع كذلك تلى الرباعيات علوا أو سفلا ، ووظيفتها تمزيق الطعام وتسمى الأنياب فيما يظهر ضواحك (١) .

٤ - **الأضراس** : وهى عشرون منها الضواحك وهى التى تبدو عند الضحك ، ومنها الطواحن ومهمتها طحن الطعام أو مضغه ، ومنها النواجذ وهى ما نسميها بالعامية - ضروس العقل .

ثامنا - الأنف :

مجموعة من الفراغات تأخذ شكل قنوات وجيوب أنفية ومع ثباتها تستعمل كفراغ رنان وبصفة أساسية يتجه الهواء للمرور منها فتخرج أصوات الميم والنون وتشترك فى وضوح صوت الباء .

ونلحظ ذلك عندما يكون الإنسان صحيحا لا زكام عنده أما لو أصيب أنفه أو زكم فإن لذلك أثره على الأصوات التى تعد مخرجا لها بخاصة وعلى الأصوات الأخرى بعامة حيث تتآكل أو لا تبرز بوضوح كامل .

ويستعمله الفرنسيون كثيرا فى إبراز أصوات لغتهم .

وعندما يتجه الصــوت إلى الأنف ينخفض الطبق اللين ليصبح الهواء حرا ، فى المرور بتجويفات الأنف ، ويشترط لاعتبار الأنفية عملية أساسية : أن يكون الممر خلال الأنف هو الممر الوحيد المفتوح نتيجة لغلق أو تعويق فى تجويف الفم (٢) .

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩ .

(٢) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٩٤ .

تاسعا - الشفتان :

عضوان يأخذان شكلا مستعرضا فى نهاية الفم ، ويقومان بعملية إغلاقه أحيانا أو التحكم فى فتحة الفم أحيانا أخرى بحيث تكون مستديرة تارة ، ومستطيلة تارة أخرى ·

ولا ريب أن الأشكال المختلفة التى تكون عليها الشفتان لها أثر كبير فى تكوين بعض الأصوات ، أو إبراز صدى بعض الأصوات الأخرى ·

فعند الإغلاق تنشأ أصوات صامتة كالباء والميم ، والفاء سواء كان الإغلاق تاما أو غير تام ·

أما أوضاع الاستدارة ، أو الاستطالة التى تنشأ عن تحكم عضلات الذقن والعضلات المحيطة بالفم فإنها تكون مع الصوائت طويلة وقصيرة ·

وفى مجال إبراز صدى الأصوات ، فإن الشفتين تقومان بدور إطالة الصندوق الفموى أو تقصير مداه ·

كيفية بروز الأصوات من جهاز النطق الإنسانى

إن عملية التنفس مهمة لإبراز الأصوات مع أنها الطريق لتنقية الدم · وتتم هذه العملية على مرحلتين :

إحداهما تسمى الشهيق : والثانية تسمى (الزفير) والأولى عبارة عن إدخال الهواء من الفم حتى يصل إلى الرئتين حاملا للأكسجين اللازم لتنقية الدم ، ثم يعقب ذلك المرحلة الثانية وهى الزفير الذى يحمل ثانى أكسيد الكربون من الرئتين إلى خارج الفم ·

ويظل الهواء مترددا بين هذا وذاك فى دورات منتظمة ، ولذا يطلق علماء الأحياء على هذا الجهاز اسم (الجهاز التنفسى) ·

ومع هذه الفائدة الحيوية لدخول الهواء وخروجه تأتى فائدة أخرى ذات أهمية كبيرة هى إصدار الأصوات بواسطة هذا الهواء المار فى هذا الجهاز حتى أطلق عليه أيضا (جهاز النطق) ·

وينشأ الصوت - كما نعرف - مع عملية الزفير لا مع الشهيق فى معظم الأحيان [1] .

فالهواء يجتمع فى الرئتين ، ثم يبدأ فى الصعود داخل القصبة الهوائية ، والتى تستعمل لتقوية الصوت حال تكوينه ، فإذا دخل الهواء إلى الحنجرة بدأ فى التكون نتيجة تهيؤها للصوت المراد إنتاجه فإذا ما اهتزت الأوتار الصوتية نتيجة إغلاق فتحة الحنجرة ، وتشكل الحلق والفم بصورة تدعو إلى تقوية الصوت خرج ما يسمى بالمجهور ، « وإذا ما ارتخت الأوتار الصوتية ولم تهتز فإن الصوت يصبح مجرد نفس يحوره داخل الفم تحويرا ما يختلف مداه ، وأهميته ، وذلك عند النطق بالأصوات المهموسة » [2] .

ويتدخل فى عملية تكوين الصوت - بعد ذلك - عضوان من أعضاء النطق يتحكمان فى مرور الهواء بهما ، فيمنعانه من المرور منعا تاما أو منعا جزئيا أو يتركان له حرية المرور كاملة ، ويتحكم المتكلم فى صورة الفم واللسان ومرور الهواء عن طريق الفم ، أو فى مرور الصوت بالأنف ، والخياشيم حتى ينتهى إلى خارج الفم أو الأنف ويصل إلى أذن السامع .

وقد أدرك علماء العرب القدامى قيمة أعضاء النطق وأثرها فى الأصوات وكان لهم فضل كبير فى بيان الهيئة التى يكون عليها جهاز النطق حال إصدار الأصوات وتحديد أماكنها فيه تحديدا دقيقا ، وإن لم تسعفهم الآلات أو التجارب المعملية .

فقد اعتمد الخليل فى وصفه للأصوات على ما يحسه بنفسه من اختلاف فى أوضاع أعضاء النطق معها وعلى العملية العضلية التى يقوم بها المرء لدى صدور كل صوت وعلى وقع هذا الصوت فى أذن السامع دون أن يكون لديه

---

(١) تحدث بعض الأصوات مع الشهيق كتلك التى تحدث فى حال التعجب أو الدهشة أو الاستنكار ، وليست تلك الأصوات مادة لغوية بالمعنى الاصطلاحى ولكن سماع مثل ذلك فى حالة التشنج أو الانتحاب وبعض الأصوات الصادرة عن الشهيق تحدث بين الأطفال . انظر د . مختار : الصوت اللغوى ص ٩١ ، ٩٢ ، ود . حسن ظاظا : كلام العرب ص ١٠ .

(٢) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩ .

شيء من الإمكانيات الحديثة من آلات التسجيل والتصوير أو معرفة بنظريات التشريح (١) .

وقد أحس سيبويه مع المجهور والمهموس ومع الشديد والرخو بما يحس به الدارســون للأصوات من المحدثين دون أن يكون على علم بالناحية التشريحية ، ومن وجود وترين صوتيين بالحنجرة يقومان بوظيفة معينة مع بعض الأصوات (٢) .

وقد أجرى ابن جنى تجارب آلية تبرهن على كيفية حدوث تلك الأصوات المختلفة النغم من الجهاز الصوتى ، فحكى أن بعضهم شبه الحلق بالناى فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا كما يجرى الصوت فى الأنف غفلا بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناى المنسوقة وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات ، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت فى الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة (٣) .

وقد قال ابن جنى منذ ألف سنة : إن الصوت الذى يؤديه الوتر غفلا غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزا ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر ، وصلابته وضعفه ورخاوته ، فالوتر فى هذا التمثيل كالحلق ، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت فى الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذى يعرض للصوت فى مخارج الحروف من المقاطع واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا (٤) .

وهذا يؤيد أهمية أعضاء النطق فى دراسة الأصوات ، وبخاصة الفراغات التى فى الحلق والفم وأنها تستخدم كالصناديق المجوفة التى تضخم الأصوات فى الكمان والعود وغيرهما من الآلات الموسيقية ، ومرور الصوت الإنسانى

---

(١) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) نفسه ٩٤ .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ٩/١ وانظر ما نقله ابن سنان عنه فى سر الفصاحة ص ١٨ .

(٤) نفسه ١/ ١٠ .

خلال تلك الفراغات يكسبه لونا خاصا يساعدنا على تمييز الأصوات الصادرة من شخص وآخر ·

وقد لاحظ القدماء فى أثناء عرضهم لمخارج الحروف وصفاتها أهمية اللسان والشفتين والحنجرة والأوتار الصوتية فيها [1] لدراسة الأصوات وبهذا يكون علماؤنا القدامى قد وضعوا الأسس وفتحوا الطريق أمام المحدثين من علماء اللغة لتحقيق النتائج العملية فى دراسة الصوت اللغوى ·

بيد أن المحدثين - تبعا لتقدم العلوم وكشف علم اللغة الحديث - حللوا الصوت تحليلا يتصل بمصدره الأساسى سواء فى ذلك الصوت الطبيعى والصوت اللغوى وزادوا تفصيلات تتعلق بالناحية التشريحية لجهاز الصوت والأصوات التى تنجم عنه وغير ذلك مما جد فى هذا المجال ·

جهاز استقبال الصوت (السمع)

يتم استقبال الصوت عن طريق حاسة السمع ، ولها جهاز دقيق مكون من عدة أجزاء ، تؤدى وظائفها فى إدراك الأصوات حين تكون سليمة وهذا الجهاز هو الأذن ·

والأذن مكونة من الأجزاء الآتية :

١ - الأذن الخارجية :

وتشمل الصيوان والصماخ والطبلة ·

فالصيوان : هو الجزء الظاهر من الأذن على جانبى الوجه ، وهو لا يتحرك لدى الإنسان وبعض الحيوانات يحركه ·

ويظهر أن له أثرا فى تركيز الصوت حال استقباله ويبدو ذلك واضحا عندما ينصت الحيوان لسماع صوت معين ، خلافا لما ذكره الدكتور أحمد مختار من أنه لا أثر له فى السمع [2] ·

والصماخ : قناة طولها حوالى بوصة ويسمى كذلك - بالممر السمعى ·

والطبلة : غشاء رقيق يتصل بالصيوان بواسطة القناة المعروفة بالصماخ ، وتعد الطبلة أهم جزء فى الأذن الخارجية ونهاية لها ·

---

(١) يذكر كانتنيو أن القدماء غاب عنهم الدور الرئيسى للأوتار الصوتية - انظر : علم أصوات العربية ص ٢٠ ·

(٢) د · مختار : الصوت اللغوى ص ٣١ ·

٢ - الأذن الوسطى :

هى التى تلى الطبلة ، وفيها تقع المطرقة ، والسندان ، والركاب ، وهى ثلاثة عظيمات تتعاون فى نقل الذبذبات الصوتية الصادرة من جهاز النطق الى مجال الأذن الداخلية ، إلى جانب القناة التى تسمى (قناة استاخيو) وهى طريق يدخل منه الهواء إلى الأذن ، فيتعادل الضغط داخلها ، وخارجها ·

٣ - الأذن الداخلية :

أهم أجزائها القوقعة - وهى جسم ملتف ذو حوائط صلبة طوله حوالى ٣٥ مم ويوجد بها السائل المعروف بالسائل التيهى وتتصل به الألياف العصبية التى تنقل ذبذبات الصوت التى تصل إليها من الطبلة إلى المخ لترجمتها ، وتحويلها إلى مدركات مفهومة ·

فالذبذبات الصوتية تسير على شكل موجات خلال الهواء الجوى - بعد مغادرتها مصدر الصوت - فيستقبلها الصيوان ، وينقلها إلى غشاء الطبلة ، الذى ينقل هذه الموجات بدوره إلى المطرقة والسندان والركاب ، فتهتز ، ويصطدم بعضها بالآخر فتنتقل هذه الاهتزازات إلى الأعصاب السمعية ، ومنها تصل إلى المخ ·

ودرجة تأثر الأعصاب السمعية مختلفة ، تبعا لنوع الذبذبات التى تصل إليها فإذا كانت الذبذبات منخفضة الدرجة أثرت فى الأعصاب السمعية القريبة فى أول القوقعة ، وإذا كانت متوسطة الدرجة أثرت فى وسطها ، وإذا كانت عالية أثرت فى الأعصاب الواقعة فى نهاية القوقعة ·

وهناك ترددات معينة يمكن للأذن سماعها فإذا قلت درجة التردد أو زادت فقدت الأذن حاستها فى إدراك الصوت ، فهى تستطيع إدراك الأصوات إذا كان ترددها من ٢٠ إلى ٢٠ ألف دورة فى الثانية عند الشاب الذى يتمتع بمقدرة سمعية جيدة ، وفى غير ذلك تفقد الأذن قدرتها على السمع ، وإدراك الأصوات ·

وكلما كبر الإنسان فقد شيئا من قدرته على السمع · وقد تؤدى الأصوات العالية إلى إزعاج السامع وتألمه ، وقـدر العلماء ذلك بأن تصل شدة

الصوت(١١٠)ديسيبل ويزيد إزعاجا بالوصول إلى (١٤٠) ديسيبل [1] .

ولم يعرف العلماء حتى الآن طريقة ترجمة الذبذبات إلى أصوات مدركة مفهومة عن طريق المخ الذى ركبه الله تعالى بنظام دقيق .

وللأذن خاصية التمييز بين الأصوات المختلفة ، فهى تستطيع بما أودع الله فيها - أن تفرق بين عدد كبير من الأصوات ، إذا تواردت عليها ، سواء ، كان المتحدث مرئيا أو متواريا من وراء حجاب .

* * *

---

(١) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٣١ والديسيبل : هو الوحدة التى تقاس بها شدة الصوت .

الباب الثاني

أصــوات اللغة العربيــة
وخصائصهـــا

الصوت والحرف والفرق بينهما

اشتقاق الصوت والحرف :

الصوت - كما يقول ابن جنى - مصدر صات الشىء يصوت صوتا فهو صائت وصوت تصويتا فهو مصوت ، وهو عام غير مختص يقال : سمعت صوت الرجل ، وصوت الحمار ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[1] ويقال : رجل صات أى شديد الصوت ، وحمار صات فأما قولهم : لفلان صيت - إذا انتشر ذكره فى الناس فمن هذا اللفظ ، وكأنهم بنوه على (فعل) بكسر الفاء وسكون العين للفرق بين الصوت المسموع ، وبين الذكر المتعالم ، على أنهم قد قالوا أيضا : قد انتشر صوته فى الناس ، يعنون به الصيت الذى هو الذكر ، والصيت فى هذا المعنى أعم وأكثر استعمالا من الصوت ، ولا يستعمل الصيت إلا فى الجميل من الذكر دون القبيح،والصوت مذكر لأنه مصدر بمنزلة الضرب ، والقتل ، والغدر والفقر .

فأما قول رويشد بن كثير الطائى :

يأيها الركب المزجى مطيته سائل بنى أسد ما هذه الصوت

فإنما أنثه لأنه أراد الاستغاثة ، وهذا من قبيح الضرورة ، أعنى تأنيث المذكر ، لأنه خروج عن أصل إلى فرع ، وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير لأن التذكير هو الأصل بدلالة أن (الشىء) مذكر وهو يقع على المذكر والمؤنث ، ومثله ما حكاه الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول : وذكر إنسانا فقال :

فلان لغوب ، جاءته كتابى فاحتقرها فقلت له : أتقول : جاءته كتابى ؟ فقال نعم أليس بصحيفة ؟ ومثل ذلك كثير[2] .

وصات وأصات كله : نادى ، ويقال : صات يصوت صوتا فهو صائت معناه صائح[3] .

---

(١) لقمان : ١٩ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/١١ - ١٥ وابن منظور : لسان العرب ٢/٣٦١ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ٢/٣٦٢ .

فأما الحرف فالقول فيه ، وفيما كان من لفظه أن (ح ر ف) أينما وقعت فى الكلام يراد بها حد الشيء وحدته ، من ذلك حرف الشيء :

إنما هو حده ، وناحيته وطعام حريف يراد حدته ، ورجل محارف أى محدود عن الكسب ، والخير ، ومنه (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أى على غير ثبات ، ولا طمأنينة ولا استحكام بصيرة ، فكأنه معتمد على حرف دينه ، غير واسط فيه ، كالذى هو على حرف الجبل ونحوه ، ومن هنا سميت حروف المعجم حروفا وذلك أن الحرف : حد منقطع الصوت وغايته ، وطرفه ، كحرف الجبل ونحوه ، ويجوز أن تكون سميت حروفا لأنها جهات للكلم ونواح ، كحروف الشيء ، وجهاته المحدقة به ، وكل اشتقاق المادة يدل على هذا المعنى [1] .

● **الصوت والحرف فى اصطلاح علماء الأصوات :**

ربط المحدثون بين الصوت الإنسانى كظاهرة لغوية ، وبين الصوت الطبيعي يقول الأستاذ فندريس « إن ما يسمى صوتا هو الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء ، والذبذبات فى اللغة يحدثها الجهاز الصوتى للمتكلم » [2] .

« فالصوت ليس مادة ، ولكن طاقة أو نشاط خارجى تقوم به أجسام مادية ، ويؤثر فى الأذن تأثيرا يحدث السماع » [3] .

وقد عرفه الدكتور تمام حسان بأنه « العملية الحركية ذات الأثر السمعى ، وهو من أداء المتكلم فى نشاطه اللغوى العادى اليومى ، فكلنا ينطق فى كلامه أصواتا لغوية مسموعة .

وأما الحرف : فهو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف ، إذ قد يشتمل الحرف

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة والتعليق ١/ ١٥ - ١٩ وابن منظور اللسان ١٠/ ٣٨٥ وابن سنان الخفاجى : سر الفصاحة ٥ ، ١٦١٥ .

(٢) فندريس : اللغة ص ٤٣ .

(٣) د . أيوب : أصوات اللغة ص ٢١ .

الواحد على أكثر من صوت واحد ، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة منها ذو الإظهار ، وذو الإخفاء وذو الاقلاب ، وكما يشتمل حرف النون على عدد من الأصوات يأتى كل منها فى بيئة صوتية خاصة ، حتى إن بعض أصوات النون كالذى فى (ينظر) ينطق بإخراج اللسان كإخراجه فى الظاء [1] وهذا يطلق عليه بعض الباحثين اسم (الفونيم) فالفونيم - فى أحد معانيه يقصد به الحرف [2] .

ويبدو لى أن بعض الأقدمين كان يعرف الفروق الدقيقة بين الصوت - فى حقيقته التى هى العملية الحركية ذات الأثر السمعى - وبين الحرف ، كوحدة تجريدية قد تكون ذات صوت واحد ، أو عدة أصوات .

يقول ابن جنى فى تعريف الصوت أنه : (عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده ، واستطالته : فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا [3] .

وبالاستعانة بما ذكر فى تعريف الحرف اللغوى السابق وهو أنه حد منقطع الصوت وغايته وطرفه (٤) نستطيع أن نتبين الفرق الذى تصوره ابن جنى بين الصوت والحرف .

فالصوت نشاط عضوى حركى تنشأ عنه قيم صوتية والحرف هو تلك الوحدة اللغوية المعينة - كالنون أو الباء مثلا - التى توجد عند موقع معين يقف عنده الصوت يطلق عليه اسم المخرج .

---

(١) د . تمام : مقال بمجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٠ هـ - مارس سنة ١٩٦١ م ص ١٠٧٨ وانظر مناهج البحث فى اللغة ١١٤ - ١٢٧ .

(٢) د . تمام : مناهج البحث فى اللغة ص ١٢٦ .

(٣) والضمير فى (له) راجع إلى الصوت ، وفى (عرض) راجع إلى المقطع ومن هنا نفهم أن ابن جنى سمى المقطع هنا حرفا والمعروف أن المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف ، فكلامه لا يستقيم إلا على ضرب من المجاز هو تسمية المحل باسم الحال كقولك انصرف الديوان والمراد : من فيه ، والتجوز غير مستساغ فى التعاريف انظر التعليق فى سر الصناعة ٦/١ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١٦/١ .

وقد أوضح ابن جنى صلاحية الجهاز الصوتى لإنتاج عدد كبير من الأصوات تبعا لهذه المخارج المتعددة فى الحلق والفم والشفتين قال : وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها [١] . . . الا ترى أنك تبتدىء الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أى المقاطع شئت ، فتجد له جرسا ما ، فإن انتقلت عنه راجعا منه ، أو متجاورا له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول وذلك نحو الكاف فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره ، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين [٢] .

وبهذا يفرق ابن جنى بين الحرف - كوحدة لغوية - وبين الأصوات التى يمكن أن تصدر من مخرجه ، تبعا للضغط الواقع عليه .

وأعتقد أن ما وصلت اليه الدراسات الحديثة مبنى على أساس هذا التفريق الذى حدده هذا العالم اللغوى القديم .

بيد أن المحدثين وصلوا إلى بعض تفصيلات أوجدتها الأجهزة العلمية الحديثة التى استخدموها فى دراسة الأصوات .

* * *

« الأبجدية العربية »

احتاج الإنسان منذ وجوده على ظهر الكرة الأرضية إلى إصدار الأصوات اللغوية للتعبير عن أغراضه المختلفة وقد ركب الله تعالى جهاز النطق الإنسانى على هيئة مرنة مرونة عجيبة تسمح له بتكوين شتى الأصوات التى تناسب رغباته فله خواص السعة والضيق واهتزاز الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها والتحكم فى ذلك بما يسمح بمجاراة الأهـــداف البشرية ومن أجـــل هذا شبه ابن جنى الحلق والفم بالناى .

وقد حاول الانسان منذ القدم أن يكون لنفسه طريقة خاصة للتعبير عن أغراضه هى التى عرفت باسم اللغة الإنسانية الأولى وقد ساعدت عوامل البيئات المختلفة - بعد أن تفرق بنو آدم فى أرجاء المعمورة - على اختلاف الأصوات التى اتبعها كل فريق فى وطنـه الجديد ومن هنا تعددت اللغات البشرية .

---

(١) أى مخارجها .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/٦ .

والعرب - شأنهم شأن أية طائفة من هذه الطوائف - قد استخدموا لأنفسهم طريقة صوتية لها اتجاه معين فى التعبير عما يدور بخلدهم وقد استخدموا جهاز النطق الذى وهبهم الله إياه كما استخدمه غيرهم من الناس فى شتى بقاع الأرض إلا أن العرب قد استطاعوا بنظرتهم السليمة وحسهم المرهف أن يبرعوا فى استعمال أعضاء النطق فيما خلقت له « وأن يصدروا ألوانا من الصوت لم يستطع غيرهم أن ينطق بها وكما يقول الأستاذ العقاد : إن « الأمة العربية استخدمت جهاز النطق بما لا يمكن لأى أمة أخرى فى أى لغة من اللغات » (١) .

وهذا الجهاز النطقى مهيأ للعمل فى أوضاع مختلفة وأماكن صوتية متعددة تمتد من الرئتين إلى الفم وتتكون الحروف مع الهواء الخارج من الرئتين أثناء مروره بأعضاء النطق ومواقعها فى الحلق والفم وتعتبر حروف المد حروفا طبيعية فى المنطق حيث تخرج مع الهواء دون عائق ثم يتلوها فى التكون حروف الحلق (لقربها من مصدر الصوت) ثم تكونت باقى الحروف على نظام طبيعى بطىء وذلك بارتقاء أوتار الصوت وتفنن الإنسان فى توقيع الأصوات عليها (٢) .

ومن هنا تفاوتت الشعوب فى التفنن فوجدنا شعوبا لا تتمكن من إصدار بعض الحروف التى تمكن غيرهم من النطق بها « فبعض القبائل فى أواسط أفريقية لا يستطيعون النطق بالحروف الشفوية ولا توجـد فى أبجديتهم وهى «ف · ب · م و · » وبعض هنود كولومبيا لا يمكنهم النطق بالحروف « · ف ج · د · و » ومعظم الاستراليين لا ينطقون بحروف الصفير «س · ز · ض » ولا هذه الحروف « ش · ث · ط » والنيوزيلانـديون ليس عنـدهم هذه الحروف « ب · س · د · ف ح · ج · ل · ق · ص · و · ى » ·

والهيروغليفية - وهى اللغـة المصرية القديمـة - ليس فيها « ب · ج · د · ز · ظ · ص » (٣) .

---

(١) العقاد : اللغة الشاعرة ١٢ ·

(٢) مصطفى الرافعى : تاريخ آداب العرب ١/ ١٠٠ ·

(٣) جرجى زيدان : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ص ٩ ·

والرافعى : تاريخ آداب العرب ١/ ١٠٠ ، ١٠١ ·

ولكن الأبجدية العربية قد شملت كل الحروف التى يمكن النطق بها وقد حافظت - مع ذلك - على الوضوح الكامل وعدم الالتباس فى مخارج الأصوات وهى بهــذا ـ تمتاز من جميع الأبجديات فى لغات العالم قديما وحديثا .

فليس فى اللغة العربية حرف يلتبس من مخرجين وليس فى النطق العربى مخرج ينطق فيه حرفان وليس فى اللغة العربية حرف يستخدم مخرجين كحرف (بس) فى اللغة اليونانية وهو مختلط من الباء الثقيلة والسين وليس فيها حرف يعبر عنه بحرفين كالذال أو التاء اللذين يكتبان بما يقابل عندنا التاء والهاء TH ويتغير النطق بهما فى مختلف الكلمات ، ولا تزدحم أصوات الحروف فى اللغة على مخرج واحد كما تزدحم الفاء والثاء الثقيلة - والباء والباء الثقيلة » مع ترك مخارج الحلق مهملة [1] .

ومن هنـــا نقف على مقدار حرص العـــرب على إخراج كل حـرف من موضعه المناسب جريا على الأصوال الفنية الصوتية وتبعا للتفنن اللغوى الموسيقى الذى بنى العرب عليه لغتهم الفصحى .

والذى نلاحظه أن اللغة العربية بأبجديتها المعروفة ليست أكثر حروفا من الأبجديات فى اللغات الأخرى كالهندية الجرمانية أو اللغات الطورانية أو اللغات السامية الأخوات بل إن بعض الأبجديات العالمية تزيد بكثير فى عدد الحروف عن الأبجدية العربية فاللغة الروسية « مثلا » تبلغ عدة حروفها خمسة وثلاثين حرفا وقد تزيد ببعض الحروف المستعارة من الأعلام الأجنبية عنها [2] .

ولكن هذه الحروف على كثرتها تتكون بطريق الضغط على مخرج صوتى واحد كالضغط على الآلات « دون أن يستدعى ذلك افتنانا فى تخريج الصوت الناجم من الأجهزة الصوتية ، وكثير من تلك الحروف مجرد حركات مختلفة

---

(١) العقاد : اللغة الشاعرة ٥١ ، ٥٢ .

(٢) ويقول الأستاذ العقاد فى مقال له بمجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـ - نوفمبر ١٩٦٢ بعنوان الأبجدية العربية أكمل الأبجديات : « إن الأبجدية الروسية أنقص حروفا من الأبجدية العربية وإن زادت علامات الأحرف بها عن علامات الأحرف عندنا » ص ٣٩٢ .

لحرف واحد مثل (يا) (يو) (تس) و (ب . ب « ثقيلة » ف . ف « ثقيلة ») باختلاف نطقها .

وهذا الاختلاف فى الضغط أو الحركة - كما يقول الأستاذ العقاد - يمكن أن تبلغ به حروف الأبجدية خمسين وستين ولكنها لا تدل على تنوع مفيد لمخارج النطق الإنسانى على حسب الملكة الموسيقية الكامنة فى استعداده [1] .

ولكن الأبجدية العربية تعتمد فى تكوين حروفها على هذه الموسيقية التى لم تتوافر لسواها من اللغات ويتبين ذلك من ملاحظتنا للحروف الهجائية فيها مثل حروف الباء والتاء فإن الباء قريبة من مخرج التاء وإن التاء والثاء لتتقاربان حتى ليقع بينهما الإبدال فى كثير من الكلمات وكذلك الشبه بين تلك الحروف : ح خ . د ذ س ش - ص ض - ط ظ - ع غ - ق ك - ل م ن - فهى على ما نرى - متقاربة فى اللفظ والنسق والشكل .

ومن هنا وصف الأستاذ العقاد العربية بأنها لغة شاعرة « بنيت على نسق الشعر فى أصوله الفنية والموسيقية فهى فى جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات ولا تنفصل عن الشعر فى كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء [2] .

ويقول الأستاذ العقاد أيضا « فإذا كان الشعر روحا يكمن فى سليقة الشاعر حتى يتجلى قصيدا قائم البناء فهذا الروح فى الشعر العربى يبدأ عمله الأصيل مع لبنات البناء قبل أن تنتظم منها أركان القصيد [3] .

نعم إننا نسلم بأن بعض الحروف قد التبس نطقها مثل القاف التى بين الجيم والكاف والجيم التى كالكاف والجيم التى كالشين والطاء التى كالتاء والظاء التى كالثاء والباء التى كالميم ولكن هذا الالتباس ليس إلا فى لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة - كما يقول عالمنا ابن جنى [4] .

ونحن بصدد الحديث عن العربية النموذجية بعد تهذيبها وتنقيتها وبلوغها ذروة الفصاحة والبلاغة .

---

(١) العقاد : اللغة الشاعرة ٨ ، ٩ .

(٢) نفسه ص ٨ .

(٣) نفسه ص ١١ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥١ .

وقد وجدنا أن اللغة العربية تستخدم فى أبجديتها حروف الحلق بما لم يتيسر لغيرها من اللغات ولذلك تلتبس الحروف عند الأمم غير العربية لإهمال مخرج الحروف الحلقية فى تقسيم حروف الكلمات [1] وبعض الباحثين يرى أن حروف الحلق ظهرت فى اللغة العربية لأن مناخ الجزيرة العربية معتدل وقد ساعدهم ذلك على فتح الأفواه بالنداء « فاستخدموا الحلق فى أداء الحروف لأنهم لا يخشون أن تنفتح حلوقهم للهواء البارد أيام الشتاء كما يخشى المتكلمون ذلك ولا سيما الصائحون بالكلام من أمم الأقاليم الباردة ·

والعرب رعاة إبل وشاة وهم قد تعودوا أن يسمعوا من أصواتها ما يشبه الخاء والعين والقاف فأصبحت تسرى إلى ألسنتهم بعد أن وردت على أسماعهم وتعودوا النطق بالحروف التى أهملها غيرهم لأنه لا ينطق بها ولا يسمعها»[2] ·

وقد نقض الأستاذ العقاد هذا الرأى بما هو واضح للعيان · فالأقاليم المعتدلة كجزيرة العرب كثيرة فى أقطار العالم والبلاد الباردة لا يمتنع فيها فتح الحلق طوال العام وتكفى فيها شهور الربيع والصيف والخريف لتعود النطق بالحروف الحلقية ثم اتباع هذه العادة فى سائر الشهور والرعاة - رعاة الإبل والشاه - قد أقاموا فى بلاد كثيرة غير البلاد العربية وحروف الحلق لا تنحصر فى الخاء والعين والقاف التى تسمع أحيانا فى أصوات الإبل والشاة [3] ·

وترجع أسرار فصاحة اللغة العربية واستقلال مخارج الحروف فى أبجديتها ووضوحها وعدم وقوع الالتباس بينها واشتمالها على سائر الحروف التى لم توجد فى غيرها من اللغات ترجع إلى عوامل أشار إليها الأستاذ العقاد ونحن نجملها فيما يلى :

١ - أن تطور اللغة العربية قد تم بالمشاركة بين كثير من القبائل التى تتكلمها وتنطق بلهجاتها وقد تم بين العرب وهم منعزلون فى جزيرتهم عن الأمم الأجنبية ·

(١) العقاد : مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ - نوفمبر سنة ١٩٦٢ م من مقال بعنوان « الأبجدية العربية أكمل الأبجديات » ص ٣٩٢ ·

(٢) العقاد : مجلة الأزهر عدد رجب سنة ١٣٨٢ هـ - ديسمبر سنة ١٩٦٢ م ص ٤٣٢ ·

(٣) نفسه ص ٤٣٣ ·

وقد وجدت فى الجزيرة البريطانية لهجات متعددة ولكنها لم تكن لهجات للغة واحدة بل كانت تنتسب إلى لغات شتى ولذلك لم تخلص مزايا التطور فيها على قاعدة واحدة .

٢ - تأخر الكتابة عن الخطابة زمنا طويلا بين قبائل جزيرة العرب فأدى ذلك إلى موت اللهجات المرذولة ولم يثبت من الكلام المنطوق غير ما حسن تدوينه بالكلام المكتوب . ولو تقدمت الكتابة بضعة قرون بين القبائل لاستقرت فى اللغة تلك اللهجات المعيبة التى تكلم بها أبناء القبائل زمنا طويلا قبل أن تتغلب عليها لهجات التصفية والتهذيب .

٣ - اللغة العربية تهذبت فى عزلتها أما اللغات السامية الأخرى فقد اختلطت فى الأقطار الآسيوية والأفريقية المتباعدة التى هاجرت إليها فظلت على حالة النقص التى توقفت بها عن التطور مجاراة لغيرها من لغات الأمم التى أحاطت بها وأثرت فيها .

٤ - وكان للطبيعة الجغرافية أثر أيضا فى تلك الفصاحة فقد عاش العربى فى الصحراء أحوج ما يكون إلى السمع الدقيق بين الأودية والهضاب حذرا من عوادى الحيوان والإنسان ومن ضلال الطريق بين الأهوية والأنواء فاكتسب مزية السمع المرهف وما يصحبه من مزية التفرقة بين الأصوات بل بين الهمسات والأصداء فتعود العربى أن يميز بين درجات الصوت المتقارب فى الزاى والذال والظاء والجيم المعطشة وبين السين والصاد والثاء والشين .

وهى - ولا شك - تلك الحاسة التى يعرفها الموسيقيون وينسبون إليها وجود ربع المقام فى الأنغام العربية حيث يختفى من أنغام الموسيقى الأوربية .

ثم يعلق الأستاذ العقاد على ذلك قائلا :

وكل أولئك من الأسباب العلمية الطبيعية التى تعفى المتفرنجين بيننا من مئونة هز الكتفين إذا سمعوا يوما أن لغتهم العربية أفصح اللغات [١] .

ويقول أيضا : قوام النطق الإنسانى العظيم أن فيه جميع مخارج

---

(١) العقاد : مجلة الأزهر العدد السابق ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

الأصوات وأن تخلص فيه مواقع الحروف بغير لبس ولا اختلاط ، وهذه هى مزية الأبجدية العربية التى يحق لنا من أجلها أن نحسبها أكمل الأبجديات وأن نستشهد لذلك بالشواهد العضوية الحيوية أو الشواهد البيولوجية الفزيولوجية كما نقول فى مصطلحات العلم الحديث لأن جهاز النطق الإنسانى وتوزيع مخارج النطق عليه حقيقة من حقائق العلم والحياة لا تزيد عليها ولا تنقص منها مفاخر الأجناس والأنساب ولا دعاوى اللغات واللغويين (١) .

وأنا مع الأستاذ العقاد فى تفوق الأبجدية العربية على غيرها من الأبجديات العالمية فصاحة وبلاغة لوضوح أصواتها واستقلال مخارجها وفيما أرى ذلك ثابت بالنطق لحروفها وحروف غيرنا وأن الكلمات العربية ليظهر عليها طابع السحر والعذوبة فى أصواتها ونظمها ، وقد غزت اللغة العربية شعوبا كثيرة فتغلبت على لغاتها فى وقت قصير كالفارسية والرومية والقبطية وغيرها .

والناظر فى تاريخ اللغة العربية يرى أن أكثر علمائها الذين ضربوا بسهم وافر فى إجادتها وتفصيل قواعدها ومناهجها كانوا من الأعاجم الأجانب عنها بيد أنهم ارتضعوا أفاويق المنطق العربى والبلاغة العربية من أمثال الكسائى وشيخ النحاه سيبويه وعالمنا اللغوى الكبير ابن جنى وأستاذه أبى على الفارسى . وقد قال ابن جنى فى ذلك :

لو أحست العجم بلطف صناعة العرب فى هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقديم لها والتنويه منها (٢) ويقول أيضا : إنا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمى وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده فى نفسه وتقدم لطف العربية فى رأيه وحسه (٣) .

وإننا نشاهد فى العصر الحديث أن الأجانب يستطيعون - بيسر وسهولة - تعلم اللغة العربية ، والتفوه بها قبل أن يجيدوا لغاتهم أنفسها .

---

(١) العقاد : مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ - نوفمبر سنة ١٩٦٢م من مقال بعنوان الأبجدية العربية أكمل الابجديات ص ٣٩٣

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢٤٢/١ .

(٣) نفسه ٢٤٣/١ .

ومن هذا يتضح ما أردنا إثباته ، وهو أن الحروف العربية التى هى أساس البناء العربى تقف فى الصدارة بين حروف الأبجديات الإنسانية ·

عدد الحروف الأبجدية العربية وترتيبها (١) .

قرر القدامى « أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفا أولها الألف وآخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم (٢) ، وهناك حروف تفرعت عن التسعة والعشرين بعضها مستحسن ، وبعضها مستقبح لا يكون إلا فى لغة ضعيفة ، وسنذكر ذلك تباعا ·

الهمزة والألف :

نظرا لما حدث من خلط بين الهمزة والألف فى دراسات بعض علماء العربية الأقدمين فإننا نعرض ما قيل فيهما قديما وحديثا ، ونناقشه ونستخلص النتائج التى تزيل هذا اللبس ·

فقد نقل عن أبى العباس المبرد أنه يعد الأبجدية ثمانية وعشرين حرفا ويجعل أولها الباء ، ويدع الألف من أولها ، ويقول : هى همزة ، ولا تثبت على صورة واحدة ، وليست لها صورة مستقرة ، فلا يعتدها مع الحروف التى أشكالها محفوظة معروفة (٣) ·

وإخراج أبى العباس الهمزة من بين الحروف أمر يستحق المناقشة وبيان الصواب فى ذلك ·

ويجعل ابن جنى الألف صورة للهمزة ، ويدلل على ذلك بأمرين :

١ - الهمزة إذا أريد تحقيقها ألبتة وجب أن تكتب ألفا على كل حال ، وذلك إذا وقعت موقعا لا يمكن فيه تخفيفها ، ولا تكون فيه إلا محققة وذلك

---

(١) تسمى أيضا حروف المعجم ، ومادة (عجم) - كما قال ابن جنى - تفيد الإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح ، ولكنها قد تأتى للسلب ، والنفى مثل : أشكيته : أزلت شكواه فأعجمته - على هذا - أزلت عجمته وخفاءه ، وحروف المعجم من ذلك ، فبنقط الكثير منها يزول إعجامها وخفاؤها · انظر : ابن جنى : سر الصناعة ١/٣٨ - ٤٥ ·

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٤٦ والخليل : العين ١/ ٦٤ ·

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٤٦ وابن يعيش ، المفصل ١٠/ ١٢٦ ·

إذا وقعت أولا نحو (أخذ) و (أخذ) بضم الهمزة وكسر الخاء و « ابراهيم » وعلى هذا وجدت فى بعض المصاحف (يستهزأون) بالألف قبل الواو ، ووجد فيها أيضا (وإن من شيأ إلا يسبح بحمده) بالألف بعد الياء ، وإنما ذلك لتوكيد التحقيق .

وهذه العلة لم يدع ابن جنى أنه انفرد بها بل صرح بأنها وردت فى بعض كلام أبى بكر محمد بن السرى رحمه الله ، ورآها ابن جنى أيضا فى بعض كلام القراء وكل ذلك من قبيل توارد الأفكار وقد قال ابن جنى : فلا أدرى أأصاب أبا بكر مع القراء ما أصابنى أنا من المواردة له أم هو شىء سمعه فحكاه واعتقده ؟ .

٢ - كل حرف سميته ففى أول حروف تسميته لفظه بعينه ، ألا ترى أنك إذا قلت (جيم) فأول حروف الحرف (جيم) وإذا قلت (دال) فأول حروف (دال) وإذا قلت حـــاء فأول ما لفظت به (حـــاء) وكذلك إذا قلت (ألف) فأول الحروف التى نطقت بها همزة فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفا [١] .

وفى الواقع إن هذا التصور عن العلاقة بين الهمزة والألف ، وعدم التمييز بينهما تميزا كاملا ناشىء عن أصل نطق الهمزة وصورتها فى الكتابة منذ الوضع اللغوى القديم ، فلم يكن اسم الهمزة معروفا فى ذلك الوقت،وإنما كان يعبر عن صوتها المعروف الآن ، وهو الصـوت الاحتباسى الحنجرى occlusive كان يعبر عن هذا الصوت قديما بالألف سواء فى العربية أو فى غيرها من الساميات فهو فى العبريـــــة (أليف) - بإمالة حـــركة اللام - وفى الآرامية (آلف) وفى الحبشية (ألف) - بسكون اللام - غير أنه أخذ يضعف فى

---

(١) ابن جنى / سر الصناعة ٤٦/١ ، ٤٧ ويقول ابن يعيش الهمزة يقال لها الألف وإنما سموها ألفا لأنها تصور بصورة الألف ، فلفظها مختلف ، وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة كالباء والتاء والثاء والحاء لفظها كلها مختلف وصورتها واحدة . المفصل ١٢٦/١٠ .

الآرامية حتى فقد تقريبا كل قيمته الصوتية كساكن Savaleur consonantigue بل لقد مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منه فى النطق ، إلا أن العربية الفصحى قد احتفظت بهذا الصوت الاحتباسى الحنجرى [١] .

ولما بدأ العرب يكتبون لغتهم استعملوا الخط الآرامى فى بداية القرن الثالث الميلادى ، وعندما أرادوا كتابة هذا الصوت الاحتباسى الحنجرى لم يجدوا مقابلا له لأن صوت (ألف) قد اختص بالحركة الطويلة (الفتحة) فأطلقوا على صوت الاحتباس الحنجرى اسما جديدا خاصا به هو اسم (الهمزة) فتسمية هذا الصوت باسم الهمزة حديث نسبيا على ما قرره كانتنيو [٢] .

ويؤيد ذلك أن الهمز فى اللغة العربية لم يكن يعنى الصوت الحنجرى ، والاحتباسى المعروف ، وإنما هو وصف لكيفية نطقية لا تختص فى ذاتها بصوت معين ، وتذكر المعاجم العربية أن الهمز مثل الغمر والضغط تقابله كلمة عربية أخرى هى النبر التى يقابلها بالانجليزية كلمة STRESS وبالفرنسية كلمة ACCENT ومعنى ذلك أن الهمز والضغط والنبر بمعنى واحد .

وعلى هذا عرف الهمز - بالمعنى اللغوى العام - بأنه : كيفية فى أداء الكلام وبعبارة أدق كيفية فى نطق الحروف أو الأصوات اللغوية حين يخصها الناطق بمزيد من التحقيق ، والضغط لا يستأثر بذلك حرف دون آخر ، فإذا ضغط على مقطع الالف فى بدايته كانت الألف مهموزة [٣] .

وهذا اللون من الضغط قد سماه القدماء أيضا همزة ، كحديث ابن جنى عما سماه همزة التذكر وليس فى الكلام همزة بالمعنى الاصطلاحى المعروف بل لا يعدو الأمر أن يكون مطلا لإحدى الحركات فى آخر الكلمة فهو يقول : مثلا - وهمزة التذكر نحو : إلى وقدى ، فإذا وصلت سقطت نحو الخليل وقد قام ومن قرأ (اشتروا الضلالة) قال فى التذكر اشتروا ومن قرأ (اشتروا الضلالة) بكسر الواو - قال فى التذكر اشتروى ، ومن قال : (اشتروا الضلالة) بفتح

---

(١) د . عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ١٧ ، ١٨ .
(٢) نفسه ١٨ .
(٣) نفسه ٢١ ، ٢٢ ، وابن منظور : اللسان ٧/ ٢٩٣ .

الواو قال فى التذكر : اشـتروا ٠ ٠ ٠ فهـــذه طريقة هـــذه الحركات فى الكلام [١] .

ولكون الألف أكثر تعرضا للضغط أطلقوا عليها تلك الصفة ، وهى الهمزة وتسمى فى الدراسات الحديثة الاحتباس الحنجرى أو الحبسة الحنجرية .

ويؤيد عدم معرفة العربى بالهمز - بمعنى الصوت الحنجرى المعروف - ما روى من أن أحد اللغويين سأل رجلا من قريش « أتهمز الفأرة » فلم يفهم الرجل ، وأجاب ساخرا « إنما يهمزها القط » فاللغوى كان يقصد المعنى الاصطلاحى الذى هو ضد التسهيل ، ولكن القرشى لم يكن يعرفه ، فجرى على طبيعته اللغوية ، وهو أن الهمز هو الغمز،والضغط ، والخنس، والدفع ، والضرب والعض » [٢] .

ونخلص من ذلك إلى أن اسم الهمزة ، وإطلاقه على هذا الصوت المعروف قد برز فى زمن متأخر بعد أن أصبحت الألف خاصـــة بالفتحة الطويلة ، ولكن الأمر ظل مختلطا على اللغويين العرب فظلوا يربطون بين الألف والهمزة ، وإن كانوا قد فرقوا بينهما مخرجا فنحن نـــرى ابن جنى - على الرغم من قوله « إن الألف هى صورة الهمزة - قد فرق بين الهمزة كصوت احتباسى وبين ألف المد فقال : (فأما المدة التى فى نحو قام وسار وكتاب وحمار فصورتها أيضا صورة الهمزة المحققة التى فى أحمد وابراهيم وأترجه إلا أن هذه الألف لا تكون إلا ساكنة فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة ، وإن اختلف مخرجاهما [٣] .

وقد ترتب على هذا الخلط اعتبارهم للألف والواو والياء أنها أصوات ساكنة ، مع أنهم قالوا : إن الحركات أبعاض حروف المد [٤] .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/٣٣٧ وحذفت ألف (اشتروا) فى حالة النصب للدلالة على حذفه فى النطق انظر التعليق بالصحيفة السابقة .

(٢) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ٨٤ ، ٨٥ وابن منظور : اللسان ٧/٢٩٢ - ٢٩٤ .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/٤٦ .

(٤) د . شاهين : القراءات القرآنية ٢٣ .

ومن نتائج هذا الخلط ما نراه فى كتب القدماء من ذكرهم الألف بين حروف الحلق ، فسيبويه يقول : وللحروف العربية ستة عشر مخرجا ، فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجا الهمزة والألف والهاء فيعد الألف من حروف الحلق [1] وكذلك ابن جنى يقول ثلاثة منها فى الحلق ، فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف ، والهاء هكذا يقول سيبويه [2] .

ويمكن تخريج كلام هذين العالمين الجليلين على أنهما ذكرا الألف فى حروف الحلق لا لأن مخرجها منه بل تفسيرا للمقصود من كلمة (الهمزة) التى - فيما يبدو - كانت مصطلحا صوتيا غير مألوف فى تلك الأيام ، أو حديث العهد بين الدارسين ، فاقتضى توضيح صوت الهمزة ذكر مرادف له أكثر شهرة ، وألفة ، وهو كلمة « الألف » [3] .

ويستأنس لذلك بتفريق القدماء بين الهمزة ، والألف الساكنة .

فقد ذكر ابن جنى - فى معرض رده على تصور المبرد للألف بأنها هى الهمزة - إن لكل من الهمزة والألف وجودا فى اللغة تبعا للفظ والنطق ، لا الكتابة وعدم الثبات على صورة واحدة ، فالهمزة تعد من الحروف الهجائية « لأن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها لما كانت موجودة فى اللفظ الذى هو قبل الخط والهمزة أيضا موجودة فى اللفظ كالهاء والقاف وغيرهما ، فسبيلها أن تعتد حرفا ، كغيرها فأما انقلابها فى بعض أحوالها لعارض يعرض لها من تخفيف أو بدل ، فلا يخرجها من كونها حرفا ، وانقلابها أول دليل على كونها حرفا ، ألا ترى أن الألف ، والواو والياء ، والتاء ، والهاء ، والنون ، وغيرهن قد يقبلن فى بعض الأحوال ، ولا يخرجهن ذلك من أن يعتدن حروفا ، وهذا أمر واضح غير مشكل » [4] .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ . (٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٢ .

(٣) ولذلك نرى أن المتأخرين لما وضحت لديهم هذه الحقيقة رجعوا عن هذا الخلط إذ لا نجد إشارة للألف بين أصوات الحلق فى كتبهم ككتاب النشر فإنه ينص على حروف الحلق الستة (د هـ - ع ح - غ خ) ولا يذكر بينها الألف انظر ابن الجزرى : النشر ١/١٩٦ ود . أنيس : الأصوات اللغوية ص ٨٤ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/٤٨ .

كما أكد أن حرف المد (الألف) ثابت بين حروف الهجاء ، فهو واضح من الوضع الهجائى النطقى إذ هو صوت ساكن ، وقد حاول واضعو الحروف الهجائية تمثله للناطقين « فواضع حروف الهجاء لما لم يمكنه أن ينطق بالألف التى هى مدة ساكنة لأن الساكن لا يمكن الابتداء به دعمها باللام قبلها متحركة ليمكن الابتداء بها فقال (هـ و لا ى) فابتدأ باللام ثم جاء بالألف بعدها ساكنة ، ليصبح لك النطق بها كما صح لك النطق بسائر الحروف غيرها وهذا واضح [(١)] .

ولذلك يحذرنا ابن جنى من أن نقول « لام ألف » كما يقول المعلمون ، بل يجب أن نقول « لا » فقط [(٢)] .

ويخامرنا الشك فى تفسير ذكر الألف فى حروف الحلق على النحو السابق لأنهما لو أراداه لقالا : الهمزة وهى الألف ، أو الهمزة التى هى الألف ونحو ذلك . ولكن إثبات العذر لهم أولى .

على أن هذا الخلط أيضا تبدو له صورة أخرى حين قال ابن جنى « لما لم يمكن النطق بالألف التى هى مدة ساكنة قدم واضع حروف الهجاء قبل الألف لاما توصلا إلى النطق بالألف الساكنة فقال (لا) كما توصلوا إلى النطق بلام التعريف بأن قدموا قبلها ألفا نحو الغلام والجارية لما لم يمكن الابتداء باللام الساكنة أيضا (٣) فقد وازن بين همزة الوصل والألف فى (لا) وهما مختلفان نطقا ، يقول ابن سنان الخفاجى : إن التى مع اللام - فى الرجل والجارية - هى الهمزة وليست الألف الساكنة التى جاءت اللام معها فى - لا - فكيف تجعل العلة ورود اللام هنا مع الألف وورود الهمزة هناك مع اللام وليس بين الموضعين تناسب ولا معارضة كما ذكرت ؟ وهل يصح أن يقال إن الألف الساكنة - التى لا يمكن أن يبتدأ بها فى النطق بل يحتاج إلى حرف قبلها -

---

(١) نفسه ١/٤٨ ، ٤٩ .

(٢) نفسه الجزء المطبوع ١/٤٩ ومخطوطة دار الكتب ص ٢٢٢ .

(٣) نفسه ١/٤٩ ، ٥٠ .

يتوصل بها إلى النطق بلام التعريف التى هى ساكنة مثلها وكل من الحرفين يحتاج إلى ما يحتاج إليه الآخر ؟ [1] .

وبهذا صرح الصبان حين قال إنه « يرد عليه أن اللام فى نحو الغلام مع الهمزة لا مع الألف اللينة . وقد أجاب على هذا الاعتراض بما يفيد أن الألف شاملة للاثنين فى نظر القدماء وهذا هو معنى الخلط وعدم التمييز يقول : وقد يجاب بأنه يكفى فى ذلك أن كلا من الهمزة والألف اللينة يسمى ألفا [2] ، وعلى كل حال فللعلماء العرب عذر واضح ناشىء عن حداثة التسمية بالهمزة لهذا الصوت وقد كانت الألف هى الرمز الحقيقى لذلك الصوت ولذلك قال التفتازانى فى حاشية الكشاف : الألف اسم للمدة التى هى أوسط حروف جاء والهمزة التى هى آخرها بدليل قولهم الألف واللام للتعريف وألف الوصل تسقط فى الدرج وقولهم الألف على ضربين لينة ، ومتحركة فاللينة تسمى ألفا والمتحركة تسمى همزة والهمزة اسم مستحدث لا أصلى وإنما يذكر فى حروف التهجى اسم الألف لا الهمزة ، ومن هنا يرى القراء ترادف الهمزة والألف فيقول الهمزة هى الأصل والألف الساكنة هى الهمزة ترك همزها [3] ، وأيا ما كان الأمر فالهمزة والألف كلاهما من حروف المعجم التى تبلغ - كما يقول القدماء - تسعة وعشرين حرفا ، وقد ذكروا فروعا لهذه الحروف التسعة والعشرين وقسموها إلى نوعين مستحسنة ومستقبحة وإليك تفصيلها :

● **الحروف المستحسنة هى :**

١ - الهمزة المخففة وهى التى تسمى همزة بين بين ومعنى ذلك أنها تكون بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركتها إن كانت مفتوحة فهى بين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة فهى بين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فهى بين الهمزة والواو ، فالمفتوحة نحو قولك فى سأل : سال والمكسورة نحو قولك فى

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ص ٢٠ وقد ذكر أن واضع الخط أتى باللام للتواصل إلى النطق بألف المد الساكنة لغير علة كما خص بعض الحروف بشكل دون بعض لغير سبب وأمثال هذا الذى لا يعلل كثيرة لا تحصى (نفسه ٢١) .

(٢) الأشمونى بحاشية الصبان ٤/٢٨٧ .

(٣) الأشمونى بحاشية الصبان ٤/٢٨٦ ، ٢٨٧

سئم : سيم والمضمومة نحو قولك فى لؤم : لوم ، وليس لهذه الهمزة تمكن المحققة مع أنها بزنتها فهى وإن قربت من الساكن فإنها فى الحقيقة متحركة ويدلك على ذلك أنك تعتمدها فى وزن العروض حرفا متحركا وذلك نحو قول كثير :

أ ان زم أجمال وفارق جيرة   وصاح غراب البين أنت حزين

ألا تـرى أن وزن قولك « أ ان زم » فعـولن فالهمزة إذا مقـابلة لعين « فعولن » وهى متحركة كما ترى [١] .

ومعنى قول سيبويه بين بين أى هى ضعيفة ليس لها تمكن المحققة ولا خلوص الحرف الذى منه حركتها [٢] .

٢ - الجيم التى تقرب من الزاى كما فى أجدر [٣] .

٣ - الشين التى كالجيم وهى التى يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم [٤] كقولك فى أشدق أحدق [٥] .

٤ - الشين التى تقرب من الزاى كما فى أشدق فتضارع بها الزاى والبيان أكثر وأعرف [٦] وهذا عربى كثير [٧] .

٥ - الصاد التى كالزاى وهى التى يقل همسها ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاى وذلك قولك فى يصدر : يصدر وفى قصد : قصد [٨] ومن العرب من يخلصها زايا فيقول : يصدر وفى وقالوا فى مثل لهم « لم يحرم من فزد له » [٩] وإنما تقلب الصاد زايا أو تشم رائحتها قبل الدال فإن وقعت قبل غيرها لم يجز ذلك فيها [١٠] .

---

(١) ابن جنى: سر الصناعة ١/ ٥٣ ، ٥٤ . (٢) نفسه ١/ ٥٥ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢٧ . (٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٦ .

(٥) ابن يعيش : المفصل ١٠/ ١٢٧ . (٦) يريد نطقها شينا خالصة .

(٧) يقصد المضارعة التى تحدث عنها وانظر سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢٧ .

(٨) يلاحظ القارىء أن النطق بالصاد هنا بين الصاد والزاى .

(٩) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٦ .

(١٠) نفسه ١/ ٥٧ .

٦ - النون الخفيفة ويقال لها الخفية وهى الساكنة ومخرجها من الأنف والخياشيم كالنون فى منك وعنك [١] ، وأما المتحركة فمن حروف الفم إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف [٢] .

٧ - ألف الإمالة وهى التى نجدها بين الألف والياء نحو قولك فى عالم وخاتم : عالم وخاتم [٣] .

٨ - ألف التفخيم وهى التى نجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم سلام عليك وقام زيد وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو لأن الألف مالت نحو الواو كما كتبوا إحداهما وسواهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة [٤] ومن هذا يتبين أن الإمالة كما تكون من الفتح إلى الكسر تكون أيضا من الفتح إلى الضم ولكن القراء عنوا بالإمالة الأولى فقط .

فهذه أحوال الحروف التى هى فروع مستحسنة وبهذا تصبح حروف الهجاء سبعة وثلاثين حرفا وهذه الثمانية حسنة يؤخذ بها فى القرآن وفصيح الكلام [٥] .

● **وأما المستقبحة فنفصلها على الوجه التالى :**

١ - الباء التى كالفاء فى نحو أصبهان وبلخ وهى على ضربين أحدهما لفظ يكون الباء أغلب عليه من الفاء كحرف p والآخر لفظ يكون الفاء أغلب عليه وهما حرفان ومن حروف المعجم سوى الباء والفاء المخلصين .

٢ - الباء التى كالميم ذكرها ابن جنى بين الحروف المستقبحة [٦] وهى فى

---

(١) وتكون مع خمسة عشر حرفا هى : ت . ث . ج . د . ذ . ز . ش . ص . ض . ط . ظ . ف . ق . ك . ابن يعيش المفصل ١٠/١٢٦ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٣ . (٣) نفسه ١/٥٥ .

(٤) المصدر السابق ١/٥٠ ، والمفصل ١٠/١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) سيبويه الكتاب ٢/٤٠٤ وابن دريد : الجمهرة ١/٥ وابن فارس : الصاحبى ٥٣ وابن يعيش : المفصل ١٠/١٢٧ ، ١٢٨ والرافعى : تاريخ آداب العرب ١١٢ .

(٦) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥١ .

بعض لهجات مازن - كما يقول الأستاذ العقاد - ويبدو أنه يقصد قولهم باسمك فى ما اسمك [1] .

٣ - الجيم التى كالشين وينطق بها كذلك إن كانت ساكنة وبعدها تاء أو دال مثل اجتمعوا وأجدر يقال فيهما اشتمعوا وأشدر والفرق بين هذا الحرف وبين الشين التى كالجيم حتى جعل الأول من الحروف المستقبحة والثانى من الحروف المستحسنة أن الأول كره فيه الجمع بين الشين والدال لما بينهما من التباين فالشين مهموس رخو والدال مجهور شديد وأما إذا كانت الجيم مقدمة فليس بينهما من التنافى والتباعد ما بين الشين والدال [2] .

٤ - الجيم التى كالكاف وكانت شائعة فى اليمن وهى الآن موجودة بكثرة عند أهل البحرين مثل رجل وجمل يقولون فيهما ركل وكمل [3] .

٥ - الصاد التى كالسين مثــل قولهم فى صـالح سالح وهى من لغة بنى العنبر « وليس فى حسن إبدال الصاد من السين لأن الصاد أصفى فى السمع من السين وأصغر فى الفم » [4] .

٦ - الضاد الضعية وقد حدد سيبويه موطن خروجها بأنها تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة وقال الفارسى كما إذا قلت(ضرب) ولم تشبع مخرجها أى الضاد ولا اعتمدت عليه ولكن تخف وتختلس فيضعف إطباقها ويذكر ابن يعيش أنها من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء .

٧ - الطاء التى كالتاء وهى لكنة أعجمية عند أهل المشرق لأنهم لا

---

(١) مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ ص ٣٩٣ .

(٢) ابن يعيش : المفصل ١٢٧/١٠ .

(٣) ابن دريد : الجمهرة ٥/١ وابن فارس : الصاحبى ٥٣ ، ٥٤ وابن يعيش : المفصل ١٢٧/١٠ .

(٤) ابن يعيش : المفصل ١٢٨/١٠ .

يستطيعون نطق الطاء فيتكلمون هذا النطق فيقولون فى سلطان سلتان وفى طالب : تالب بتفخيم قليل ·

٨ - الظاء التى كالثاء وينشأ هذا الحرف من المبالغة فى إفشاء الظاء فتخرج كأنها ثاء مفخمة مثل قولهم فى ظلم : ثلم ·

٩ - الكاف التى بين الجيم والكاف وهو مثل الجيم المصرية فى النطق مثل جافر فى نطق كافر وهو من لغات اليمن وبغداد (١) ·

١٠ - حرف بين الكاف والقاف وقد ذكره ابن دريد وابن فارس قالا « فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيغلظ جدا فيقولون الكوم يريدون القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف » وهذه لغة معروفة فيهم قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم قد تضجت   ولا أكول لباب الدار مكفول

يريد فى كل ذلك القاف (٢) ·

١١ - الواو التى كالياء فى نحو مررت بمذعور وهذا ابن بور ، نحوت بضمه العين والياء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلة فكذلك الواو أيضا بعدها هى مشوبة بروائح الياء وهذا مذهب سيبويه وهو الصواب (٣) وبهذا يكون نطقها مثل حرف (i) وهى فى لغة كثير من قيس وأكثر بنى أسد كققعس ودبير ·

١٢ - الياء التى كالواو فى نحو قيل وبيع بالإشمام فكما أن الحركة قبل

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥١ وسيبويه : الكتاب ٢/٤٠٤ ، ٤٠٥ وشرحه للسيرافى وابن يعيش : المفصل ١٠/١٢٧ ، ١٢٨ ، والرافعى : تاريخ آداب العرب ١١٠ ، ١١١ ·

(٢) ابن دريد : الجمهرة ١/٥ ، وابن فارس : الصاحبى ٥٣ ، ٥٤ ·

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، وانظر فى الحروف أصولها وفروعها باب الإدغام من الكتاب ٢/٤٠٤ وما بعدها وسر الفصاحة فقد نقل ابن سنان كلام ابن جنى كله ٢٢ - ٢٤ ·

هذه الياء مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو وهى لغة عند بعض العرب ، يشمون الياء صوت الواو فتخرج كحرفى (EU) (١) .

وربما دخلت هذه الحروف فى العربية على لسان بعض القبائل التى أخذتها من لغات أخرى كالعبرانية والسريانية ولغة الفرس والروم والحبشة وغيرهم ممن خالطوهم فى أقدم أزمانهم (٢) ولكننا مع ذلك - لا نمنع وجود بعض هذه الحروف عند القبائل العربية البدوية قبل عصر تهذيب اللغة .

وهذه الحروف المستقبحة لا يؤخذ بها فى القرآن ولا فى الشعر ولا تكاد توجد إلا فى لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة ، ولا يصح أمر هذه الحروف اللاحقة للتسعة والعشرين إلا بالسمع والمشافهة (٣) .

وبعبارة أخرى « لابد فى أداء (أى حرف منها) وتصحيحه للسمع من مشافهة توضحه وتكشف عن خاص سره (٤) فهذه عدة الحروف وما لحق بها من الفروع بأحوط ما يمكن فى معناه (٥) .

وهذه الحروف كانت منتشرة فى قبائل متعددة أيام كانت العربية موزعة على تلك الألسنة وكانت فى هذه القبيلة أو تلك أصواتا مضطربة بين مخارج النطق تتحرى مواضعها القومية من حروفها الخالصة إلى أن استقرت على حروف لا التباس بها ومخارج وافية من النطق الإنسانى لا يهمل بعضها ولا تتداخل الحزوف على اختلاط واشتباه فى بعضها الآخر (٦) وقد استقر أمر الهجاء العربى على عدد محدود من حروف المعجم واضح كل الوضوح بحيث يعرف كل حرف طريق خروجه وتكوينه فى أعضاء النطق التى استطاع العربى أن يستخدمها أحسن استخدام وبذلك أصبحت العربيـة لغـة الفصاحة فاللغة الفصيحة هى اللغة التى تم فيها جهاز النطق الإنسانى فلم تهمل أداة من

(١) الرافعى : تاريخ آداب العرب ١١٢ .

(٢) ابن يعيش : المفصل ١٠/١٢٨ والرافعى : تاريخ آداب العرب ١١٢ .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥١ .

(٤) نفسه ١/ ٦٠ .

(٥) نفسه ٢/٦٨ .

(٦) مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ من مقال للأستاذ العقاد بعنوان « الأبجدية العربية أكمل الأبجديات » ص ٣٩٣ .

أدواته وهى التى امتنع فيها اللبس بين حروف اللفظ ، ومخارج الصوت فلم يلتبس فيها حرفان فى مخرج واحد ولم يلتبس فيها مخرجان فى حرف واحد بل جاء كل حرف من حروفها فصيحا من مخرجه الذى يؤديه غير ملتبس بسائر الحروف ولو كانت مقاربة له فى الأداء [١] .

وإذا فقد تم للعربية انتخاب حروفها التسعة والعشرين على ما هى عليه من حسن فى النطق وروعة فى الأداء ودقة فى الأصوات .

ترتيب حروف المعجم

يرجع الفضل إلى الساميين فى اختراع الأبجدية للغات العالم كله فمن الراجح أن الفينيقيين [٢] هم أول من اخترع الرسم السامى واستخدمه لنشاطهم التجارى وقد انتشرت حروف الهجاء الفينيقية فى معظم أنحاء العالم القديم واستخدمها كثير من شعوبه ومنها تفرعت بشكل مباشر أو غير مباشر جميع حروف الهجاء التى استخدمت فيما بعد فى مختلف اللغات الإنسانية [٣] ، ومن المسلم به أن جميع الخطوط السامية - ومنها العربية - أخذت من الكنعانى (الفينيقى) [٤] بيد أن العربية أخذت بواسطة الأقلام النبطية

---

(١) الأبجدية العربية تعتمد على موسيقى لم تتوافر لغيرها من اللغات ثم هى تمتاز بحروف الحلق واستقلال مخارجها وعدم وقوع الالتباس بينها لعوامل تطورية خضعت لها العربية فى رقيها وقد أشار إلى ذلك الأستاذ العقاد : اللغة الشاعرة ٨ - ١٢ ومجلة الأزهر رجب ١٣٨٢ من مقال للأستاذ العقاد بعنوان « أسباب الفصاحة العربية ص ٤٣٢ ، ٤٣٤ وقد فصلنا ذلك من قبل » .

(٢) هم الكنعانيون والذى أطلق اسم الفينيقيين عليهم هم اليونان وقد هاجروا من الجزيرة قبل القرن السابع عشر ق . م واستقروا ببلاد فلسطين وسورية وبعض جزر البحر الأبيض وأنشأوا لهم مملكة زاهرة الحضارة وامتد استعمارهم إلى سواحل أوربا الجنوبية ومن مستعمراتهم القوية قرطاجنة التى نازعت روما السلطان حينا من الدهر ونشبت بينهما حروب استغرقت نحو مائة وعشرين عاما (٢٦٤ - ١٤٦ ق . م) .

اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص٥٦، ود. وافى، فقه اللغة ص ٣٠ .

(٣) د . وافى : فقه اللغة ٣١ وعلم اللغة ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ٥٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٦٠ ، ٢٤٤ .

(٤) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ٩٩ .

والتدمرية [١] وأقدم الخطوط العربية هو خط المسند اليمنى فقد اشتق من الكنعانى [٢] عن الطريق السابق ·

والتاريخ العربى يدل على أن كثيرا من التغيرات التى حدثت فى شمال الجزيرة كان مصدره حدوث هجرات من الجنوب فكل المؤرخين المسلمين الذين جاءوا بأخبار عن قبائل غسان ولحيان والأوس والخزرج وبنى أسد وكلب ومعين وثمود يصرحون بأن جميع هذه البطون نزحت من الجنوب وانتشرت فى أرجاء الشمال [٣] لأن « بلاد اليمن كانت مصدر الحضارة العربية قديما والينبوع الذى ارتوت منه جميع أقاليم العرب » · فاشتقت جميع الخطوط العربية القديمة من الخط المسند اليمنى [٤] ، وبهذا الرأى صرح ابن جنى فقد قال « واعلم أن العرب قد سمت هذا الخط المؤلف من هذه الحروف (الجزم) قال أبو حاتم إنما سمى جزما لأنه جزم من المسند أى أخذ منه قال والمسند خط حمير فى أيام ملكهم وهو فى أيديهم إلى اليوم باليمن فمعنى جزم أى قطع منه وولد عنه [٥] ·

(١) نفسه ١٦٠ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ وكان النبط من عناصر آرامية وعناصر عربية وظهرت دولتهم فى شبه جزيرة طور سيناء ثم بعد استقرارهم كثرت العناصر العربية إلى أن تغلبت على العناصر الآرامية ومحتها محوا تاما وبقيت لغة الحضارة هى اللغة الآرامية التى كانت فى تلك العصور لغة العمران عند جميع أمم الشرق الأدنى ثم سقطت على يد الرومان سنة ١٠٦ ق· م وسموانبطا لاستنباطهم ما يخرج من الأرض وقد كانوا قوما ذوى حضارة زراعية وغيرها وتدمر مملكة كانت فى واحة بصحراء سورية فى الناحية الشرقية الشمالية من مدينة دمشق وقد بلغت أوج مجدها فى الفترة من ١٣٠ - ٢٧٣ بعد الميلاد ·

انظر : ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ·

(٢) نفسه ص ١٩٧ ، ٢٤٢ ·

(٣) نفسه ٢٤١ ·

(٤) نفسه ص ٢٠٥٩ ·

(٥) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٤٥ ويذكر (ولفنسون) أن علماء المسلمين تنبهوا إلى شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظ المسند لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة إلى أعمدة تبعا لحضارة عرب الجنوب فى عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن· ولفنسون تاريخ اللغات السامية ٢٤٤ ·

ومعظم الأقلام السامية استخدمت طريقة أبجد هوز حطى كلمن سعفص فالفينيقية التى هى الأصل اتبعت ذلك[١] ومثلها الآرامية[٢] والبابلية[٣] والعبرية [٤] والعربية [٥] ومن هنا عرف للأبجدية العربية ترتيب على النمط السامى القديم وهو أبجد هوز الخ وقد استمرت حـال الأبجـدية العربية كذلك حتى عهد عبد الملك بن مروان حين فسدت السلائق واحتيج إلى نقط الحروف وضبطها بالحركات فأمر الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق حينئذ نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى بإصلاح الخط وتمييز الحروف والحركات فرتبا الحروف حسب صورها وعلى هذا برز النظـام الترتيبى الذى نعرفه اليوم أ · ب · ت · ث الخ وكان لأبى الأسود الدؤلى أستاذهما فضل سابق عليهما فى ذلك [٦] وقد رتبها الخليل بن أحمد صاحب أول معجم عربى ترتيبا صوتيا حسب مخارج الحروف من أقصى الحلق إلى الشفتين وهـذا هو ترتيبه لها :

ع،ح،هـ،خ،غ، - ق، ك - ج ، ش ، ض - ص ، س ، ز - ط ، د ، ت - ظ ، ث ، ذ - ر،ل،ن - ف ، ب،م - و ا ى - همزة (٧) ·

وقد أورد صاحب لسان العرب هذا الترتيب رواية عن الخليل مع تغيير طفيف فقد قدم الذال على الثاء فى نفس المخرج وجعل الواو بجوار الياء قبل الألف مع تقدم الياء (ى و ا)[٨] فى نفس المخرج أيضا ، وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا أن الخليل اختار هذا الطريق لأنه أراد جمع ألفاظ اللغة بطريقة استقصائية ففكر فى استعمال الأبجدية إلا أنه أوضح فى مقدمة العين أن ذلك لم يتيسر له لأن الألف لا استقرار لها فلم يبدأ بها فلما لم يتمكن من البدء بالحرف الأول وهو الألف كسره البدء بالحرف الثانى وهو الياء ولذلك اتجه ذهنه

---

(١) نفسه ٩٢ ، ٩٩ ، ١٠٠ ·
(٢) نفسه ١١٩ ، ١٥٠ ·
(٣) نفسه ٣٨ ·
(٤) نفسه ص ١٠١ ·
(٥) نفسه ٢٤١ ، ٢٤٢ والرافعى : تاريخ آداب العرب ١٠١ ·
(٦) الرافعى : تاريخ آداب العرب ١٠١ ، ١٠٣ ·
(٧) الخليل : العين ص ٥٣ ·
(٨) ابن منظور : لسـان العـرب ١/ ٧ وانظـر الرافعى : تاريخ آداب العرب ص ١٠٢ ·

إلى جمع الألفاظ حسب مخارج الحروف وتبين له أن هذه طريقة موصلة لغرضه ويبدو أن تفوقه فى الموسيقى والنغم كان هاديا له لسلوك هذا السبيل(١) وقد سار على هذا المنوال صاحب الكتاب فقد رتبها كما يلى :

ء أ هـ ع ح غ خ ك ق ض ج ش ى ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و (٢) .

وهذا الترتيب يختلف كثيرا عن ترتيب صاحب العين كما هو واضح من المقارنة بينهما وقد ذكر ابن جنى هذا الترتيب الذى اتبعه سيبويه فى سر الصناعة تحت عنوان « ذكر الحروف على مراتبها فى الإطراد » وهى الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو وهو بذلك الترتيب - كما فى سر الصناعة - يختلف عن الترتيب المذكور فى كتاب سيبويه فى مجموعة الحروف (القاف والكاف والجيم والشين والياء والضاد) فقدم وأخر بعض الحروف على بعض بما يخالف ترتيب سيبويه لها على ما يتضح من المقارنة ولكنه اختلاف طفيف لا يمس مخارج الحروف وربما كان للكتاب واختلاف النسخ أثر فى هذا التغيير وقد وصف ابن جنى هذا الترتيب بأنه هو الصحيح وانتقد ترتيب صاحب العين فقال : فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح فأما ترتيبها فى كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذى يشهد التأمل له بصحته(٣) .

ونحن نرى أن ترتيب الخليل لا مساس عليه ولا وجه للطعن فيه وذلك

---

(١) د . نجا : المعاجم اللغوية ص ١٧ ، والخليل : العين ١/ ٥٨ وانظر السيوطى : المزهر ط الأولى ١/ ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٠٤ وابن منظور : اللسان ١/ ٨ .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٠ ، ٥١ وهنا أخر ابن جنى النون عن الراء ولكنه فى بيان مخارج الحروف قدمها على الراء والأول أدق لأن وصفها يقتضى أن تكون بعد الراء لا قبلها كما هو نص ابن جنى وقد نبه على تلك الملاحظة القيمة الدكتور كمال بشر فى كتابه (علم اللغة العام) الأصوات ص ١١٥ .

لأنه كما يرى قد وضع كل حرف فى مخرجه المناسب له ومع المجموعة التى تشترك معه فى هذا المخرج اللهم إلا الملاحظة العابرة التى يمكن أن تقال بأنه لم يذكر الياء التى ليست مدا فى مكانها المناسب لها واعتباره الهمزة آخر الحروف لأنها فى نظره ليس لها حيز تنسب إليه[1] ولعل وصف ابن جنى له على النحو السابق ناشىء عن رأيه فى كتاب العين نفسه وأن مادته العلمية ليست منسوبة للخليل وإنما الفكرة فقط فكرة الخليل والترتيب والأسلوب من عمل الليث بن المظفر وقد حكى أستاذنا الدكتور نجا هذا الرأى فى كتابه المعاجم اللغوية وأيده بنص من كلام ابن جنى نفسه .

قال ابن جنى : أما كتاب العين ففيه من التخليط والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل فضلا عن نفسه ولا محالة أن هذا التخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره فإن كان للخليل فيه عمل فلعله أومأ إلى هذا الكتاب إيماء ولم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره ، ويدل على أنه كان نحا نحوه أنى أجد فيه معانى غامضة ونزوات للفكر لطيفة وصنعة فى بعض الأحوال مستحكمة وذاكرت به يوما أبا على رحمه الله - فرأيته منكرا له فقلت له : إن تصنيفه منساق متوجه وليس فيه التعسف الذى فى كتاب الجمهرة قال : الآن : إذا صنف إنسان لغة بالتركية تصنيفا جيدا يؤخذ به فى العربية أو كلاما هذا نحوه [2] وقد ناقش أستاذنا الدكتور نجا هذا الرأى وغيره من الآراء التى تنفى نسبة كتاب العين للخليل وفندها بأدلة واقعية تستحق الاعتبار ثم خرج من ذلك كله بنتيجة حاسمة وهى أن الكتاب للخليل بن أحمد وقد ارتضى هذه الوجهة كثير من أصحاب العقول الراجحة[3] ثم قال سيادته بعد ذلك : « إن الانحراف عن ذلك بعد تكشف الصبح لذى عينين إنما يكون عن الهوى الجامح والعبث الذى ليس بعده عبث »[4] .

---

(١) الخليل : العين ص ٦٥ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٣/٢٨٨ وانظر سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ٢٩٣ .

(٣) د . نجا : المعاجم اللغوية ٢٨ وانظر للموضوع بأسره من ص ٢٠ - ٢٩ من المصدر السابق .

(٤) نفسه ٢٩ .

وهذا الترتيب الصوتى الذى اختاره ابن جنى لم يتبعه فى عرض مادة كتابه سر الصناعة والذى كان هدفه منه الدراسة الصوتية بل اكتفى بالإشارة إليه بلا فائدة ونتيجة ، وسار على النظام الهجائى الثانى المبنى على أساس الإعجام وقال : فإذا كنا قد أجمعنا إيراد حروف المعجم على ما فى أيدى الناس من التأليف المشهور أعنى على غير ترتيب المخارج وذكرها حرفا حرفا فليس ذلك بمانع لنا سوقها على ترتيب المخارج فإنه أوضح فى البيان ثم نعود فيما بعد إلى استقرائها على تأليف أ ب ت ث إلى أن نأتى بإذن الله على جميعها[١] ، وهدف ابن جنى - من اتباع هذا الترتيب يتجلى من كلامه وكأنه أراد التيسير على الدارسين من الأحداث والأعاجم البعيدين عن أغوار العربية وأسرارها وهذه ناحية تعليمية لا يليق بابن جنى أن تصرفه عن الغاية الأسمى وهى الدراسة الصوتية العميقة التى هى الهدف المنشود من الكتاب ولذلك كان ينبغى أن يسلك السبيل التى سلكها الخليل وسيبويه وهو الترتيب الصوتى ، إذ الكتاب الذى يضم هذه المعانى الدقيقة من علم الصوتيات لم يؤلفه لعامة الناس بل لخواص الباحثين من أرباب اللغة وفرسانها[٢] .

وقد تابع المحدثون الأقدمين فى ذكرهم الأبجدية على الترتيب الصوتى فعندما يتعرضون للحديث عنها نجدهم ينقلون هذا الترتيب الذى رآه الخليل وسيبويه ، ولا يزيدون عليه شيئا اللهم إلا عند حديثهم عن المخارج ، فيقسمونها إلى مجموعات لا تخرج كثيرا عما ذهب اليه القدماء ، وسنفصل حديثهم فى ذلك .



(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٠ .

(٢) مقدمة سر الصناعة ١/ ٢٠ .

تقسيم الأصوات

يقسم قدامى اللغويين العرب الأصـــوات إلى قسمين : صامتة وصائتة أو سواكن[1] وحركات .

وكل من هذه المصطلحات معروف فى كتبهم بالمعانى التى استعملها فيها علماء اللغة المحدثون .

وكان بعض المشتغلين بالدرس الصوتى يظنون أن المصطلحين :

صامت وصائت من ابتكار بعض المستشرقين ، ويشيرون إلى برجستراسر بصفة خاصة ، ووهم آخرون فنسبوا ذلك إلى حفنى ناصف أو إلى الدكتور محمد مندور فى كتابه (منهج البحث فى الأدب واللغة) المترجم عن الفرنسية أو إلى السوريين ، والحق أن الفضل يعود فى هذا الابتكار إلى النحاة العرب أنفسهم[2] .

فابن جنى يسمى الحركات الطويلة بـ (المصـوتات أو المصوتة)[3] وفعل (صائت) هو صات و (مصوت) هو « صوت » وكلاهما يدل على بروز الصوت ووضوحه .

وهذا شمس الدين أحمد يستعمل المصطلحين (صامت) و (صائت) يقول : إن الابتداء بالساكن إذا كان مصوتا أعنى حرف مد ممتنع بالاتفاق ، وأما الابتداء بالساكن الصامت أعنى حرف المد فقد جوزه قوم ، ولا شك أن الحركات أبعاض المصوتات لما ذكر فى ذلك العلم ، فكما لا يمكن الابتداء بالصوت لا يمكن الابتداء ببعضه[4] .

---

(١) تسمى أحيانا بهذا الاسم ولكن تلك التسمية تختلط بالحروف المشكلة بالسكون مثل الكاف والباء فى اكتب ، فعل أمر مثلا .

(٢) د . كمال بشر : دراسات فى علم اللغة . القسم الأول ص ٢٦ ، ٢٧ بتصرف .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٤) شمس الدين أحمد : شرح مراح الأرواح ط ١٩٣٧ ص ١٢٠ وانظر د . بشر علم اللغة العام : القسم الثانى ص ٩١ .

وابن جنى سابق لشمس الدين أحمد مؤلف هذا الشرح ولكل من الصوتين (الصامت) و (الصائت) مفهوم علمى محدد .

تعريف الصوت الصامت :

هو الصوت الذى ينحبس الهواء فى أثناء النطق به فى أية منطقة من مناطق النطق ، انحباسا كليا أو جزئيا ، فالانحباس الكلى فى مثل صوت (التاء) والجزئى فى مثل صوت (السين) .

تعريف الصوت الصائت :

هو الصوت الذى ينطلق معه الهواء انطلاقا تاما بحيث لا يعوقه عائق فى أية منطقة من مناطق النطق ، وهذا خاص بحروف المد والحركات القصيرة .

خصائص الصوائت :

١ - الوضوح التام بحيث لا تخفى عند النطق ، وتسمع بكامل صفاتها بخلاف الصامتة فهى خافتة قد تخفى على السمع .

٢ - تشيع فى اللغات ، ولذلك يكثر فيها التغيير والخطأ مثل (جاء) فتنطق الألف بطرق متفاوتة ، والعاميات خير شاهد على ذلك على حين تبقى الصوامت دون تغيير غالبا .

٣ - الجهر ، فالصوائت تحرك الأوتار الصوتية دائما ، أما الصوامت فمنها ما يحرك الأوتار الصوتية ، ومنها ما لا يحركها ، فهى مجهورات ، ومهموسات .

ويظن بعض الباحثين أن العرب لم يكونوا يفرقون بين الصوامت والصوائت تفريقا صوتيا فالمعروف أن الفرق بينهما - فى علم اللغة الحديث - يتمثل فى وجود عائق فى طريق الهواء أو عدم وجوده ، فإذا جرى الهواء حرا طليقا فالصوت صائت أو حركة وإذا حجز فى إحدى مناطق النطق فهو صامت أو ساكن .

ولكن علماء العرب أطلقوا (الحرف) عليهما معا ، ولا يقابل لفظ حركة عندهم لفظ ساكن أو صامت بل يقابل ما يسمى (السكون) وهو انعدام الحركة [1] ويعزو هؤلاء السبب فى عدم التفريق بينهما إلى نظام الكتابة العربية

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ٢٠ .

فهو- فى رأيه - الذى أضاع معالم هـــذه المقابــلة الرئيسية بين الحروف والحركات[1] .

لكننا نؤكد أن العرب عرفوا هذين النوعين من الأصوات ، وقد سموا الصامتة - فقط بالحروف - واهتموا بكونها أساس البناء الصرفى لتكون مواد الكلمات وأصولها والنوع الثانى وهو الصائت أو الحركات كان للعرب حظ موفور فى الاهتمام به ومعرفة خواصه بل قالوا بما قال به المحدثون فى شأنها .

فالخليل بن أحمد يشير إلى أن (الألف والواو والياء) هوائية ليس لها حيز تنسب إليه قال : والياء والواو والألف هوائية فى حيز واحد إلا أنها لا يتعلق بها شىء ، وقال أيضا سميت هوائية لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة ، وإنما هى هاوية فى الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيرا : الألف اللينة والواو والياء هوائية (أى أنها فى الهواء)[2] .

فمعنى ذلك أن هذه الأصوات تخرج مع الهواء دون عائق - كما قال المحدثون - وقد رتب الحروف الهجائية حسب مخارجها ، ووضع الألف والواو والياء فى آخرها مما يدل على أن لها وضعا خاصا يختلف عن سابقيها .

أما ابن جنى فيشير إلى خواص النوعين : الصامتة والصائتة (الحركات) على السواء بطريقة جلية ، ففى كتابه (سر الصناعة) يتحدث عن (ذوق الحروف) فيقول : وسبيلك إذا أردت اعتبار صـــدى أن تأتى به ساكنا لا متحركا ، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ، ومستقره ، وتجتذبه إلى جهة الحرف الذى هى بعضه ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فنقول : اك · اف · اج · وكذلك سائر الحروف ، إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت (الهواء) من بعضها ، ألا تراك تقول فى الدال والطاء واللام : اد · اط · ال ، ولا تجد للصوت (الهواء) منفذا هناك ، ثم تقول : اص · اس · از · اف ، فتجد الصوت يتبع الحروف ، وإنما يعرض هذا الصويت (المراد به ما يقابل ما نسميه بالاحتكاك)

(١) نفسه ص ٢١ .

(٢) الخليل : العين ١/ ٦٤ ، ٦٥ .

التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقفت عليها ، لأنك لا تنوى الأخذ فى حرف غيرها فيتمكن الصويت ، فيظهر ، فأما إذا وصلت هذه الحروف ، ونحوها ، فإنك لا تحس معها شيئا من الصوت ، كما تجده معها إذا وقفت عليها[١] .

فهنا نجده يلاحظ خواص الأصوات الصامتة سواء منها ما ينحبس معه الهواء انحباسا تاما مثل : الدال والطاء واللام ، وما ينحبس معه انحباسا جزئيا كالسين والزاى ، والفاء ، فالهواء لا يمر معها طليقا وإنما يعوقه عائق فى إحدى مناطق النطق .

كما أوضح ابن جنى خاصة الأصوات الصائتة (الحركات) فقد وصف حروف اللين الثلاثة باتساع المخارج فقال : والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة - الألف ثم الياء ثم الواو - وأوسعها وألينها الألف .. ويقول قبل ذلك فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدا حتى ينفذ[٢] .

ومعنى ذلك أنه يعرف لهذه الأصوات ما لمحه فيها المحدثون فهى تنطلق مع الهواء دون عائق ..

ويفرق ابن جنى تفريقا واضحا بين نوعى الأصوات فى عقده الصلة بين النطق الإنسانى ، والأصوات الصادرة عن المزمار ، ووتر العود ، فحكى أن بعضهم شبه الحلق بالناى ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا ، كما يجرى الصوت فى الألف غفلا بدون صدى ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناى المنسوقة ، وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات ، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، .. فكذلك إذا قطع الصوت فى الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة ونظير ذلك أيضا وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهـو مرسل سمعت له صوتا ، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر فإن أدناها قليلا سمعت غير ذينك الأولين ، ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ، إلا أن الصوت الذى يؤديه الوتر غفلا غير

---

(١) ١/٧ .

(٢) نفسه ١/٧ ، ٨ .

محصور تجده بالإضافة إلى ما أداها وهو مضغوط محصور أملس مهتزا ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته ، وضغطه ورخاوته ، فالوتر فى هذا التمثيل كالحلق والخفقة بالضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت فى الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذى يعرض للصوت فى مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا(١) .

فالأصوات الصامتة تنحبس فى مخارجها على حين تنطلق الأصوات الصائتة وذكر منها الألف على سبيل المثال لا الحصر .

وهذا بالنسبة للحركات الطويلة واضح .

وبالنسبة للحركات القصيرة فإنها عندهم بعض أصوات اللين الطويلة ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، هذا ما قاله علماء اللغة كابن جنى .

ومتقدمو النحاة كانوا يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة والياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيمة (٢) .

بيد أنه يؤخذ على العرب أنهم اهتموا بالحروف الصوامت أكثر من اهتمامهم بالصوائت حين جعلوا الأولى أصل البناء الصرفى ، على حين أن الثانية تدخل فى بناء الصيغ ، وتنويعها ، فهى لا تقل شأنا عن الأولى إن لم تكن أولى منها بالاهتمام ، كما أنهم أفاضوا فى الحديث عن الصوائت الطويلة دون القصيرة لوضوح رموز الطويلة فى الكتابة وتأخر رموز القصيرة فى الظهور ، وعدم استقلالها إذ تكون مرتبطة بالأصوات الصامتة .

* * *

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٩ .

(٢) نفسه ١/١٩ .

أولا : الصوائت

تنقسم ثلاثة أقسام :

١ - الصوائت الطويلة ·

٢ - الصوائت القصيرة ·

٣ - أشباه الصوائت ·

فالصوائت الطويلة :يسميها القدامى (حروف المد) وهى الألف والواو والياء ، إذا سكنت مع مجانسة الحركة السابقة عليها مثل : وحيل بينهم - سور ونور - قال وباع والألف حرف مد دائما لأنها لا تقع إلا بعد فتحة ، وهى الحركة المجانسة لها وإلاغيرت إلى حرف آخر ، والواو ، إن سبقت بضمة ، والياء ، إن سبقت بكسرة، مثل : ضارب وضويرب ومصباح ومصيبيح فى التصغير(١) ·

وعلى رأس علماء العربية الذين أرسوا دعائم الدراسات الصوتية وعالجوا هذا الموضوع بدقة أبو الفتح بن جنى ، فقد وصف الأصوات الثلاثة باتساع المخارج(٢) بما يؤكد أنها تنطلق مع الهواء دون عائق فى أية منطقة من مناطق النطق ، سواء فى الحلق أو الفم إلى الشفتين ·

ووجهة ابن جنى فى أنها تنطلق مع الهواء دون عائق تتفق مع وجهة الخليل فى وصفه لهذه الأصوات الثلاثة فقد جعلها من الجوف وسماها حروفا هوائية(٣) ·

وقد فرق ابن جنى بين الحروف الثلاثة من حيث كيفية النطق بها ومواقعها من الحلق ، واللسان والشفتين ، وتلك نظرة دقيقة نلمحها عند عرضنا لأصوات اللين المعيارية ، ومقاييس أصوات اللين التى اتفق عليها المحدثون من علماء الأصوات واهتم بها دانيال جونز العالم اللغوى الانجليزى فقد قال ابن جنى :

---

(١) د · نجا التجويد والأصوات ص ٢٧ ·

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/٨ وانظر ص ٧٥ ·

(٣) الخليل : العين ١/ ٦٤ ، ٦٥ وانظر ص ١٠٥ ·

إن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصـوت الذى يجرى فى الياء ، والواو والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو ، والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق ، فى ثلاث الأحوال مختلف الأشكال أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر ، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتى اللسان ، وضغطته ، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما استطال ، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين ، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ، ويتصل الصوت فلما اختلفت أشكال الحلق والفم ، والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر ، وذلك قولك فى الألف : (أ ا) وفى الياء (أى) وفى الواو (أو) [1] .

وفى اعتقادى أن هذا الوصف دقيق يدل على إرهاف حس وسلامة طبع بحيث حدد الشكل العام لمخارج تلك الأصوات من اللسان والحلق ، والفم ، والشفة وأوضاع تلك الأعضاء حال النطق بهذه الأصوات بما فتح الطريق أمام المحدثين ليحددوا مخارجها بالآلات الحديثة بارتفاع أو انخفاض مقدم اللسان أو مؤخره فى الفم ، وتقسيمهم لها إلى أصوات لين ضيقة ، ومتسعة وأمامية ، وخلفية وغيرها على ما سنبين فى حديثنا عن آرائهم .

والصوائت القصيرة :

هى الحركات القصيرة وقد اعتبرها القدامى أبعاض حروف المد - الألف والواو والياء المشار إليها فيما سبق - فكما أن هذه الحروف ثلاثة : فكذلك الحركات ثلاث وهى : الفتحة ، والكسرة ، والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو .

وقد سمى النحاة كلا منها حرفا صغيرا ينتسب إلى حروف المد السابقة [2] وقد ساق ابن جنى أدلة كثيرة تؤيد أن الحركات أبعاض حرف المد وهى :

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٨ ، ٩ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/١٩ وانظر ص ١٠٨ .

١ - أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه وذلك نحو فتحة عين (عمر) فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت (عامر) وكذلك كسرة عين (عنب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة وذلك قولك (عينب) وكذلك ضمة عين (عمر) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوا ساكنة وذلك قولك (عومر) فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها ولا كانت تابعة لها[١] ويؤكد ذلك عندك أيضا أن العرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت فتشبع الفتحة فيتولد من بعدها الألف وتشبع الكسرة فتولد من بعدها ياء وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واو ، أنشدنا أبو على لابن هرمة يرثى ابنه :

وأنت من الغوائل حين ترمى   ومن ذم الرجـــال بمنتزاح

أراد بمنتزح فأشبع فتحة الزاى فحدثت بعدها ألف ومثله قول الفرزدق :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة   نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

أراد : الصيارف فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء فأما الدراهيم فلا حجة فيه لأنه يجوز أن يكون جمع درهام وأنشدنى أيضا :

وإننى حيثما يشرى[٢] الهوى بصرى   من حيثمـا سلكوا أدنو فأنظور

يريد أنظر فأشبع ضمة الظاء فنشأت عنها واو .

ومن هنا « سميت تلك الأصوات الناقصة حركات لأنها تقلق الحرف الذى تقترن به وتجتذبه نحو الحروف التى هى أبعاضها فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف والكسرة تجتذبه نحو الياء والضمة تجتذبه نحو الواو ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التى هى أبعاضها فإن بلغ بها مداها تكملت له الحركات حروفا أعنى ألفا وياء وواو[٣] .

٢ - أنك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة أو الضمة قبل الياء

(١) نفسه ١/ ٢٠ .

(٢) يشرى- بضم الياء - يميل ويحرك ويروى : يسرى - بالسين - بمعنى يلقى من سريت الثوت : ألقيته .

(٢) ابن جنى: سر الصناعة١/ ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ وانظر الخصائص٢/ ٣١٥ ، ٣١٦ .

الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكافة لا تجدها مع الحروف الصحاح وذلك نحو فعل من القول والطول وأصله أن تقول قول وطول بكسر الأول ثم تستقل ذلك فتقلب الواو إلى الكسرة قبلها فتقول ياء قيل وطيل وقد قالتها العرب مقلوبين هكذا ونحوها ميزان وميعاد وميقات كل هذه من الواو فى وزن ووقت ووعد ، وكذلك موسر وموقن وأصلها ميسر وميقن فكرهوا الياء بعد الضمة فأبدلوها واوا ، وكذلك إن انكسر ما قبل الألف أو انضم قلبت للكسرة ياء وللضمة واوا وذلك الياء فى قراطيس إنما هى بدل من ألف قرطاس والواو فى ضويرب إنما هى بدل من الألف فى ضارب ، وإنما قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأنك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء وأذنت بتمامها فإذا تراجعت عنها إلى الواو فقد نقضت أول قولك بآخره وخالفت بين طرفيه وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جئت بعدها بالياء فقد جئت بأمر غيره المتوقع لأنك لما جئت بالضمة توقعت الواو فإذا عدلت إلى الياء فقد ناقضت بآخر لفظك أوله (١) .

٣ - وإذا كانت الحروف الساكنة تطول بالتشديد ويمتد نطقها مثل شب ودب وكذلك المدغمة فيها بعدها مثل النون الساكنة مع الحروف التى تخفى معها كان هذا أولى بحروف المد فإنك تقول مع الإدغام شابة ودابة ويطيب بكر ويسير راشد وتمود الثوب وقد قوص زيد بما عليه وكذلك إذا وقعت بعدهن الهمزة ازددن طولا وامتدادا وذلك نحو يشاء ويداء (٢) ويسوء ويهوء (٣) ويجىء ويفىء . . . . أفلا ترى إلى زيادة المد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن وهن فى كلا موضعيهن يسمين حروفا كوامل فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد فى القياس منه(٤) .

وإطالة صوت اللين فى هذه الحالة محافظة عليه لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين إذ الأول

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٢١ ، ٢٢ .

(٢) داء الرجل يداء بوزن شاء يشاء إذا صار فى جوفه الداء .

(٣) هاء بنفسه إلى المعالى يهوء هوءا : رفعها وسما بها .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة : ١/١٩ ، ٢٠ .

يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة فى حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما يليه انفراجها فجأة فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التى تحتاج إلى مجهود عضلى كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتى الذى تتطلبه أصوات اللين ، وكذلك حين يلى صوت اللين صوت مدغم فطبيعة اللغة العربية تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان فبولغ فى طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التى شاعت فى اللهجات العربية قديمها وحديثها وهذا التأثر بالأصوات المتجاورة يلاحظ فى بعض اللغات الأجنبية - كما هو فى العربية - فقد لاحظ المحدثون أن صوت اللين يزداد طولا إذا وليه صوت مجهور فصوت اللين (i) فى الكلمة الانجليزية (bid) أطول منه فى الكلمة (bit) وكذلك لاحظوا أن الصوت الساكن يكون أطول إذا سبقه صوت لين قصير والعكس بالعكس فالنون فى (pin) أطول منها فى (men) والنون فى (man) أقصر من الاثنين لأن صوت اللين (a) أطول من (e) وهذه أطول من (i) [١] .

وما حكاه ابن جنى هو ما يسميه القراء بالمد المتصل وهو ما وقع فيه الهمز مع المد فى كلمة واحدة والمد اللازم الضرورى وهو ما وقع فيه بعد حرف المد ساكن أصيل [٢] والمد العارض للسكون - وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون عارض [٣] .

---

(١) د . أنيس : الأصوات اللغوية ١٠٨ ، ١٠٩ ومعانى الكلمات على الترتيب : يأمر بعض - دبوس - رجال - رجل .

(٢) ساكن أصيل : أى لا يتغير سكونه وصلا ولا وقفا ويكون مشددا مثل : الحاقة ودابة وشابة ومخففا مثل أوائل السور: صاد - قاف الخ وقراءة (ومحياى) بسكون الياء .

(٣) سكون عارض : هو الذى يعرض للوقف أو الإدغام مثل الرحمن ونستعين ويوقنون حال الوقف بالسكون أو الإشمام فيما يصح فيه وهنا يسمى بالعارض المظهر والعارض المدغم نحو قال لهم ، الرحيم ملك ، الصافات صفا عند أبى عمرو إذا أدغم (ومنه يطيب بكر ويسير راشد فيما أورده ابن جنى) انظر البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٤٠ وانظر للمد بأكمله ص ٣٧ ، ٤٤ ومحمد مكى : القول المفيد ١٣٢ - ١٣٤ ود . نجا : التجويد والأصوات ص ٩٦ .

٤ - صوت اللين كما يطول - فى بعض الأحيان - يقصر أيضا فى أحيان أخرى وهذا يدل على أن الحركة وحرف اللين متشابهان إلى حد كبير فقد حذفوا هذه الحروف للجزم فقالوا لم يخش ولم يسع ولم يرم ولم يغز وقد اعتبر ابن جنى ذلك الحذف نظيرا لحذف الحركات فى نحو لم يقم ولم يقعد فقد أجروا - إذا - الحرف مجرى الحركة .

٥ - وكذلك أجرى العرب الحركة مجرى الحرف فأجازوا صرف هند اسم امرأة معرفة فإذا تحرك الأوسط منعوه الصرف معرفة ألبتة وذلك نحو قدم فصارت الحركة فى منع الصرف بمنزلة الياء فى زينب والألف فى عناق ونحوهما فى منع الصرف [١] .

٦ - ومن مشابهة الحركة للحرف أنك تفصل بها ولا تصل إلى الإدغام معها كما تفصل بالحرف ولا تصل إلى الإدغام معه وذلك قولك وتدويطد فحجزت الحركة بين المتقاربين كما يحجز الحرف بينهما نحو شمليل وحبرير [٢] .

٧ - ومن ذلك عندى (عند ابن جنى) أن حرفى العلة الياء والواو قد صحا فى بعض المواضع للحركة بعدهما كما يصحان لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما وذلك نحو القود والحركة والخونة والغيب والصيد وحول وروع و (إن بيوتنا عورة) فيمن قرأ كذلك فجرت الياء والواو هنا فى الضمة لوقوع الحركة بعدهما مجراهما فيها لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما نحو القواد والحواكة والخوانة والغياب والصياد - وحويل ورويع وإن بيوتنا عويرة ، وكذلك ما صح من نحو قولهم هيؤ الرجل من الهيئة هو جار مجرى صحة هيؤ لو قيل ، فاعرف ذلك مذهبا فى صحة ما صح من هذا النحو لطيفا غريبا [٣] .

٨ - ومن ذلك أنك إذا أضفت الرباعى المقصور أجزت إقرار الألف وقبلها واوا نحو الإضافة إلى حبلى إن شئت قلت حبلى وهو الوجه وإن شئت حيلوى فإذا صرت إلى الخمسة حذفت الألف ألبتة أصلا كانت أو زائدة وذلك

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٣٠ ، والخصائص ٢/ ٣١٦ ، ٣١٩

(٢) ناقة شمليل : سريعة ، والحبرير : الجمل الصغير انظر الخصائص ٢/ ٣٢٠

(٣) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢١ .

نحو قولك فى حبارى حبارى وفى مصطفى مصطفى وكذلك إن تحرك الثانى من الرباعى حذفت ألفه ألبتة وذلك قولك فى جمزى جمزى وفى بشكى بشكى ألا ترى إلى الحركة كيف أوجبت الحذف كما أوجبه الحرف الزائد على الأربعة فصارت حركة عين جمزى فى إيجابها الحـــذف بمنزلة ألف حبارى وياء خيزلى [1]

٩ - ومن مضارعة الحرف للحركة أن الأحرف الثلاثة الألف والياء والواو إذا أشبعن ومطلن أدين إلى حرف آخر غيرهن إلا أنه شبيه بهن وهو الهمزة ألا تراك إذا مطلت الألف أدتك إلى الهمزة فقلت آء وكذلك الياء فى قولك أىء وكذلك الواو فى قولك أوء فهذه كالحركة (إذا مطلتها) أدتك إلى صورة أخرى غير صورتها وهى الألف والياء والواو فى منتزاح والصياريف وأنظور وهذا غريب فى موضعه .

١٠ - ومن ذلك أن أقعد الثلاثة فى المد لا يسوغ تحريكه وهو الألف فجرت - لذلك مجرى الحركة ألا ترى أن الحركة لا يمكن تحريكها فهذا وجه أيضا من المضارعة فيها [2] .

١١ - ومن ذلك أن تاء التأنيث فى الواحد لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا نحو حمزة وطلحة وقائمة ولا يكون ساكنا فإن كانت الألف وحدها من بين سائر الحروف - جازت وذلك نحو قطاة وحصاة وأرطاة وحنبطاة أفلا ترى إلى مساواتهم بين الفتحة والألف حتى كأنها هى هى،وهذا يدل على أضعف الأحـــرف الثلاثة الألف دون أختيها لأنها قد خصت هنا بمساواة الحركة دونها[3] .

١٢ - حذفت تلك الحروف تخفيفا كما تحذف الحركات لذلك وذلك قوله :

فألحقت أخـــراهم طـــــريق الاهم   كما قيل نجم قـــد خوى[4] متتابع

يريد (أولاهم) وقال رؤبة :

---

(١) نفسه ٢/٣١٩ وخيزلى : مشية فى تثاقل .

(٢) نفسه ٣١٨ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٢/٣١٨ .

(٤) خوت النجوم وأخوت وخوت : محلت أو سقطت ولم تمطر فى نوئها . اللسان : ١٨/ ٢٧٠ .

وصـــــانى العجاج فيما وصنى

يريد فيمـــا وصانى ·

وقال الله عز اسمه ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[1] ، ونظيره من حذف الحركات قوله :

وقـــد بدا هنك من المئزر

فاليوم أشرب غير مستحقب

ومن يتق فـــإن الله معه

وغير ذلك كثير ·

١٣ - أجريت الألف والياء والواو مجرى الحركات فى الإعراب بها فى الأسماء الستة وفى التثنية والجمع على حد المثنى [2] ·

وقد قال ابن جنى : فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات ومتنشئة عنها وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها وأن الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة [3] ·

وهذه الأدلة التى ساقها ابن جنى بما فيها من فلسفة لغوية ونحوية خرجت بها عن الدقة أحيانا تدل على عمق الباحث وسعة المادة اللغوية والتمكن منها ولا غرو فابن جنى حائز قصب السبق فى هذا المضمار ·

والذى نأخذه من كلامه هذا أن أصوات اللين قصيرة وطويلة هى الفتحة والضمة والكسرة فألف المد هى فى الحقيقة فتحة طويلة وواو المد ضمة طويلة وياء المد كسرة طويلة أيضا وهى دون مد حركات قصيرة والفرق بينها فرق فى الكمية فقط وفى الوقت الذى يستغرقه النطق بكل منها ، وهذه نظرة دقيقة وعلمية صائبة أخذها المحدثون عن عالمنا الكبير ولم ينتبه إلى هذه النظرية العلمية - بعض القدماء - بل ضلوا الطريق أحيانا حين اعتبروا وجود حركات قصيرة قبل حروف المد ففى كلمة علم يعتبرون وجود فتحة قصيرة على العين

---

(١) الفجر : ٤ · (٢) ابن جنى : الخصائص ٢/٣١٦ ·

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/٢٦ ، ٢٧ ·

وفى سعيد يعتبرون وجود كسرة تحت العين أيضا وفى عمود يعتبرون وجود ضمة على الميم ، والواقع أنهم بعدوا عن الصواب فى هذا التصور لأنه لا وجود للحركات القصيرة فى هذه المواقع بل الموجود حركات طويلة هى فى الأول فتحة طويلة وفى الثانى كسرة طويلة وفى الثالث ضمة طويلة ، ولكن الذى أوقعهم فى ذلك هو الخط الكتابى وطريقة الإعجام والشكل التى بمقتضاها وضعت فتحة قبل الألف فى الكلمة الأولى وكسرة قبل الياء فى الثانية وضمة قبل الواو فى الثالثة وكان من نتيجة هذا التصور أن اعترفوا هنا بوجود ألف ، وواو ، وياء فعالم مكونة من عين مفتوحة + ألف + ل مكسورة + م وسعيد مكونة من س مفتوحة + ع مكسورة + ياء+دال وعمود مكونة من ع مفتوحة+ م مضمومة + واو + دال والواقع أنها مكونة كما يلى :

عالم تتكون من ع + فتحة طويلة + ل + كسرة قصيرة + م .

سعيد تتكون من س + فتحة قصيرة + ع + كسرة طويلة + د .

عمود تتكون من ع + فتحة قصيرة + م + ضمة طويلة + د .

ومما جره الخط عليهم من أخطاء فى هذا المجال أنهم رأوا أنه فى بعض الأحيان لا يكتب شىء ألبتة بين الحروف الصامتة نحو فعل وأحيانا يكتب بينها حرف من حروف المد نحو فاعل فلم يدروا أن الحالتين سيان فى أنه تنطق بعد الفاء حركة فى كلتيهما إلا أنها مقصورة فى الأولى وممدودة فى الثانية بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء متحركة فى كلتا الحالتين أضيف إلى الحركة فى الحالة الثانية شىء غيرها هو الألف وهذه الضلالة هى منبع ضلالات ومشكلات كثيرة[1] .

محل الحركة من الحرف :

وتبعا لأن ابن جنى أكد كون الحركات أبعاض حروف المد وتلك نظرة سديدة نجده يخوض فى نقطة لها علاقة بالبحث فإذا كان الأمر على ما قرره من أن الحركات أبعاض لحروف المد فإنه لابد إذا من ترجيح القول السائد بأن الحركة تكون بعد الحرف ، ولذلك قال فى الخصائص : وقد كنا قلنا فيه قديما قولا آخر مستقيما وهو أن الحركة قد ثبت أنها بعض حرف فالفتحة بعض

---

(١) برجستراسر : التطور النحوى ٣٣ ، ٣٤ .

الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو فكما أن الحرف لا يجامع حرفا آخر فينشآن معا فى وقت واحد فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر فى وقت واحد لأن حكم البعض فى هذا مجرى حكم الكل . . .

فهذا يفسد قول من قال إن الحركة تحدث مع حرفها المتحرك بها أو قبله أيضا ألا ترى أن الحرف الناشىء عن الحركة لو ظهر لم يظهر إلا بعد الحرف المحرك بتلك الحركة وإلا فلو كانت قبله لكانت الألف فى نحو ضارب ليست تابعة للفتحة لاعتراض الضاد بينهما والحس يمنعك ويحظر عليك أن تنسب إليه قبوله اعتراض معترض بين الفتحة والألف التابعة لها فى نحو ضارب وقائم ونحو ذلك وكذلك القول فى الكسرة والياء والضمة والواو إذا تبعتاها وهذا فى البيان والبروز إلى حكم العيان [١] وقد عرض ابن جنى للآراء الثلاثة فى محل الحركة من الحرف هل هى قبله أو معه أو بعده وساق أدلة كل رأى ثم رجح كونها بعده بأدلة اعتمد عليها ورضى بها ونحن هنا نذكر تلك الآراء وموقفنا منها .

ذهب سيبويه إلى أن الحركة تحدث بعد الحرف [٢] وقال غيره معه وذهب غيرهما إلى أنها تحدث قبله .

دليل القائلين بأن الحركة تحدث قبل الحرف :

هو إجماع النحويين على قولهم إن الواو فى يعد ويزن ونحو ذلك إنما حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة يعنون فى يوعد ويوزن ونحوه (لو خرج على أصله) فقولهم بين ياء وكسرة يدل على أن الحركة عندهم قبل حرفها المحرك بها ألا ترى أنه لو كانت الحركة بعد الحرف كانت الواو فى يوعد بين فتحة وعين وفى يوزن بين فتحة وزاى فقولهم بين ياء وكسرة يدل على أن الواو فى نحو يوعد عندهم بين الياء التى هى أدنى إليها من فتحتها وكسرة العين التى هى أدنى إليها من العين بعدها فتأمل ذلك [٣] .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/٣٢٧ .

(٢) نسب الفاكهى لسيبويه القول بمقارنة الحركة للحرف بمعنى أنها تحدث معه . انظر مجيب الندا بشرح قطر الندى ١/ ٣٠ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢٥ وانظر الفاكهى : مجيب الندا ١/ ٣٠ .

● **دليل القائلين بأن الحركة تحدث مع الحرف :**

قال أبو على : يقوى قول من قال : إن الحركة تحدث مع الحرف أن النون الساكنة مخرجها مع حروف الفم من الأنف والمتحركة مخرجها من الفم فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده لوجب أن تكون النون المتحركة أيضا من الأنف وذلك أن الحركة إنما تحدث بعدها فكان ينبغى ألا تغنى عنها شيئا لسبقها هى لحركتها [١] وروى ابن جنى فى سر الصناعة عن أبى على أيضا أنه قال مثل ذلك فى الألف فهى إذا تحركت انقلبت همزة ثم عقب على ذلك كله - هناك - بقوله :

وهو لعمرى استدلال قوى [٢] .

● **أدلة القائلين بأن الحركة تحدث بعد الحرف :**

الحركة تأتى فاصلة بين المثلين أو المتقاربين مانعة من إدغام الأول فى الآخر فالمثلان نحو الملل والضفف والمشش كما تفصل الألف بعدها بينهما نحو الملال والضفاف والمشاش [٣] ونحو ذلك قولك قصص ومضض وطلل وسرر وحضض ومرر وقدد « فلولا أن حركة الحرف الأول فى هذين المثلين بعده لما فصلت بينه وبين الذى هو مثله بعده ولو لم تفصل لوجب الإدغام لأنه لا حاجز بين المثلين فإن ظهر هذان المثلان ولم يدغم الأول منهما فى الآخر منهما فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما وليس ههنا فصل ألبتة غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول [٤] وكذلك شددت ومددت فلن تخلو حركة الأول من أن تكون قبله أو معه أو بعده فلو كانت فى الرتبة قبله لما عجزت عن الإدغام ألا ترى أن الحرف المحرك بها كان يكون على ذلك بعدها حاجزا بينها وبين ما بعده من الحرف الآخر فهذا أمر كما تراه واضح فى المثلين [٥] .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢٤ وسر الصناعة ١/ ٣٧ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٣٧ والسيوطى : الأشباه والنظائر ١/ ١٥٦ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢٢ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٣٣ .

(٥) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٣٤ ، والخصائص ٢/ ٣٢٢ وانظر : السيوطى : الأشباه والنظائر ١/ ١٥٦ ، والفاكهى : مجيب الندا ١/ ٣٠ .

وأما المتقاربان فنحو قولك فى وتد إذا سكنت التاء لإرادة الإدغام ود فكانت الحركة فى التاء قبل إسكانها فاصلة بينها وبكن الدال فوجب لذلك الإظهار فلما سلبت التاء كسرتها وزالت التاء أن تكون حاجزة بينهما بعدها وسكنت واجتمع المتقاربان أبدلت التاء دالا وأدغمتها فى التاء بعدها كما تقول فى انعت داود انعداود فظهور التاء فى وتد مادامت مكسورة وإدغامها إذا سكنت دلالة على أن الحركة قد كانت بينهما وإذا كانت بينهما فهى بعد التاء لا محالة فهذه دلالة من القوة على ما ترى (١) .

٢ - قولهم ميزان وميعاد فقلب الواو ياء يدل على أن الكسرة لم تحدث قبل الميم لأنها لو كانت حادثة قبلها لم تل الواو فكان يجب أن يقال موزان وموعاد وذلك أنك إنما تقلب الواو ياء للكسرة التى تجاورها من قبلها فإذا كان بينها وبينها حرف حاجز لم تلها وإذا لم تلها لم يجب أن تقلبها للحرف الحاجز بينهما (٢) .

٣ - ودلالة أخرى تدل على أن حركة الحرف بعده وهى أنك إذا أشبعت الحركة تممتها حرف مد كما تقدم من قولنا فى نحو ضرب وقتل إذا أشبعت حركة الضاد والقاف قلت ضارب وقاتل وضرب وقتل إذا أشبعت قلت ضورب وقوتل وكذلك ضراب وقتال إذا أشبعت قلت ضيراب وقيتال فكما أن الألف والواو والياء بعد الضاد والقاف فكذلك الفتحة والضمة والكسرة فى الرتبة بعد الضاد والقاف لأن الحركة إذا كانت بعضها للحرف فالحرف كل لها وحكم البعض فى هذا تابع لحكم الكل ، فكما أن الحروف التى نشأت عن إشباع الحركات بعد الحروف المتحركة بها فكذلك الحركات التى هى أبعاضها وأوائل لها وأجزاء منها فى الرتبة بعد الحروف المتحـركة وهـذا واضح مفهوم لمتأمله(٣) .

* * *

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٣٤ ، ٣٥ والخصائص ٢/ ٣٢٧ وقد ذكرنا كلامه فى الخصائص وانظر الأشباه والنظائر للسيوطى ١/ ١٥٦ ومجيب الندا ١/ ٣٠ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢٢ .

(٣) انظر التعليق (٣٤) .

● رد ابن جنى على القائلين بأن الحركة تحدث قبل الحرف أو معه :

أولا - تفنيده لأدلة المذهبين :

١ - رد على دليل المذهب الأول السابق [١] بأنه ليس معتقدا للنحويين من موضعين :

(أ) أنهم قد أطلقوا جميعا القول بأن الواو حذفت من يعد ونحوه لوقوعها بين ياء وكسرة فلو كانوا يريدون المعنى الذى بنى عليه هذا الدليل لكانوا مناقضين وموافقين لمخالفهم وهم لا يعلمون وهذا أمر مثله لا ينسب إليهم ولا يظن بهم فإذا كان كذلك علمت أن غرض القوم فيه ليس ما قدرته ولا ما تصورته وإنما هو أن قبلها ياء وبعدها كسرة وهما مستثقلتان فأما أن تماسا الواو وتباشراها على ما فرضته وادعيته فلا .

وهذا كثير فى الكلام والاستعمال ، ألا ترى أنك تقول خرجت فسرنا فلما حصلنا بين بغداد والبصرة كان كذا فهذا كما تراه قول صحيح معتاد إلا أنه قد يقوله من حصل بدير العاقول فهو - لعمرى - بين بغداد والبصرة وإن كان أيضا بين جرجرايا والمدائن وهما أقرب إليه من بغداد والبصرة ، وكذلك الواو فى يوعد هى - لعمرى - بين ياء وكسرة وإن كان أقرب إليها منهما فتحة الياء والعين ، وكذلك يقال أيضا هو من عمره ما بين الخمسين إلى الستين فيقال ذلك فيمن له خمس وخمسون سنة فهى - لعمرى - بين الخمسين والستين إلا أن الأدنى إليها الأربع والخمسون والست والخمسون [٢] .

وهذا الدليل يفهم منه أنهم اعتبروا وجود الياء بصرف النظر عن اعتبار الحركة بعدها واعتبروا وجود الكسرة بصرف النظر عن اعتبار الحرف المحرك بها فتحقق وجود الواو بينهما دون فاصل وهذا كاف لتحقق شرط الحذف .

(ب) هذا موضع إنما يتحاكم فيه إلى النفس والحس ولا يرجع فيه إلى

---

(١) انظر ص ١٢٠ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

إجماع ولا سابق سنة ولا قديم ملة ألا ترى أن إجماع النحويين فى هذا ونحوه لا يكون حجة لأن كل واحد منهم إنما يردك ويرجع بك فيه إلى التأمل والطبع لا إلى التبعية والشرع [١] .

٢ - رد على دليل المذهب الثانى - الذى قال به أستاذه أبو على [٢] ووصفه بأنه ساقط - عنده - عن رأى سيبويه - وهو أن الحركة تحدث بعد الحرف - وغير لازم له ورد على ذلك بأنه لا ينكر أن يؤثر الشىء فيما قبله من قبل وجوده لأنه قد علم أن سيرد فيما بعد وذلك كثير ، فمنه أن النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء قلبت النون ميما فى اللفظ وذلك عمبر وشمباء فى عنبر وشنباء فكما لا يشك فى أن الباء فى ذلك بعد النون قد قلبت النون قبلها فكذلك لا ينكر أن تكون حركة النون الحادثة بعدها تزيلها عن الألف إلى الفم .

بل إذا كانت الباء أبعد من النون قبلها من حركة النون فيها وقد أثرت على بعدها ما أثرته كانت حركة النون التى هى أقرب إليها وأشد التباسا بها أولى بأن تجذبها وتنقلها عن الأنف إلى الفم ، وهذا كما تراه واضح . ومما غير متقدما لتوقع ما يرد من بعده متأخرا ضمهم همزة الوصل لتوقعهم الضمة بعدها نحو أقتل ، أدخل استضعف أخرج استخرج [٣] .

ثانيا - أدلة أخرى على فساد الرأيين :

١ - ومما يفند المذهب الأول « أن الحركة لو كانت قبل الحرف لما جاز الإدغام فى الكلام أصلا [٤] لأن حركة الثانى كانت تكون قبله حاجزة بين المثلين [٥] » ألا ترى أنك تقول قطع فتدغم الطاء الأولى فى الثانية ولو كانت حركة الطاء الثانية فى الرتبة قبلها لكانت حاجزة بين الطاء الأولى وبين الطاء الثانية ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى فى الثانية لأن الحركة على هذه

(١) نفسه ٢/ ٣٢٩ .

(٢) نفسه ٢/ ٣٢٤ وانظر ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٣٢ .

(٥) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢٢ .

المقدمة مرتبتها أن تكون قبل الطاء الثانية بينها وبين الأولى وإذا حجز بين الحرفين حركة بطل الإدغام ، فجواز الإدغام فى الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها .

٢ - ومما يفند المذهبين معا : أننا لو أمرنا مذكرا من الطى ثم أتبعناه أمرا آخر له من الوجل من غير حرف عطف لقلنا اطوايجل والأصل فيه اطواوجل فلولا أن كسرة واو (اطو) فى الرتبة بعدها لما قلبت واو (اوجل) ياء وذلك أن الكسرة إنما تقلب الواو لمخالفتها إياها فى جنس الصوت فتجتذبها إلى ما هى بعضه ومن جنسه وهو الياء ، ولو كانت الكسرة فى باب (اطو) قبل الواو لكانت الواو الأولى حاجزة بينها وبين الثانية كما كانت ميم ميزان تكون أيضا حاجزة بينهما على ما قدمنا .

ولا يجوز أن تكون الكسرة مع الواو المتحركة بها فإن الكسرة على هذا الاعتبار ليست أدنى إلى الواو الثانية من الواو الأولى وهنا لا تقلب الواو الثانية ياء لأن الكسرة إذا كانت تريد قلب الواو الثانية فإن الواو الأولى تتطلب بقاءها وليست إحداهما أولى من الأخرى فى تنفيذ ما تقتضيه » فإذا تأدى الأمر فى المعادلة إلى هنا ترافعت الواو والكسرة أحكامهما فكأن لا كسرة قبلها ولا واو وإذا كان كذلك لم نجد أمرا تقلب له الواو الثانية ياء ، فكان يجب على هذا أن تخرج الواو الثانية من اطواوجل صحيحة غير معتلة لترافع ما قبلها من الواو والكسرة أحكامهما وتكافؤهما فيما ذكرناه [1] .

وإذا فقد دل قلب الواو الثانية من (اطواوجل) ياء حتى صارت (اطوايجل) على أن الكسرة أدنى إليها من الواو قبلها وإذا كانت أدنى إليها كانت بعد الواو المحركة بها لا محالة ، فهذا إسقاط قول من ذهب إلى أنها تحدث مع الحرف وقول من ذهب إلى أنها تحدث قبله ، فإذا بطل هذان ثبت قول صاحب الكتاب وسقطت عنه فضول المقال .

وقد رد أبو البقاء - كما نقل السيوطى - الدليل الأول والثالث من أدلة ابن جنى لتقوية رأى سيبويه فى الحركة تحدث بعد الحرف قال : الجواب عن

---

(١) نفسه ٢/ ٣٢٢ - ٣٢٥ .

الأول أن الإدغام امتنع لتحصن الأول لتحركه لا لحاجز بينهما كما يتحصن بحركته عن القلب نحو عوض وعن الثالث من وجهين أحدهما أن حدوث الحرف عن الحركة كان لأنهما تجانس الحرف الحادث فهى شرط لحدوثه وليست بعضا له ولهذا إذا حذفت الحرف بقيت الحركة بحالها ولو كان الحادث تماما للحركة لم تبق الحركة ومن سمى الحركة بعض الحرف أو حرفا صغيرا فقد تجوز ولهذا لا يصح النطق بالحركة وحدها والثانى لو قدرنا أن الحركة بعض الحرف الحادث لم يمتنع أن تقارن الحرف الأول كما أنه ينطق بالحرف المشدد حرفا واحدا وإن كانا حرفين فى التحقيق إلا أن الأول لما ضعف عن الثانى أمكن أن يصاحبه والحركة أضعف من الحرف الساكن فلم يمتنع أن يصاحب الحرف الحرف [١] .

● تعقيب ورأى :

ومن استعراضنا لتلك الآراء نرى صحة الرأى القائل بأن الحركة تالية للحرف فكلمة كتب مكونة من ثلاث مقاطع مفتوحة هى ك - ت - ب - يتكون كل منها فى رأى المحدثين من : ساكن + لين قصير + لين طويل والمقطع الأول من باع وهو (با) مفتوح يتكون من : ساكن + لين طويل [٢] وعالم تتكون من مقطعين الأول مفتوح هو (عا) ساكن + لين طويل [٣] .

كما أن الأدلة التى ساقها ابن جنى تقوم على ذوق لغوى دقيق وإن الباحث ليدهش كيف يأتى بتلك النتائج الباهرة دون أن تتوافر لديه وسائل الدرس المعاصر فى علم الأصوات والاعتراضات الموجهة إلى هذا الرأى تتصادم مع حقائق الأشياء ومع ما أثبته العلم الحديث بالتجربة والأجهزة الدقيقة وقد أوضح المستشرق الأستاذ برجستراسر سبب ضـلال الأقدمين لعدم تصورهم ذلك [٤] .

واعتبـــار أن الحركة بعد الحرف نابع من النظرية الصـــوتية أن الحركات

---

(١) السيوطى : الأشباه والنظائر ١٥٦/١ .

(٢) د . نجا : التجويد والأصوات ط الجديدة ٢٨ .

(٣) برجستراسر : التطور النحوى ٣٣ ، ٣٤ .

(٤) انظر ١١٩ .

أبعاض حروف المد التى تعد فى نظر المحدثين أصوات لين قصيرة وطويلة كما أنها صغيرة وكبيرة وبذا قال الخليل وسيبويه وابن جنى وغيرهم .

والرأى القائل بأن حركة الحرف تحدث قبله غير سديد وذلك بالرجوع إلى الطبع والتأمل فى النطق وإخراج الأصوات فلا يمكن تصور ظهور الحركة قبل وجود حرف تعتمد عليه فمثلا إذا تعرضنا بالنطق الصوتى لمثل ب - ت - ج - ق - ل - م ونحو ذلك فى ابتداء كلامنا لأحسسنا ظهور الحرف بصفته الساكنة قبل تصور ورود أى حركة قبله وعلماء الأصوات تصوروا هذه الحقيقة واضحة عندما أرادوا ذوق الحرف ومعرفة همسه أو جهره تبعا لهزه الأوتار الصوتية وعدم هزه لها فقالوا إنه يؤتى بالحرف ساكنا مثل (ب) ويوضح الإصبع فوق تفاحة آدم أو فى الآذان أو توضع الكف فوق الجبهة وهنا يمكن الإحساس باهتزاز الأوتار وعدمه فيأخذ الحرف حكمه من الجهر أو الهمس [١] ، فكيان الصوت يظهر دون وجود الحركة بل إن هذا الكيان هو الأساس الذى تعتمد عليه الحركة وتظهر بظهوره فالحرف كالمحل للحركة وهى كالعرض فيه فهى لذلك محتاجة إليه ولا يجوز وجودها قبل وجوده [٢] ، ومن هنا قال النحويون إن الحركة تحل الحرف [٣] .

وحقا بالرجوع إلى الطبع واستعمال أجهزة النطق يتبين لنا عدم إمكان ظهور الحركة ظهورا صوتيا قبل إحداث الحرف الذى سيتحرك بها وقد كان رد ابن جنى على دليل من قال بأن الحركة تحدث قبل الحرف ردا قويا إلا أننى أعتقد أن الذى دعاهم إلى حذف الواو فى مثل يعد ويزن هو المجاورة الصوتية الطبيعية للياء والكسرة فالياء مجاورة لها مجاورة مباشرة والفتحة لا تمنعها من هذه المجاورة وكذلك الحرف الذى بعدها ، وهو العين مثلا ظهر صوتيا مع الكسرة بعد الواو مباشرة فأدى إلى صعوبة حالت دون تمكن جهاز النطق من تأدية هذه الحروف متجاورة .

والرأى القائل بأن الحركة تحدث مع الحرف غير دقيق مع أنه يقارب

---

(١) د . نجا : التجويد والأصوات ٦٠ و د . أنيس : الأصوات اللغوية ٢١ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/٣٢ .

(٣) نفسه ١/٣٦ .

الحقيقة وسبب هذا الخلاف لطف الأمر وغموض الحال [1] على المتقدمين وقد أوضحته تجارب العلم الحديث ، والذى يمكننا أن نقول به هو أن الحركة تحدث متصلة بالحرف اتصالا مباشرا بحيث لا يمكن فصلها عنه إذ هى التى تؤكد وجود الحرف وتبرزه وتجعله واضحا سهل النطق وهى مع ذلك تجتذبه إلى الحرف الذى هى بعضه من واو أو ياء أو ألف وبذلك يزداد تمكن الحرف ووضوحه ، وهذه الحركة ما هى إلا صوت لين قصير أو طويل به ينضج المقطع الصوتى ويتم .

ومع ذلك لا يمكن الفصل بين الصوت الساكن وصوت اللين فصلا زمنيا بحيث يصدر هذا بعد ذلك وهذا ما قرره أستاذنا الدكتور نجا حين قال : ينبغى أن يعلم أن المقطع الصوتى يضم اللونين (أصوات اللين والأصوات الساكنة) حال النطق به كما أنه لا يمكن تجزئته [2] ، فالحركة متصلة بالحرف وتابعة له لأنها هى التى تنفث فيه الحياة والوجود الصوتى ، ولذلك قال الصبان : المراد « تبعيتها ، له تبعية العارض للمعروض ، لا تبعيتها له فى الوجود اللفظى ، فالتبعية رتبية لا زمانية [3] .

● **أشباه الصوائت :**

يسمى القدامى الواو والياء إذا سكنتا مع عدم مجانسة الحركة السابقة عليهما (حرفى لين) مثل بيع وقول [4] .

وهذان الصوتان يؤديان وظيفة الأصوات الصامتة ، فيما إذا وقعا موقعها مثل : وصل فهى مثل : دخل ، ويسر فهى مثل : قفل ، وعين وقوم ، حيث تجرى عليهما أحكام الحروف الصامتة فيقال : أعيان ، وأقوام ، ولكن شبههما مع ذلك بالصوائت قوى إذ هما قابلان للتحول إلى أصوات لين خالصة ... ولذلك يطلق عليهما شبه الصوائت ، لأنهما وسط بينهما حتى لقد ذكر الأستاذ (فندريس) أنه يمكن أن نسميها بالعبارة المعكوسة شبه

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٢١ .

(٢) د . نجا : التجويد والأصوات ٢٣ .

(٣) الأشمونى مع الصبان ٢/ ٢٣٧ .

(٤) يسمون الالف والواو والياء مطلقا (حروف علة) إذا قابلت حرفا أصليا .

السواكن [1] لأن المسألة مسألة حركات مشوبة بعناصر سكونية أكثر منها مسألة سواكن مزودة بالجهر [2].

وعدهما ذلك له وجه لسماع لون من الحفيف الذى يلاحظ حال نطقهما مما يجعلهما قريبين من الأصوات الساكنة بحيث ينتقل منهما إلى مخرج تلك الأصوات الساكنة هذا عند ارتفاع اللسان إلى وضع أعلى من ذلك بحيث يتصل بأعلى الحنك ، وأما حال انخفاضه إلى أقل من وضعه معهما فإن الأصوات الأوضح وهى أصوات اللين تنشأ عن ذلك ·

* * *

(١) يراد بالسواكن : الصوامت ، وبالحركات : الصوائت ·

(٢) فندريس : اللغة ص ٥١ ·

رأى المحـــــدثين

فرق المحدثون بين ما يسمى بالصوائت وما يسمى بالصوامت فقد اهتدوا بعد تجارب علمية إلى تقسيم الأصوات إلى قسمين رئيسيين سموا الأول منها vowels والثانى consonants ويمكن تسمية القسـم الأول بالأصـوات السـاكنة (الصوامت) والثانى بأصوات اللين [1] (الصوائت) .

وقد سمى المحدثون النوع الثانى بأسم أصوات اللين (الصوائت) إذا انطلقت مع الهواء المندفع من الرئتين دون عائق يحجز الهواء فى أى عضو من أعضاء النطق ، وهذا يوافق ما سماه الأقدمون بحروف المد [2] كما يشمل - أيضا - الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) .

وقد كانت نظرات القدماء لهذه الأصوات باعثة للمحدثين على استنباط ما وصلوا إليه من حقائق علمية خاصة بها .

وبهذا الصدد أثبت المحدثون أهمية دراسة الصوائت (أو أصوات اللين) لصعوبة نطقها فى اللغات - على اختلافها وتعددها - بحيث لا يستطيع الانجليزى أن يقلد النطق الفرنسى أو الألمانى ، ويحدث مثل ذلك لمن يحاول من الفرنسيين أو الألمان محاكاة النطق الانجليزى لتلك الأصـوات ، لأن أصوات اللين يختلف نطقها وطبيعته باختلاف اللغات بحيث لا تتفق فى ذلك فالألف (a) والياء (i) والواو (u) تختلف بين الانجليزية والفرنسـية والألمانية ، وغيرها ، بل إن لهجات اللغة الواحدة يختلف فيها نطق هذه الأصوات بحيث لا يمكن تحديد اتجاه واحد لها على الرغم من تفرعها من أصل واحد .

هذا إلى جانب أن أصوات اللين واضحة ، وتشيع فى الكلام فيكثر فيها الخطأ ومن أجل ذلك كانت عناية المحدثين بها ، وبوضع مقاييس لها من عدة لغات مشهورة وذلك ليمكن بمعرفتها الوقوف على أصوات اللين فى أية لغة أخرى وبذلك يسهل تعلمها .

---

(١) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ٢٧ .

(٢) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٢٧ .

وقد كان على رأس المهتمين بذلك دانيال جونز الأستاذ بجامعة لندن ، فقد أجرى تجارب صوتية دقيقة استنتج منها مقاييس عامة لتلك الأصوات ، وسجلها فوق اسطوانات يمكن الحصول عليها لمن يشاء من المشتغلين بالدراسات الصوتية ، وتعلم اللغات .

وقد نظر الأستاذ دانيال جونز فى تحديد تلك المقاييس إلى وضع اللسان من مقدمه ومؤخره فى صعوده ، وهبوطه بالنسبة للحنك الأعلى (سقف الحنك الصلب) كما نظر إلى الشفتين من حيث انفراجهما وضمهما ، واتخاذهما وضعا محايدا ، وقد ربط بين اللسان والشفتين بلا انفصال حال النطق .

١ - إذا ارتفع أول اللسان إلى الحنك الأعلى ، واتخذ أقصى ما يمكن من الارتفاع بحيث يكون بين اللسان والحنك الأعلى فراغ يسمح للهواء بالمرور دون إحداث حفيف ، والشفتان فى حالة انفراج تام يبرز أول مقياس لأصوات اللين عند المحدثين وهو ما يشبه فى اللغات الأجنبية حرف (i) ويقابل فى العربية الكسرة المرققة قصيرة أو طويلة [1] واعتبر المحدثون هذا الصوت أول أصوات اللين ، لأن أول اللسان لو ارتفع أكثر من هذا نحو الحنك الأعلى لسمع حفيف يظهر معه صوت الياء التى ليست مدا فى مثل : بيت ويوم ، ومن هنا يبدأ تحديد موضع الحروف الصامتة .

---

(١) الحركات - كسرة أو فتحة أو ضمة قصيرة أو طويلة - تكون مرققة إذا لم تتأثر بأصوات التفخيم (ص - ض - ط - ظ - خ - غ - ق) وتكون مفخمة إذا تأثرت بها وهذا كما نسمعها من قراء مصر حين يلتزمون قراءة حفص .

أمثلة الحركات المرققة :

١ - الكسرة القصيرة والطويلة : كسرة الكاف وياء المد فى (كتابى) .

٢ - الفتحة القصيرة والطويلة : فتحة الهمزة والدال وألف المد فى (أفاد) .

٣ - الضمة القصيرة والطويلة : ضمة السين وواو المد فى (سكون) .

أمثلة الحركات المفخمة :

١ - الكسرة القصيرة والطويلة : كسر الطاء فى (قطع) وياء المد فى (قطيع) .

٢ - الفتحة القصيرة والطويلة : فتحة الصاد فى (صبر) وألف المد فى(صابر)

٣ - الضمة القصيرة والطويلة : ضمة الصاد فى(صم) وواو المد فى (يصوم)

٢ - وإذا هبط أول اللسان إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه فى الفم بحيث يستوى فى قاعه مع انحراف قليل فى أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، والشفتان - أيضا - فى حالة انفراج تام ، فإنه يبرز المقياس الثانى ، ويرمز إليه فى اللغات الأجنبية بالحرف (a) ويقابل فى العربية الفتحة المرققة قصيرة وطويلة .

وبين أقصى ما يصل إلية اللسان فى صعوده ، وهبوطه مرحلتان صوتيتان يتكون عند كل منهما صوت لين خاص ، فاللسان فى هبوطه من وضع (i) إلى وضع (a) ينتج صوتين رمز لهما بالتدريج ɛ ، ع .

ويماثل الصوت الأول فى العربية الفتحة الطويلة إذا أميلت إمالة خفيفة ، ويماثل الثانى تلك الحركة إذا أميلت إمالة شديدة [1] وكذلك الكسرة المفخمة .

٣ - فإذا ارتفع أقصى اللسان إلى آخر حد ممكن نحو الحنك الأعلى بحيث يترك من الفراغ ما يسمح بمرور الهواء دون حفيف حدث صوت اللين الذى يرمز إليه فى اللغات الأجنبية بالرمز (u) وهنا تكون الشفتان فى كامل استدارتهما ، ويقابل هذا الصوت فى العربية الضمة المرققة قصيرة ، وطويلة .

فإذا ارتفع أقصى اللسان إلى وضع يضيق معه مجرى الهواء بحيث يسمع له حفيف أدى ذلك إلى انتاج صوت الواو التى ليست مدا فى مثل : « نوم - صوم » .

٤ - وإذا انخفض أقصى اللسان إلى الحال الطبيعية فى الفم نشأ الصوت الذى وضع له الرمز a ويقابله فى العربية الفتحة المفخمة قصيرة وطويلة .

وبين المرحلتين من صعود أقصى اللسان وهبوطه يلاحظ تكون صوتى لين يرمز لهما بـ (o - C) على الترتيب .

ويشبه الرمز الأول الفتحة الطويلة المنطوقة بسرعة فى العامية ، وكذلك

---

(١) انظر : د . نجا : التجويد والأصوات ص ٣٧ ود . بشر : علم اللغة القسم الثانى ص ١٨٤ وذكر الدكتور إبراهيم أنيس فى ذلك العكس ، فالإمالة الشديدة للمقياس (ɛ) والخفيفة للمقياس (ع) انظر : الأصوات اللغوية ص ٤٢ .

الضمة القصيرة المفخمة فى العربية الفصحى ، وإن كان الملاحظ أن الضمة المفخمة تميل إلى المقياس (o) ويشبه المقياس الثانى (o) الفتحة الممالة نحو الضمة عند ابن جنى ، والواو العامية فى مثل نوم ، صوم (١) .

وبهذا تكونت ثمانية مقاييس لأصوات اللين تبدأ بالصوت (i) وتنتهى بالصوت (u) وقد سميت بالمعيارية لاحتذائها فى جميع اللغات ، ولذلك استخدم المحدثون فى إيضاحها عدة كلمات من لغات مختلفة .

فالأصوات (a - a - ع - ´e - i) تتمثل فى الكلمات الفرنسية الآتية على الترتيب (pas - la - même - the - si) والصوت (c) يتمثل فى الكلمة الألمانية (sonne) والصوت (o) فى الكلمة الفرنسية (rose) والصوت (u) فى الكلمة الألمانية (gut) (٢) .

وهذه الحركات الثمانى لها صفات واضحة ، ومحددة تحديدا دقيقا وقد لوحظ وجود « حركات غامضة الصفة نوعا ما ، وغير واضحة الحدود نسبيا إذا قيست بالحركات الثمانى المشار إليها سابقا ، وأهم هذه الحركات الغامضة ، والمثال النموذجى لها ما يرمز إليه كتابة الرمز a وبذلك تكون الحركات المعيارية التى ارتضاها جونز تسع حركات » (٣) .

والحركة المعيارية التاسعة « لا يرتفع اللسان معها من الخلف أو الأمام ارتفاعا ملحوظا ، كما لا ينخفض معها انخفاضا كبيرا فى قاع الفم أى أن هذه الحركة لا تنسب إلى الجزء الأمامى أو الخلفى من اللسان ، وإنما تنسب إلى وسطه ، لأنه الجزء المرتفع نسبيا حال النطق بها » (٤) .

ويتمثل هذا الصوت فى الحركة الأخيرة من كلمة تنتهى بالحرفين er أو or وتدل على الفاعلية كما فى نحو singer , maker , demonstrator والحركة الأولى من كلمة about (٥) .

---

(١) انظر د . بشر : علم اللغة - القسم الثانى ١٨٤ ، ١٨٥ ود . نجا : التجويد والأصوات ٣٧ وابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٦ .

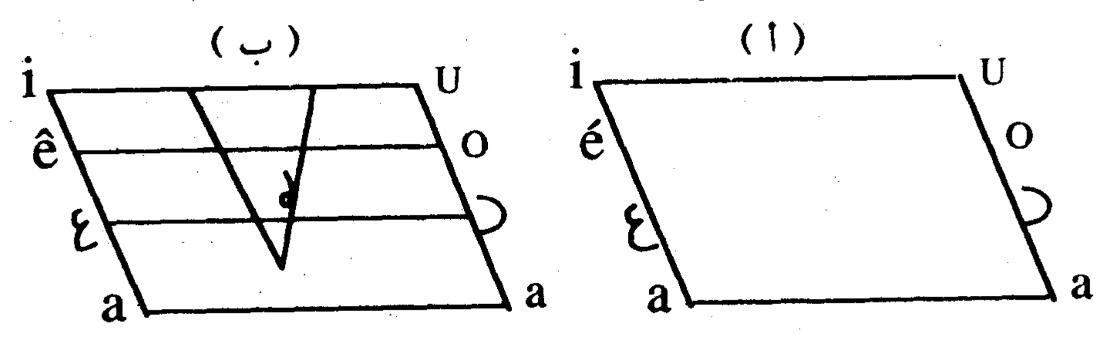
(٢) معانى الكلمات على الترتيب : إذا - شاى - نفس الشىء - أداة تعريف المثبت - جزء أداة النفى بمعنى : لا يوجد - الشمس - ورد - طيب .

(٣) د . بشر : علم اللغة - القسم الثانى ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٤) نفسه : ص ١٨٢ .
(٥) نفسه ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

ويماثلها فى العربية حالات همزة الوصل وهى سبع [١] وتفسر همزة الوصل صوتيا بأنها همزة خفيفة من طبيعة النفس [٢] أو صويت خفيف لا يمكن ربطه بأى نوع من أنواع الحركات المعروفة » وهذا التحريك a لا ينتمى إلى أى حيز من أحياز الحركات العربية الثلاث وإن كان يقترب منها أحيانا إلى حد ملحوظ ، وبخاصة فى حالتى الضمة والكسرة ، وربما كان هذا الاقتراب أو الاختلاط هو السبب فى خفاء طبيعته على علماء العربية ، وفى اضطرابهم فى تحديد نوعه ، ومن هنا تعددت حركات همزة الوصل التى يقوم هذا التحريك مقامها إلى سبع حالات [٣] .

وهذه الأصوات مسجلة على اسطوانات من أشهرها B . 8o4 فى اكسفورد ولندن ، ويمكن للباحث - بواسطتها - التعرف على أصوات اللين فى اللغة التى يريد دراستها بسهولة .



(١) هى همزة خفيفة من طبيعة النفس كما يقول الرضى فى شرح الشافية (ص ١٨٧) أو صويت خفيف لا يمكن ربطه بأى نوع من أنواع الحركات المعروفة كما يقول الدكتور كمال بشر فى كتابه : دراسات فى علم اللغة القسم الأول ص ١٦٤ .

(٢) لهمزة الوصل بالنسبة إلى حركتها سبع حالات : وجوب الفتح وذلك فى المبدوء بها (أل) ووجوب الضم وذلك فى نحو : انطلق ، واستخرج - مبنيين للمفعول وفى أمر الثلاثى المضموم العين فى الأصل نحو : اقتل ، واكتب ، بخلاف امشوا وامضوا ، ورجحان الضم على الكسر ، وذلك فيما عرض جعل ضمة عينه كسرة نحو اغزى وقال أبو على أنه يجب إشمام ما قبل ياء المخاطبة ، واخلاص ضمة الهمزة ، وفى التسهيل أن همزة الوصل تشم قبل الضم المشم ، ورجحان الفتح على الكسر وذلك فى (أيمن وأيم) ورجحان الكسر على الضم وذلك فى كلمة (اسم) وجواز الضم والكسر والإشمام وذلك فى نحو اختار ، وانقاد - مبنيين للمفعول - ووجوب الكسر ، وذلك فيما بقى وهو الأصل : انظر الأشمونى ج ٤ ص ٢٧٨ .

(٣) د . بشر : دراسات فى علم اللغة - القسم الأول ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

أقسام أصوات اللين

تنقسم أصوات اللين - بحسب الجزء المرتفع من اللسان ونسبة صعوده ووضع الشفتين - إلى أقسام مختلفة .

فبالنظر إلى جزء اللسان الذى يصعد أو يهبط تنقسم إلى :

١ - **أصوات لين أمامية** : وهى a , i وما بينهما ، لأنها تخرج من أول اللسان فى صعوده نحو الحنك الأعلى ، وهبوطه إلى قاع الفم .

٢ - **أصوات لين خلفية** : وهى a , u وما بينهما ، وذلك لأن أقصى اللسان هو الذى يتسبب فى ظهور هذه الأصوات بصعوده إلى الحنك الأعلى ، وهبوطه إلى درجة الاستواء فى الفم .

٣ - **أصوات لين وسطى أو مركزية** : وهى التى تنتج من وسط اللسان وهى a وهى الحركة المعيارية التاسعة .

وبالنسبة إلى صعود مقدم اللسان أو مؤخره تنقسم إلى :

١ - **أصوات لين ضيقة** : وهى : u , i وفيها يصل الجزء المرتفع من اللسان إلى أقصى درجة فى الارتفاع .

٢ - **أصوات لين متسعة** : وهى : a , a حين يهبط اللسان إلى وضعه الطبيعى ، وبذلك يكون الفراغ بين اللسان والحنك الأعلى فى غاية الاتساع .

٣ - **أصوات لين نصف ضيقة** : وهى : o , e لأن اللسان عند النطق بها يكون فى ثلث المسافة بين الضيقة والمتسعة .

٤ - **أصوات لين نصف متسعة** : وهى ع و o لأن اللسان فى أثناء نطقها يكون فى ثلثى المسافة بين الضيقة والمتسعة .

وبالنظر إلى وضع الشفتين تنقسم إلى :

١ - **أصوات لين منفرجة** : وهى : (i) لأن الشفتين معها تكونان منفرجتين تماما .

٢ - **أصوات لين مضمومة ضما شديدا** : وهى (u) وذلك لأن الشفتين تنضمان معها تمام الانضمام ، وتكمل استدارتهما .

٣ - **أصوات لين مضمومة ضما خفيفا** : وهى o , o لأن درجة انضمام الشفتين معهما تكون خفيفة ·

٤ - **أصوات لين محايدة** : وهى a , a فالشفتان معهما تكونان فى وضع محايد ·

• وبوجه عام نلاحظ أن الشفتين تنفرجان مع الأصوات (a ـ ع) دون استدارة أو بروز ، وأما فى حالة الأصوات (a - c - o - u) فتبدأ الشفتان فى الاستدارة حتى تصل إلى أقصى ما تصل إليه من كمال الاستدارة مع الصوت (u) (١) .

● **تطبيق نظرية دانيال جونز على أصوات اللين فى العربية** :

إن نطق أصوات اللين - كما رواها علماء اللغة العربية - لا يمكن التعرف عليها لبعد الزمن ، وانقراض النطق الفصيح ، ولكن يمكن أن نستفيد من ترتيل القرآن الكريم على لسان القراء فى عصرنا الحاضر - حسب القراءة المتواترة - لأنه يمكن تسجيل أصواتهم واستنتاج الأحكام اللغوية منها ·

فالكسرة حسب ما ينطقــه القراء فى قراءة حفص - تشبه الرمز الأجنبى (i) إلا أنه يلاحظ أن ارتفاع اللسان مع الكسرة أقل من ارتفاعه مع الحرف (i) كذلك يلاحظ أن أعلى نقطة فى مقدمة اللسان حين النطق بالكسرة العربية لا تكون متحدة مع أعلى نقطة فى المعيارية الأصلية ولكنها تكون خلفها ، فهى - وإن كانت حركة أمامية ليست منطبقــة على المعيــارية الأصلية فى هذا الوصف (٢) .

فإذا تأثرت بأصوات التفخيم (ص - ض - ط - ظ - خ - ع - ق) نلاحظ ميل هذا الصوت قليلا نحو ذلك المقياس الذى يرمز له بالرمز (e) وبخاصة مع حروف الاطباق التى تتطلب اتخاذ اللسان شكلا مقعرا (٣) .

والفتحة فى العربية - قريبة من المقياس الذى يرمز إليه بالرمز (a)

---

(١) د · أنيس : الأصوات اللغوية ص ٣٦ ·

(٢) د · نجا : التجويد والأصوات ص ٣٥ ·

(٣) د · أنيس : الأصوات اللغوية ص ٤١ ، ٤٢ ·

ولكنها لا تشبهه تماما ، فاللسان مع الحركة العربية يكاد يكون مستويا فى قاع الفم مع ارتفاع خفيف فى وسطه بخلاف المعيارية التى تشبه الفتحة ، فالذى يرتفع هو مؤخر اللسان بصورة تختلف عن الفتحة العربية [١] هذا إذا لم تتأثر بأصوات التفخيم وإلا انتقلت إلى الرمز (a) .

والضمة العربية يختلف وضعها عن المقياس الذى يرمز له بالرمز (u) فارتفاع مؤخر اللسان مع الضمة العربية أقل من ارتفاعه مع النظير المعيارى ويرى بعض المحدثين أنهما ينطبقان تمام الانطباق [٢] .

ولكن الواضح أن أصوات اللين العربية لها اتجاه خاص شأنها فى ذلك شأن أصوات اللين فى اللغات الأخرى ، لا تتفق معها ، وإنما تتقارب فقط ، فالأحق بالقبول هو أن بينهما تشابها على وجه التقارب والحقيقة أن وضع اللسان يختلف بينهما على الوضع المشار إليه .

هذا بالنسبة للحركات الأصلية .

وأما بالنسبة للحركات الفرعية ، فلا يمكن وصفها ، ومقارنتها بالمعيارية لأن هذا يتطلب الرجوع إلى اللهجات العربية القديمة ، والبحث فيها للوقوف على طبيعة هذه الأصوات وذلك من الأمور الشاقة العسيرة .

ولكننا نكتفى بما شاع بين القراء وهو الفتحة الممالة نحو الكسرة كما فى إمالة كلمة (موسى) إمالة خفيفة أو شديدة فإن لها حينذاك شبها بأحد المقياسين (e) و (ع) .

والفتحة - بأنواعها - من الحركات المتسعة إلا إذا كانت فى حالة إمالة شديدة ، أما الضمة والكسرة فهما من أصوات اللين الضيقة [٣] .

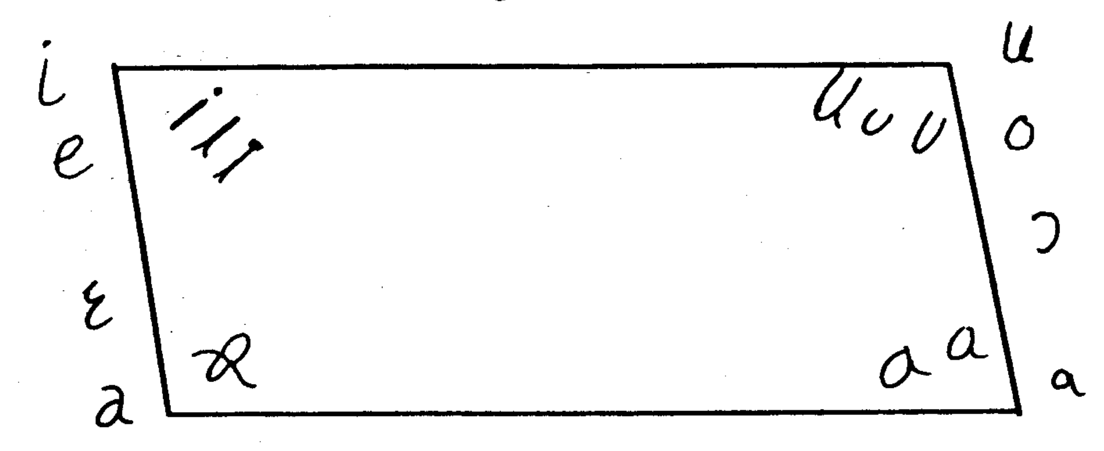
---

(١) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٣٥ .

(٢) هذا إذا لم تتأثر الضمة بالأصوات المستعلية .

(٣) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٤٣ .

انظر الشكل



يمثل هذا الشكل الحركات - الفتحة والضمة والكسرة - مرققة ومفخمة وحالة وسطى بينهما ، فلكل منها ثلاثة أوضاع : وضع الترقيق ووضع التفخيم ووضع وسط بينهما ·

أشباه أصوات اللين (أو أشباه الصوامت)

هما الياء والواو اللتان ليستا مدا ·

وتتكون الياء بارتفاع مقدم اللسان إلى أقصى حد ممكن ، بحيث يكون الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى أضيق منه فى حالة النطق بصوت اللين (i) فيؤدى إلى سماع نوع ضعيف من الحفيف ·

وتتكون الواو بصعود مؤخر اللسان إلى أقصى الحنك ، أكثر مما يكون مع صوت اللين (u) بحيث يسمع لمرور الهواء حفيف ضعيف وهذان الصوتان قابلان للتحول إلى أصوات صامتة وإلى أصوات لينة ، ولذا يطلق عليهما كل من التسميتين المذكورتين على ما بينا فيما سبق ·

والملاحظ أن أشباه حروف اللين حين نطقهـــا يختلف وضع الشفتين معها ، فتنفرجان مع الياء ، وتستديران مع الواو ·

وقد أصاب الأقدمون فى وصف مخرج الياء ، وأنه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى [1] وهذا التحديد يتفق مع وجهة المحدثين التى سنشير إليها ·

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٢ ·

أما تحديدهم لمخرج الواو فلم يوفقوا فيه ، فقد جعلوها مما بين الشفتين [1] والحقيقة هى ما قاله المحدثون من أنها من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك [2] وربما أوقعهم فى هذا الخطأ أن الشفتين تستديران حال نطقها ، وقد دعا ذلك القراء - أيضا - إلى الدلالة على الضمة بحركة الشفتين فيما عرف عندهم بالإشمام مثل ﴿ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[3] ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[4] فيشير القارىء باستدارة الشفتين إلى ضمة الراء، والنون ، وهذا أمر يختص بأن يكون السامع مبصرا ، وكذلك القارىء حتى يستطيع تعلمه ·

وبذلك صرح ابن جنى فى أكثر من موضع فقال : فأما الإشمام فإنه للعين دون الأذن [5] وقال عن الروم : وأخفى منه الإشمام لأنه للعين لا للأذن [6] .

وبهذا يتبين أن وصف علمائنا القدماء لتلك الأصوات كان قريبا جدا مما قال به علماء اللغات فى العصر الحديث ، وكان هذا باعثاً لهم على خوض غمار هذا البحث الدقيق ، فوصلوا فيه إلى نتائج علمية صائبة ·



---

(١) نفسه ١/ ٥٣ ·

(٢) د· نجا : التجويد والأصوات ص٣٧ ود· أنيس : الأصوات اللغوية ص٤٤ ·

(٣) المجادلة : ٢٤ · (٤) الفاتحة : ٥ · (٥) ابن جنى: الخصائص ٢/ ٣٢٨ ·

(٦) نفسه ٢/ ١٤٥ والروم هو الإتيان ببعض الحركة وقفا فلذلك ضعف صوتها لقصر زمنها ويسمعها القريب المصغى وهو عند القراء غير الاختلاس وغير الإخفاء والاختلاس والإخفاء عندهم واحد ، ولذا عبروا بكل منهما عن الآخر والروم يشارك الاختلاس فى تبعيض الحركة ، ويخالفه فى أنه لا يكون فى فتح ولا نصب ، ويكون فى الوقف فقط ، والثابت فيه من الحركة أقل من الذاهب ، والاختلاس يكون فى كل الحركات والثابت من الحركة فيه أكثر من الذاهب (حوالى ثلثى الحركة) ولا يضبطه إلا المشافهة · ، والإشمام حذف حركة المتحرك فى الوقف ، فضم الشفتين بلا صوت إشارة إلى الحركة والفاء فى (فضم) للتعقيب فلو تراخى فإسكان مجرد لا إشمام ولا يدركه إلا البصير بخلاف الروم فيدركه الأعمى · انظر : البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ١٠١ ·

الأصوات الصامتة

إن الأصوات الصامتة لا تحتاج إلى كبير عناء فى دراستها فى اللغات المختلفة وذلك لأنها تتشابه فى تلك اللغات ولا تختلف كثيرا فالانجليزى مثلا يمكنه النطق بالتاء العربية بسهولة ويسر لأنها مشابهة للحرف (t) فى الانجليزية وكذلك بالنسبة لحرف آخر كالباء (b) وهكذا فى الفرنسية وغيرها من اللغات المختلفة .

وهذا على خلاف مع أصوات اللين التى تحتاج إلى دقة وعناية لاختلاف طبيعتها وأماكن خروجها من أعضاء النطق من لغة لأخرى ولذا وضع لها علماء اللغة المحدثون المقاييس المعيارية لضبطها وتسهيلها للدارسين والمشتغلين بالبحث العلمى ، أما الأصوات الصامتة فنظرا لتقاربها فى اللغات - على ما ذكرنا - لم تحتج إلى وضع مثل تلك المقاييس ومن هنا يمكن الاكتفاء بوصفها فى كل لغة على حدة ويكفى فى ذلك تحديد مخارجها وصفاتها بما يفيد الدارس والباحث ولذلك رأينا علماء اللغة المحدثين يكتفون بذلك فى ميدان البحث الصوتى الحديث .

وهذه الأصوات قد عنى القدماء بدراستها ووصف مخارجها وصفاتها بما يتفق كثيرا مع نظرات علم الأصوات المعتمد على التجارب وآلات التسجيل الصوتى فى عصرنا الحاضر ، وعلماؤنا القدامى على الرغم من عدم توافر تلك الأشياء لديهم - استطاعوا بإرهاف حسهم وخبرتهم الأصيلة ومنطقهم المستقيم أن يكشفوا عن قوانين تلك الأصوات ويبرهنوا عليها بما بهر العلماء العصريين وأثبت نبوغ المتقدمين .

وقد قال أحد الباحثين المحدثين إن دراسة علمائنا للأصوات العربية لا يضاهيها فى العمق والدقة والاستقصاء جميع الدراسات التى يقوم بها اللغويون الآن فيما يسمونه « علم الأصوات اللغوية »[(١)] ولذلك « كانوا أول الرواد لعلم الأصوات اللغوية وعلى كثير من ملاحظاتهم بنيت المباحث الحديثة فى مخارج

---

(١) د. الصالح : دراسات فى فقه اللغة ٣١٨ .

الحروف وصفاتها[1] وتقسيم القدامى من علمائنا لمخارج الحروف وصفاتها مستمد من طبيعة العربية ومنهجها الأصيل وعلى أساسه يمكن إدراك الأسرار اللغوية فى أخص مميزاتها إذا على هذا الأساس المنهجى تفهم أسرار الاشتقاق الكبير وملابساته وظروفه اللغوية وكذلك القيمة التعبيرية للحرف ومناسبته للأحداث المعبر به عنها بما جعل للعربية منزلة سامية فى الربط بين الألفاظ ودلالاتها[2] ، والاتجاه الذى سار عليه القدامى يكشف تلك الأسرار ويبرزها للعيان ·

وإذا كنا بصدد الحديث عن الأصوات الصامتة فإنه يجدر بنا أن نشير إلى طريقة القدامى وآرائهم فى المخارج والصفات ، والباحث فى تلك الآراء يرى أنهم قد اختلفوا فى تحديد عدد مخارج الحروف فعدها علماء التجويد سبعة عشر وهو رأى الخليل[3] وهو المختار وذهب سيبويه إلى أنها ستة عشر مخرجا[4] وهذا بناء على أنه أسقط مخرج الجوف الذى قال به الخليل بالنسبة للألف والواو والياء وقد تخلص سيبويه من ذلك بأن فرقها على المخارج الأخرى وقد وافقه على ذلك ابن جنى فقال : اعلم أن مخارج الحروف ستة عشر[5] الخ وكذلك سار عليه غيره كالشاطبى وذهب قطرب والجرمى والفراء وغيرهم إلى أنها أربعة عشر مخرجا فأسقطوا مخرج الجوف أيضا وجعلوا مخارج اللسان ثمانية لأنهم جعلوا اللام والنون والراء من مخرج واحد كلى ذى مخارج جزئية[6] .

وهنا نعرض للمخارج كما وصفها ابن جنى نقلا عن سيبويه ثم نقارنها بما وصل إليه البحث التجريبي · جعل ابن جنى مخارج الحروف ستة عشر ثلاثة منها فى الحلق :

---

(١) نفسه ٣١٩ و د·تمام : مناهج البحث فى اللغة ٦٤ ·

(٢) د·الصالح : دراسات فى فقه اللغة ٣٢٠ ·

(٣) الخليل : العين ٦٤ وما بعدها ·

(٤) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٠٥ ·

(٥) سر الصناعة : ١/ ٥٢ ·

(٦) أنظر فى تفصيل الخلاف : محمد مكى : نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ٣١ ·

١ - فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء ·

٢ - ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء ·

٣ - ومما فوق ذلك أول الفم مخرج الغين والخاء ·

٤ - ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف ·

٥ - ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف[١] ·

٦ - ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ·

٧ - ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر[٢] ·

٨ - ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام[٣] ·

٩ - ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون[٤] ·

١٠ - ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ·

١١ - ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء ·

١٢ - ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاى والسين[٥] ·

١٣ - ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء ·

١٤ - ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الثاء ·

---

(١) يمكن بذلك عدهما من أصوات أقصى الحنك ·

(٢) تعد إذا قريبة من وسط الحنك أو لثوية حنكية ·

(٣) هذا يوافق ما يمكن أن يطلق عليه (صوت لثوى - حنكى أو لثوى فقط) ·

(٤) هو - إذا - صوت أسنانى لثوى أو لثوى فقط ·

(٥) هذه النظرة تقتضى أن تكون هذه الأصوات سنية ·

١٥ - ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو ·

١٦ - ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ويقال الخفيفة أى الساكنة[١] فذلك ستة عشر مخرجا[٢].

ويكاد هذا الوصف الذى ذكره ابن جنى يكون ترديدا حرفيا لكلام سيبويه فى الباب الذى عقده لبيان « عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها »[٣] ، وقد نقله عنهما ابن الجزرى[٤] وهذا تقسيم دقيق للأصوات إذا استثنينا وصفه للألف ويقول الدكتور تمام حسان معقبا على وصف سيبويه - الذى هو بعينه ما سار عليه ابن جنى وبخاصة بالنسبة لحروف الحلق: أن سيبويه قد أطلق اصطلاح الحلق على كل ما يلى وسط اللسان إلى الخلف فيشمل به مخارج الحنجرة glattis والحلق Pharynx واللهاة uvila والطبق velum وكل ما نطق من الأصوات فى هذه الأماكن فهو حلقى فى نظره غير أنه يفرق بين أقصى الحلق وأوسطه وأدناه تفريقا فرعيا يستخدمه عند إرادة البسط ثم يقول : أعجب له كيف استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من درجات الدقة رغم ما أحاط به من الظروف[٥].

وسيبويه - ويتبعه ابن جنى - قد أدركا جيدا أن الصوت اللغوى يتكون من التقاء عضوين من أعضاء النطق محكما لا يترك فراغا كما يحدث فى الأصوات الشديدة أو التقاء غير محكم بحيث يسمح للهواء بالمرور وذلك بالنسبة للأصوات الرخوة ، فمن الأول قوله : عند مخرج القاف إنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى[٦] وقول ابن جنى : ومما فوق ذلك من

---

(١) باقى الأصوات - يوافق وصفها الرأى الحديث · انظر تفصيلا دقيقا لكل ما تقدم· د·بشر : علم اللغة العام القسم الثانى : الأصوات ص ١١٤ - ١١٧ ·

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٢ ، ٥٣ ·

(٣) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٤ - ٤٠٦ ·

(٤) ابن الجزرى : النشر ١/١٩٨ - ٢٠١ ·

(٥) د·تمام : مجلة الأزهر شوال ١٣٨٠هـ من مقال بعنوان مصطلحات سيبويه فى أصوات العربية ص ١٠٧٩ ·

(٦) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ ·

أقصى اللسان مخرج القاف[1] ومن الثانى يقول ابن جنى عن مخرج الجيم والياء والشين : ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء وكذلك نص عبارة سيبويه[2] ، وهذا التحديد الدقيق لا يقل من الناحية العلمية عن نظرة المحدثين إلى مخارج الحروف وصفاتها بل إن الدقة لتتجلى فى تحديدهما اتصال طرف اللسان بالثنايا والحنك الأعلى فبنظام دقيق نجد فى تعبيرهما تحديد هذا الاتصال على الوجه التالى :

١ - أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان بالثنايا من الداخل .

٢ - أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان بالثنايا أو أصولها أى اللحم المتغرزة فيه من الداخل أيضا .

٣ - أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان وأوله بالحنك الأعلى .

وتظهر الدقة فى أجلى صورها عندما ننظر إلى التحديد الذى ذكره سيبويه وتبعه ابن جنى - لمخرج اللام بالوصف السابق على حين اكتفى المحدثون بوصفهم له بأنه يتكون باتصال طرف اللسان بأصول الثنايا[3] .

وكان هذا التقسيم نبراسا للمتأخرين[4] من العلماء ولا سيما المحدثين الذين لم يكادوا يزيدون عليه شيئا ذا بال فقد استمدوا منه تقسيمهم للأصوات إلى مجموعات متشابهة تكاد لا تخرج عما ذكره ابن جنى وسيبويه : فالمخارج عند المحدثين هى :

١ - الحروف الحلقية :

وهى موزعة بين أقصى الحلق ووسطه وأدناه ، على حد ما ذكر عند القدماء .

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٢ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ وابن جنى : سر الصناعة ١/٥٢ .

(٣) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٨٧ .

(٤) انظر مثلا : ابن يعيش : المفصل ١٠/١٢٤ ، ١٢٥ ، وابن الجزرى : النشر ١/١٩٨ - ٢٠١ .

٢ - **ومن أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى** : تخرج القاف والكاف والجيم المصرية .

٣ - **ومن وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى** : تخرج الشين والجيم والياء التى ليست مدا .

٤ - **ومن طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا** : تخرج الطاء والتاء والدال والضاد المصرية .

٥ - **ومن طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا** : تخرج الظاء والذال والثاء .

٦ - **ومن طرف اللسان مع اللثة العليا** : تخرج اللام والراء والنون .

٧ - **ومن طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى** : تخرج السين والزاى والصاد .

٨ - **ومن الشفة مع الأسنان** : تخرج الفاء .

٩ - **ومن الشفتين فقط** : تخرج الباء والميم(١).

والذى يمكن ملاحظته على وصف الأقدمين أنهم ذكروا الألف فى حروف الحلق بلا مسوغ ويقول الدكتور تمام حسان معقبا على ذلك « إننا نعتبرها نتيجة لهيئة حجرة الرنين الفموية لا لإقفال ولا تضييق فى مخرج بعينه شأنها فى ذلك شأن العلل والحركات(٢) وهذا النقد يلقى قبولا من الناحية العلمية .

كما أن المحدثين ذكروا أن الهمزة من الحنجرة لا من الحلق ، وعلى أية حال فالمخرجان متقاربان ، ومتجاوران .

كما أن الأقدمين ذكروا أن الواو من الشفتين ، وهذا بناء على الملاحظة الذاتية على حين أثبت البحث الصوتى التجريبى أنها من أقصى اللسان مع أقصى الحنك الأعلى ومع ذلك فإن الشفتين تنضمان معها مما يجعل لرأى الأقدمين مسوغا ، وهذا فى الواو التى ليست مدا .

---

(١) د. نجا : التجويد والأصوات ص ٣٨ - ٥٨ ، و د. تمام : مناهج البحث فى اللغة ص ٨٥ وما بعدها و د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ٤٥ - ٧٤ وغيرها .

(٢) د. تمام : مجلة الأزهر - العدد السابق ص ١٠٧٨ .

وقد ذكر الدكتور كمال بشر[1] أن نطقنا للأصوات العربية الآن يتفق مع ما ذكره علماؤنا القدامى فى أكثر الحروف ولكن يختلف فى بعضها :

١ - فصوت القاف يبدو أنه أصبح ينطق من اللهاة قبل الحلق ·

٢ - الضاد اليوم فى الترتيب مع التاء والدال والطاء ·

٣ - الصاد والزاى والسين أصبحت سابقة فى المخرج للطاء والدال والتاء لا تالية لها فهى الآن من الأصوات اللثوية ، ·· وأصبحت مع الراء فى مجموعة واحدة ·

ويمكن أن نسوغ ذلك بتطور النطق على مر الأجيال والعصور ·

وهناك تقسيم آخر للقدماء بنوه على أساس ألقاب الحروف وهو مستمد مما ذكره الخليل فى كتاب العين فقد لاحظ القراء أن المخارج السبعة عشر تجمعها عشرة ألقاب فذكروها بحسبها كالآتى :

١ - **الأحرف الجوفية أو الهوائية** : وهى أحرف المد الثلاثة التى تسمى أيضا أحرف اللين وهى الألف ولا تكون إلاساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا[2] والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها ويراد بالجوف الذى تنسب إليه فراغ الحلق والفم حيث ينقطع مخرجها[3] وسميت هوائية لأنها تنتهى بانقطاع هواء الفم · وقد سبق أن ذكرنا كلام الخليل فى ذلك ·

٢ - **الأحرف الحلقية** : وهى الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وللحلق ثلاثة مخارج على ما سبق[4] قال الخليل : **فأقصى الحروف كلها العين**

---

(١) فهذه الأصوات أدخل قليلا فى النطق والموضع من أصوات المجموعة التى قبلها (ط - د ت) وصوت الراء أدخل قليلا من حيث المخرج إذا قورنت بالصاد والزاى والسين · انظر : د· بشر : علم اللغة : القسم الثانى ص ١١٣ - ١٢١ ·

(٢) محمد مكى : القول المفيد ٣٢ ·

(٣) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ١٩٩/١ بتصرف ومحمد مكى : القول المفيد ٣٢ ·

(٤) ابن دريد : مقدمة الجمهرة ٨ والقول المفيد ٣٢ ، ٣٣ ·

ثم الحاء ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم الهاء ولولا هتة فى الهاء وقال مرة (ههة) لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء فهذه ثلاثة أحرف فى حيز واحد بعضها أرفع من بعض ثم الخاء والغين فى حيز واحد كلهن حلقية[١] وقال أيضا : وأما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة[٢].

٣ - **الأحرف اللهوية** : وهى حرفان القاف والكاف ومع نسبتهما إلى اللهاة بين الفم والحلق يختلف مخرج كل منهما عن الآخر فالقاف من أقصى اللسان مما يلى الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى من منبت اللهاة والكاف من أقصى اللسان بعد مخرج القاف[٣]. وقال الخليل : إن مبدأهما من اللهاة .

٤ - **الأحرف الشجرية** : وهى ثلاثة الجيم والشين والياء غير المدية ومخارجها متقاربة وقد أضاف إليها الخليل أيضا الضاد فجعلها شجرية وسميت تلك الحروف بذلك لأن مبدأها كما قال الخليل من شجر الفم أى مفرج الفم[٤] وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى[٥].

٥ - **الأحرف الأسلية** : وهى الصاد والسين والزاى[٦] ومخارجها متقاربة ما بين رأس اللسان وبين صفحتى الثنيتين العليين والصاد أدخلها فى هذا المخرج والسين أوسطها والزاى أبعدها[٧] وسميت أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان وهى مستدق طرف اللسان ، كما يقول الخليل .

---

(١) الخليل : العين ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) ذكر الهمزة فى الحروف الهوائية لأنها على حد تعبيره إذا رفه عنها لانت إلى الياء ، والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح وقد ذكرها فى حروف الحلق لأنه مخرجها الطبيعى وهذا الترتيب يختلف عن ترتيب سيبويه لحـــروف الحلق والذى اتبعه ابن جنى انظر العين ١/ ٨٥ .

(٣) محمد مكى : القول المفيد ٣٤ .

(٤) الخليل : العين ١/ ٦٥ .

(٥) ابن الجزرى : النشر ١/ ٢٠٠ بتصرف ومحمد مكى : القول المفيد ٣٤ .

(٦) انظر التعليق (٣٢) .

(٧) ابن الجزرى : النشر ١/ ٢٠١ والقول المفيد ٣٦ .

٦ - **الأحرف النطعية** : وهى الطاء والتاء والدال وهى متقاربة المخارج وسميت بذلك لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى[١] وهو سقف الحنك الأعلى .

٧ - **الأحرف اللثوية** : وهى الظاء والذال والثاء وهى متقاربة المخارج ما بين ظهر اللسان مما يلى رأسه وبين رأس الثنيتين العليين وسميت بذلك لأن مبدأها من اللثة أو لخروجها من قرب اللثة[٢].

٨ - **الأحرف الذلقية** : وهى الراء واللام والنون المظهرة واللام أوسع الحروف مخرجا إذا يمكن إخراجها من كلتا حافتى اللسان وما يحاذيهما من لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين والنون المظهرة من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا أما اللام فهى أدخل فى ظهر اللسان[٣] ما بين رأسه وما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين وسميت بذلك لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو طرفه[٤].

٩ - **الأحرف الشفهية أو الشفوية** : وهى الفاء والباء والميم والواو غير المدية وسميت بذلك لأن مبدأها من الشفة[٥] غير أن الفاء مما بين باطن الشفة السفلى ورأس الثنيتين والثلاث الباقية مما بين الشفتين معا[٦].

١٠ - **الأحرف الخيشومية** : وهى النون الساكنة أو التنوين والميم الساكنة حين إدغامهما بغنة أو إخفائهما والنون والميم المشددتان فإن مخرج هذين الحرفين يتحول فى هذه الحالة عن مخرجهما الأصلى على القول الصحيح فهما حينئذ من الأنف والخياشيم على حين كانت لهما فى غير ذلك مخارج أخرى[٧].

وهذا التقسيم لا يناقض الأول بل يعضده ويؤازره ويكشف عن نظرات

---

(١) انظر التعليق ٣٢ .

(٢) محمد مكى : القول المفيد ٣٧ .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٢ .

(٤) محمد مكى : القول المفيد ٣٧ والخليل : العين ١/٦٥ .

(٥) انظر التعليق ٣٨ .

(٦) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٣ وابن دريد : مقدمة الجمهرة ٧ .

(٧) ابن الجزرى : النشر ١/٢٠١ وابن جنى :سر الصناعة ١/٥٣ ومحمد مكى : القول المفيد ٣٧ ، ٣٨ .

أخرى لمواقع الحروف وقد تبعه بعض المحدثين من المشتغلين بالدراسات الصوتية كالدكتور صبحى الصالح[1] والدكتور محمد المبارك[2].

وليست هذه الملاحظات الدقيقة لعلماء اللغة القدامى مشوبة بالخلط أو الغلط كما يدعى الدكتور تمام حسان فقد ذهب إلى أن النحاة العرب خلطوا خلطا كبيرا فى تحديد هذه المخارج وقال : حسبك أن ترى ابن الجزرى يفاضل بين الآراء المختلفة فى تحديد عدد منها حتى إذا عد سبعة عشر مخرجا وجدناه يسمى النون مثلا مرة ذلقية لأنها تخرج من ذلق اللسان ومرة أخرى خيشومية لأنها تنطلق فى تجويف الفم وهو الخيشوم ومرة ثالثة يقول إنها من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا فهو بهذا يعطى النون مخرجا خاصا حينا ويجمعها مع الراء واللام حينا ويضمها إلى الميم فى مخرج حينا آخر ثم يغلط فى تحديد مخارج أصوات الخاء والغين والكاف والطاء والدال والتاء فيقول : إن صوتى الخاء والغين أدنى الحلق إلى الفم وراء مخرج القاف مع أنهما من مؤخر اللسان مع الطبق أمام مخرج القاف وهو يجعل الكاف خلف القاف والعكس أصح فصوت الكاف من نفس مخرج صوتى الخاء والغين ثم هو يقول إن الأصوات الثلاثة الأخيرة نطعية ويقصد أنها من نطع الغار والصحيح أنها أسنانية لثوية[3].

ولست أؤيد هذا الاتجاه الذى ذهب إليه الدكتور فالواضح أن هذه الأوصاف المتعددة للحرف الواحد جاءت من طريق الاستقراء الواعى لمخرج الحرف والملاحظة الدقيقة لكيفية تكوينه وليس فيها ما يدل على خلط أو تعارض فوصف النون مثلا بالأوصاف السابقة يزيدها وضوحا وجلاء للناطقين والدارسين على السواء على أن الدكتور صبحى الصالح يعزو هذا التعدد إلى شدة أمانة النحاة وحرصهم على أن ينقلوا الآراء جميعا وإلى أن مخارج الحروف وصفاتها تخضع للملاحظة المباشرة وكلما تجددت هذه الملاحظة ولدت مصطلحات جديدة وتسميات مستحدثة[4].

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ٣٢٢ ـ ٣٣٤ .

(٢) فقه اللغة ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) د. تمام : مناهج البحث فى اللغة ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) د. الصالح : دراسات فى فقه اللغة ٣٣٠ .

وإما أنهم أخطأوا فى تحديد المخارج فهذا ما لا أتصوره لأنهم كما رأينا سابقا يميلون إلى الدقة فى وصف الحرف وبيان مخرجه بل يتوجه هذا النقد إلى الدكتور نفسه حين اعتبر الغين والخاء من نفس مخرج الكاف لا من الحلق[١] فالدراسات الصوتية الحديثة تؤكد حلقيتهما وتبرهن عليها ، وتقديم القاف على الكاف الذى ذكره ابن الجزرى يوافق - حقا - كسابقه - ما عرفه علماء اللغة من المتقدمين فابن جنى مثلا قد صرح بأن مخرج القاف متقدم على مخرج الكاف[٢]، وكذلك قال الخليل : الكاف ارفع[٣] وبذلك صرح سيبويه حين قال : ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج الكاف وإذا كان سيبويه قد ذكر القاف بعد الكاف فى أول الفصل فقد وضعها فى الموضع المناسب لها بعد ذلك[٤] وذوق الصوتين يؤكد ما قالوه فإنك إذا وقفت على الكاف والقاف نحو : اك - اق . تجد القاف أقرب إلى الحلق ، والكاف أبعد منه[٥] ولا ضير فى الجمع بينهما على أية حال لأنهما متقاربان مخرجا فهما من حروف أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى كما يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا[٦] .

ويقوى ما قلناه أن صوت القاف العربى لم يصل إلينا تحديده بصفة قاطعة ، حتى إن بعض الباحثين يقول إنه كان ينطق بين القاف والكاف ويرجح

---

(١) وافقه على ذلك الدكتور كمال بشر الذى خص الحلق بصوتى العين والحاء وجعل الهمزة والهاء من الحنجرة ، وهى جزء سابق للحلق ، وجعل الغين والخاء من أقصى الحنك ، وهو يلى الحلق من الأمام ، وقد أجاب الدكتور بشر عن العرب بأنهم ربما كانوا يطلقون الحلق على منطقة أوسع من تلك المنطقة التى نسميها اليوم بالحلق فكان هذا الاصطلاح يشمل عندهم (الحنجرة - الحلق - أقصى الحنك) وهو يتفق معنا فى طريق الرد على الدكتور تمام حسان .

انظر د. بشر : علم اللغة العام ١١٨ ، ١٣٨ - ١٤٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ - ١٥٩ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٢ .

(٣) الخليل : العين ١/ ٦٤ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٠٥ .

(٥) محمد مكى : القول المفيد ص ٣٤ .

(٦) د. نجا : التجويد والأصوات ٥١ .

آخرون أنه كان مشابها للجيم القاهرية لدى القبائل الحجازية أيام النبى ﷺ(١) وفى كل هذا ما يكفى لتسويغ ذكره قبل الكاف عند المتقدمين لاختلاط الأمر واشتباهه .

ووصف الطاء والتاء والدال بأنها حروف نطعية له ما يسوغه حتى على القول بأن التجارب الحديثة تدل على أن طرف اللسان مع هذه الأصوات يتصل بأصول الثنايا بل ومعظم الثنايا من الداخل وهذا لأن النطع كما هو معروف فى المعاجم أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا وهذا القرب من أصول الثنايا يكفى لتصور العلاقة بين تلك الأصوات والنطع بمعناه المذكور فلا غرابة إذا فى إطلاق هذا الوصف عليها وهذا مثل وصفهم للذال والثاء والظاء باللثوية على الرغم من أن اللثة لا تقوم معها بأى دور بل هى مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا(٢) ، ومع هذا ومع تسليمنا بأنه كان الأولى أن يوضع المصطلح السابق للام والراء والنون وأنه كان الأقرب إلى الصواب مع ذلك لا يمكن وصف الاتجاه الأول بأنه من قبيل الغلط ويكفيهم فخرا أنهم وصلوا إلى هذا التحديد دون أن تسعفهم الآلات أو التجارب .

هذا .. وقد نفى الدكتور أنيس نسبة أى لقب مما بنى على أساسه التقسيم السابق إلى الخليل بن أحمد وادعى أن الخليل لم يذكر شيئا من ذلك بل هذه الألقاب التى جرت على الحروف من أمثال لثوية وذلقية وأسلية ونطعية وشجرية ولهوية قد ظهرت فى أوائل القرن الرابع الهجرى ويقول الدكتورأنيس أن هذه المصطلحات قد نشأت دفعة واحدة ويستدل على ذلك بأننا لا نجد منها فى كلام ابن جنى سوى ما يسميه بحروف الذلاقة وقد كنا نتوقع أيضا أن نجد نفس المصطلحات فى كلام سيبويه تلميذ الخليل ووارث الكثير من علمه وآرائه ولكن كتاب سيبويه قد خلا منها(٣) ثم يقول : المسئول إذا عن نشأة هذه المصطلحات هو كتاب العين الذى شاع شأنه فى القرن الرابع الهجرى أيا كان

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٦٨ .

(٢) ابن منظور : اللسان ١٠/ ٢٣٥ و د. أنيس : الأصوات اللغوية ٧٨ ، ٧٩ ولكن أطلق وصف اللثوية عليها لقرب مخرجها من اللثة كما ذكرنا فيما سبق وأيده د. الصالح : دراسات فى فقه اللغة ص ٣٢٤ .

(٣) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ٧٧ .

مؤلفه ولكن الذى لا يحتمل النزاع أو الشك أن نسبة هذه المصطلحات للخليل نسبة غير صحيحة وإلا فقد كنا نتوقع أن نجد لها صدى فى كلام سيبويه[1].

والذى حمل الدكتور أنيسا على القول بهذا الرأى أنه لا يعترف - فيما يبدو - بنسبة كتاب العين للخليل[2] بل يتخذ من عدم ورود هذه المصلحات فى كتاب سيبويه دليلا يعضد به نفى نسبة العين للخليل فيقول : « ليس من التجنى أو المغالاة ، إذا أن نتخذ من هذه الظاهرة دليلا جديدا على عدم صحة الرأى القائل بنسبة كتـــاب العين للخليـــل على الأقـل على الصورة التى انحدرت إلينا »[3].

والذى يعرفه تاريخ اللغـــة أن علمـــاء القرن الرابع قد اختلفوا فيمـــا بينهم حول نسبـة كتـاب العين إلى الخليل فمنهم من أنكر نسبة الكتاب إليه كابن جنى ومنهم من اعترف بتلك النسبة كصاحب الجمهرة فقال : وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعنى من سما إلى نهايته فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلف وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد[4].

وقد ثبت بالأدلة التى ارتضـــاها كثير من أصحـــاب العقول الراجحة[5] أن الكتاب للخليل ومن المعقول إذا أن يأخذ المؤيدون لنسبة الكتاب للخليل - كابن دريد - بما ورد فيه من نصوص ونواح علمية وينسبوها لصاحبها وهو الخليل فى الوقت الذى ينصرف المنكرون كابن جنى عن تلك الأفكار العلمية ماداموا لم يتأكدوا من معرفة قائلها على وجه التحديد وإذا كان الخليل هو الأستاذ العبقرى لسيبويه أورثه ما أورثه من العلم والمعرفة فليس معنى هذا أن

---

(١) نفسه ٨٠ .

(٢) ففى كتابه دلالة الألفاظ ط٣ ص ٢٣٢ - ٢٣٥ تحدث عنه وعرض الآراء فيه ولم يدل برأى قاطع فى نسبته له بل يحترس عن ذكر اسم الخليل على أنه هو المؤلف مما يوحى بالشك أو الإنكار .

(٣) انظر التعليق ٥٥ .

(٤) ابن دريد : الجمهرة ١/ ٣ ط١٣٤٤هـ .

(٥) د. نجا : المعاجم اللغوية ص ٥٧ .

يكون سيبويه قد أخذ كل ثقافة أستاذه الخليل بحيث لم يترك منها شيئا ، فتاريخ التعليم يؤكد أن الأستاذ - وبخاصة إذا كان بحرا كالخليل - تبقى عنده مواد كثيرة من العلم لا تستوعبها أذهان تلامذته وهذا هو المنطق المقبول .

كما أنه ليس معنى التأليف أن يودع المؤلف كل أفكاره ويروى كل ما أخذه عن غيره فى مؤلفه الذى ينشره بين الناس فقد تبقى مواد علمية كثيرة فى ذهن المؤلف يذكرها فى مناسبات أو مؤلفات أخرى ، وبخاصة إذا عرفنا أن سيبويه مات صغير السن جدا بحيث لم يستطع أن يخرج إلى الناس كل علمه على ما نعرفه فيه من تعمق فى اللغة وما يتصل بها وإذا فليس معنى عدم ورود تلك المصطلحات فى كتاب سيبويه أنها لا تنتسب إلى الخليل وأن ورودها فى كتاب العين منسوبة إلى الخليل غير صحيح لجواز أن تكون تلك المصطلحات من الأمور العلمية التى لم تصل إلى سيبويه أو وصلت إليه ولكنه لم يدونها فى كتابه شأنها فى ذلك شأن مسائل علمية أخرى كثيرة من المحتمل أنه لم يضفها إلى هذا الكتاب .

ونرى أن هذه المصطلحات قد وردت فى جمهرة اللغة لابن دريد(١) وشرح الكتاب للسيرافى(٢) - وهو معاصر لابن جنى - وغيرهما من العلماء الأفذاذ وهؤلاء العلماء - فيما أرى - كانوا على درجة كبيرة من الورع تمنعهم من التورط فى الكذب بنسبة الشىء إلى غير صاحبه فالحق الذى يجب اتباعه أن هذه المصطلحات من وضع الخليل وابتكاره .



(١) ١/٦ - ٩ .

(٢) انظر شرح كتاب سيبويه للسيرافى مخطوطة دار الكتب رقم ١٣٦ نحو الجزء الثالث باب الإدغام .

صفات الحروف

وضح من دراسات القدامى والمحدثين من علماء الأصوات أن للأصوات صفات كثيرة ، وقد قسموها بحسبها على النحو التالى :

١ - المجهور والمهموس :

عرف القدامى المجهور بأنه حرف أشبع الاعتماد من موضعه ، ومنع النفس أن يجرى معه ، حتى ينقضى الاعتماد ، ويجرى الصوت .

وحروفه - عندهم - تسعة عشر حرفا وهى ما عدا حروف الهمس (سكت فحثه شخص) .

وعرفوا المهموس بأنه : حرف أضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس وحروفه (سكت فحثه شخص) على ما سبق بيانه .

وقد أوضح علماء اللغة القدامى أن كلا من الجهر والهمس يمكن معرفته ، والحكم على الصوت به عن طريق تكرير الصوت وتحريكه فإما أن ينطلق النفس ، وإما أن ينحبس يقول ابن جنى : وأنت تعتبر ذلك - (أى الهمس) بأنه قد يمكنك تكرير الحرف مع جرى الصوت نحو : (سسس ككك - ههه ولو تكلفت ذلك فى المجهور لما أمكنك[1].

والمحدثون يكادون يتفقون مع القدامى فى هاتين الصفتين فقد لاحظوا أنهما ينشآن من تأثر الوترين الصوتيين بالهواء الخارج من الرئتين وعدم تأثرهما بالاهتزاز وأن هذا التأثر مرتبط بفتحة المزمار فى انقباضها وانبساطها ، فإذا انقبضت هذه الفتحة ضاق مجرى الهواء واقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر ، فيؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز وهذا يحدث مع الصوت المجهور وإذا انبسطت فتحة المزمار اتسع مجرى الهواء وابتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر بحيث لا يؤثر فيهما الهواء الخارج من الرئتين بالاهتزاز وهذا يحدث عندما يكون الصوت مهموسا[2].

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٦٩ وسيبويه : الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

(٢) د. نجا : التجويد والأصوات ٥٩ ، ٦٠ و د. أنيس . الأصوات اللغوية ص ٢ ، ٢١ .

وبناء على تلك النظرية عرف المحدثون المجهور والمهموس على النحو التالى :

المجهور : هو الذى يهتز معه الوتران الصوتيان نتيجة انقباض فتحة المزمار وضيق مجرى الهواء واقتراب الوترين الصوتيين اقترابا يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز كحرف الباء والجيم والدال .

والمهموس : هو الصوت الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان نتيجة انبساط فتحة المزمار واتساع مجرى الهواء وابتعاد الوترين الصوتيين ، بحيث لا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز كالثاء والحاء والخاء والسين والشين وغير ذلك من الحروف المهموسة(١) .

وقد أجرى العلماء تجارب نقف بها على المجهور والمهموس من الأصوات ومنها :

١ - وضع الإصبع على تفاحة آدم والتى يقصد بها البروز الحنجرى ثم النطق بالحرف فإذا اهتز الوتران الصوتيان شعرنا بالاهتزاز وهذا بالنسبة للأصوات المجهورة كالنطق بحرف الدال مثلا وإذا لم يهتز لم نشعر بشىء وهذا عند النطق بالأصوات المهموسة ، وقد أوضح ابن جنى أنه يمكن ذوق الحرف واعتبار صداه بأن تأتى به ساكنا لا متحركا ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول اك ، اق ، اج ، وكذلك سائر الحروف(٢) وقد وافق ابن جنى على ذلك بعض الباحثين المحدثين كالدكتور وافى فقد صرح بأن الوسيلة السريعة لمعرفة مخرج أى صوت هى أن نأتى بهمزة قبله ثم نأتى به ساكنا أو مشددا فحيث ينقطع الصوت يكون مخرج الحرف(٣) وكذلك الدكتور صبحى الصالح حين قال إن أفضل وسيلة لمعرفة مخرج الحرف أن تسكنه أو تشدده وتدخل عليه همزة الوصل بأى حركة وتتسمعه فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق وحيث يمكن انقطاع الصوت فى الجملة كان مخرجه المقدر(٤) وواضح من هذا أنهما قد استمدا رأيهما من قول ابن جنى فى

---

(١) د. نجا : التجويد والأصوات ٦٠ و د. أنيس : الأصوات اللغوية ٢١ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ٧/١ .

(٣) د. وافى : فقه اللغة ص ١٦٠ .

(٤) د. الصالح : دراسات فى فقه اللغة ٣٢١ .

سر الصناعة ولكن الدكتور أنيس يرى أنه لا يتأتى هذا إلا بأن تشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذى يسمى السكون مثل « ب » ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذى هو أساس التجربة الصحيحة(١).

ولكننا نرى أن اللغة العربية لا تبتدىء بالساكن بل تأتى بهمزة الوصل عند عدم إمكان النطق لهذا نعتقد أن رأى ابن جنى ومن تابعه من المحدثين أشد وأقوى ، وعلى كل حال فإن وضع الإصبع فوق تفاحة آدم يجعلنا نشعر باهتزاز الأوتار أو عدم اهتزازها فنعرف بذلك المهموس والمجهور .

٢ - وضع الإصبع فى الأذن ثم النطق بالحرف فنحس برنين الصوت فى الرأس إذا كان الصوت مجهورا وهذا نتيجة لاهتزاز الأوتار الصوتية ولا نشعر بمثل ذلك عند النطق بالمهموس .

٣ - وضع الكف فوق الجبهة فى أثناء النطق بالصوت فنجد الرنين السابق وتحس به الكف وهذا الرنين ناشىء عن اهتزاز الوترين الصوتيين مع الحرف المجهور كالباء مثلا ولا يحدث مثل ذلك مع المهموس .

وقد أوضح كل هذه التجارب علماء اللغة المحدثون .

ولو قارنا ما قال به أسلافنا من عباقرة اللغويين أمثال سيبويه وعالمنا ابن جنى وما قال به المحدثون فى صفتى المجهور والمهموس لوجدنا أن ذوق علمائنا وإحساسهم المرهف كان أكثر دقة من الآلات التى استخدمها المحدثون من علماء اللغة فلو تأملنا تعريف المجهور والمهموس عند سيبويه وتابعه ابن جنى الذى نقل كلامه لوجدنا أن هذا التعريف لا يختلف كثيرا عن رأى المحدثين فكل من سيبويه وابن جنى يعرف المجهور - كما سبق - بأنه حرف أشبع الاعتماد من موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت(٢).

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٢١ ، وينظر : د. تمام : مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠هـ فى مقال عن مصطلحات سيبويه فى أصوات العربية ص١٠٨٠ قال: وإذا أردت أن تختبر صوتا ما لترى ما إذا كان مجهورا أو مهموسا فأنطقه مشكلا بالسكون وضع أطراف أصابعك على الحنجرة تحت الذقن وفيها الأوتار الصوتية فإن أحسست باهتزاز وارتعاش تحت أطراف أصابعك فهذا الصوت مجهور وإلا فهو مهموس .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٠٥ وابن جنى : سر الصناعة ١/ ٦٩ .

وعند المقارنة يلزم تفسير هذا التعريف وبيان غامضه ، فما معنى إشباع الاعتماد ؟ ولماذا قال أشبع الاعتماد من موضعه ؟ وما معنى قوله منع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت ؟ .

أما إشباع الاعتماد فيبدو أن المقصود به قوة تأثير الهواء المندفع من الرئتين على أعضاء النطق فى أثناء مروره فى مجراه من الحنجرة حتى مخرج الصوت وهذا يؤكد أن الحرف المجهور حرف واضح لما يصحبه من عملية صوتية قوية والحرف المهموس بالعكس يصحبه هواء ضعيف الضغط لا يؤثر تأثيرا قويا فى أثناء سيره فى مجراه منذ خروجه من الرئتين وهذا ما رآه أيضا الدكتور أنيس وأكده الدكتور تمام حسان ، يقول الدكتور أنيس عن إشباع الاعتماد « إنه يصف المجهور بأنه صوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة وتلك هى الصفة التى يشير إليها الأوربيون بقولهم Sonority فالمجهور أوضح فى السمع من نظيره المهموس لا نزاع فى هذا وليس للاعتماد معنى فى كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت تلك العملية التى تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجى ويدل على أن الاعتماد معناه العملية العضلية المطلوبة فى إصدار الصوت أن سيبويه اعتبر أن فى المهموس اعتمادا أيضا ولكنه اعتماد ضعيف لأنه يقول : فأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه(١) .

ويقول الدكتور تمام إجابة على سؤال هو « ما الذى يقصده سيبويه بالاعتماد فى الموضع ؟ » قال : « الذى يبدو أن سيبويه كان يرى الجهر والهمس حادثين من تفاوت كمية الجهد الذى يحس به فى صدره أثناء النطق والمعروف أن حركة الحجاب الحاجز - وهى مظهر هذا الجهد - أوضح فى الجهر منها فى الهمس كما يتضح من نطق السين والزاى مشكلتين بالسكون فى نفس واحد على التعاقب .

وأما إشباع الاعتماد من موضعه فمعناه أن تلك القوة الناشئة عن ضغط الهواء المندفع من الرئتين تستمر خلال أعضاء النطق وفراغات الحلق والفم حتى تصل إلى مخرج الحرف عند التقاء عضوى النطق أحدهما بالآخر فيضغط هذا

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٩٢ .

الهواء بقوة على مكان خروج الحرف وهذا ما اعترف به الدكتور أنيس والدكتور تمام أيضا .

يقول الدكتور أنيس : ولأمر ما عبر سيبويه بقوله أشبع الاعتماد فى موضعه ولم يقل فى مخرجه لأنه كان يشعر بهذا الإشباع فى كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج فكلمة الموضع هنا هى ما عبرنا عنه فى هذا الكتاب بالمجرى وقال الدكتور تمام « ظن سيبويه » على احتمال أن الجهر والهمس مع ارتباطهما بتفاوت كمية الجهد فى الصدر إنما يحدثان فى المخرج فهذا المخرج يحدث فيه الجهر عند زيادة كمية الجهد الصدرى على حد تعبيره عند إشباع الاعتماد كما يحدث فيه الهمس عند إضعاف الاعتماد(١) .

وكلام الدكتور تمام يتفق مع كلام الدكتور أنيس - وإن كان يختلف معه فى تفسير الموضع بالمخرج - إذ أن الهواء الخارج من الرئتين يستمر فى الضغط فى أثناء سيره فى مجراه فإذا وصل إلى عضوى النطق زاد ضغطه وقوى فيؤثر فى المخرج تأثيرا كبيرا مما ينجم عنه الإحساس بالجهر وقد ربط الدكتور تمام بين هذا المعنى لإشباع الاعتماد فى الموضع وبين عمل الأوتار الصوتية كما يراها المحدثون فقال إن مرجع ذلك من الناحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشىء ولكنها تتقارب دون التصاق فى حالة الهمس ، فيكون تسرب الهواء منها أيسر وتكون حركة الحجاب الحاجز من ثم أقل عنفا(٢) .

ويؤكد هذا الكلام فهمنا للعبارة الأخيرة فى التعريف وهى منع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت فكأن الأوتار الصوتية حين يتقارب بعضها من بعض تكاد تمنع الهواء من المرور وهذا يجعل الهواء يؤثر عليها بالاهتزاز المستمر حتى ينتهى الصوت إلى مخرجه ويبرز إلى الوجود ، وأما المهموس فإن ابن جنى وسيبويه قد صرحا بأنه حرف أضعف الاعتماد من

---

(١) د. تمام : مجلة الأزهر عدد شوال ١٣٨٠هـ مارس ١٩٦١م من مقال بعنوان مصطلحات سيبويه فى أصوات العربية ص ١٠٨٢ .

(٢) د. تمام : مجلة الأزهر - العدد السابق ص ١٠٨٢

موضعه حتى جرى معه النفس[1] وجرى النفس مع الصوت معناه أن الهواء وجد الطريق متسعا لخروجه وهذا فيما يبدو نتيجة ابتعاد الوترين الصوتيين عن بعضهما فلا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز ومن ثم تضعف قوة بروز الحرف مما يجعله مهموسا ، وهذا يوافق رأى الدكتور أنيس إذ يقول تفسيرا للعبارتين السابقتين « منع النفس » و « جرى النفس » .

ومعنى هذا فى رأيى أن الحس المرهف لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس ، وتلك هى الصفة التى وضحها لنا المحدثون حين وصفوا ما يجرى فى الحنجرة مع المجهورات وهذا يضطر هواء التنفس إلى الاندفاع من بينهما فى قوة تحرك الوترين الصوتيين وتجعلهما يتذبذبان ويظلان يتذبذبان حتى ينقضى الاعتماد ، أى حتى تنتهى العملية العضلية المطلوبة فى إصدار الصوت أما فى حالة المهموس فنجد طريق التنفس معه مفتوحا بحيث يسمح بانسيابه حرا طليقا وتلك هى الحال التى عبر عنها المحدثون بقولهم « إن الوترين الصوتيين مع المهموس يبتعد أحدهما عن الآخر فينطلق النفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما وإحداث ذبذبات بهما .

ومن هذا يتضح أن سيبويه ومعه ابن جنى وغيرهما من علماء الأصوات العرب كانوا يفهمون سير الصوت اللغوى بطريقة دقيقة ويدركون هذا الجهد الذى ينشأ عنه اهتزاز الأوتار وعدم اهتزازها ويؤكد أنه لا يفترق بذلك عن رأى المحدثين ، ويوضح ذلك أن سيبويه جعل فى بعض عباراته الصوت المجهور يخرج من الصدر والمهموس من الفم يقول السيرافى فى شرحه لكتاب سيبويه : قال أبو الحسن الأخفش سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور فقال : المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك فيه وأما المجهور فلا يمكنك ذلك فيه ثم كرر سيبويه (التاء) بلسانه وأخفى فقال : ألا ترى كيف يمكن وكرر (الطاء والدال) وهما من مخرج التاء فلم يمكن وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل .

قال سيبويه : وإنما فرق ما بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٦٩ سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ .

المجهور إلا أن تدخله الصوت الذى يخرج من الصدر فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر ويجرى فى الحلق غير أن الميم والنون يخرج أصواتهما من الصدر ويجرى فى الصدر والخيشوم فيصير ما جرى فى الخيشوم غنة تخالط ما جرى فى الحلق والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أخل بهما وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها وذلك مما يزجى الصوت ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم فى المجهور فأخرج الصوت من الفم ضعيفا والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل إلى ذلك فى المجهور فإذا قلت (شخص) فإن الذى أزجى هذه الحروف صوت الفم ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعد ما يخرجها صوت الفم ليبلغ ويفهم بالصوت فالصوت الذى يكون من الصدر ههنا نظير ذلك الصوت الذى ترفعه بعد ما تزجى صوت الصدر[١].

فالمراد بصوت الصدر كما يقول الدكتور أنيس هو صدى الذبذبات التى تحدث فى الوترين الصوتيين بالحنجرة وهذا الصدى نحس به ولا شك فى الصدر كما نحس به حين نسد الأذنين بالأصابع أو حين نضع الكف على الجبهة فهو الرنين الذى نشعر به مع المجهورات وسببــه تلك الذبذبات التى فى الحنجرة .

وفى العبارة فوق هذا أمر آخر أشد عجبا إذ أن سيبويه على الرغم من أنه لم يكن يعرف الموجات والذبذبات - قد أحس بمفهومها فموجات الهواء التى تخرج من الصدر على حد تعبيره تضخمها الفراغات الرنانة فى الحلق والفم فتسمعها الأذن إلا أن الفرق بين المجهور والمهموس أن مصدر الذبذبات مع المجهورات هو الحنجرة على حين أن مصدرها مع المهموسات هو الحلق والفم وتضخمها الفراغات الرنانة ولكنهــا ذبذبات ضعيفة ليس لهــا أثر قوى فى السمع ، وهذا هو معنى قوله إن المجهورة يزجيها صوت الصدر أما المهموسة مثل شخص فإن الذى يزجيها صوت الفم[٢].

وإننى أرى أن ذلك حقا هو ما أحس به سيبويه وضمنه تلك العبارات

---

(١) شرح السيرافى للكتاب الجزء الثالث ص ١٥ ، ١٦ من فصل الإدغام .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٩٠ ، ٩١ .

العلمية المعتمدة على المنهج السديد فى التعبير بصوت الصدر وصوت الفم فمع المجهور تتأثر الأوتار الصوتية بتلك القوة النابعة من أول خروج الهواء فتهتز اهتزازا يضخم الصوت ويجعله يرن فى الأعماق ويسير بنفس القوة حتى يصل إلى الفراغات الأخرى فى الحلق والفم فتزيده تضخما وعمقا وهذا ما عبر عنه بصوت الصدر ، أما مع المهموس فإن الأوتار الصوتية تظل على حالها من الابتعاد وبهذا لا تتأثر بالهواء فلا يبقى أثر لتضخم الصوت فى الحنجرة ويقتصر التضخم على فراغات الحلق والفم وهذا ما عبر عنه بصوت الفم ، ويؤكد ذلك أنه قال عن كلمة شخص فى العبارة السابقة « إنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعد ما يزجيها صوت الفم ليبلغ ويفهم الصوت » .

ويبدو أنه يعنى بصوت الصدر الصوت الذى فى حركات الكلمة « شخص » والحركات كما نعرف مجهورة وهكذا يكون سيبويه قد أرشدنا إلى أن الحركات فى الكلمات المشتملة على حروف مهموسة فقط تساعد على وضوح مثل هذه الكلمات فى السمع(١).

وهذا يعنى الاتفاق التام بين الوجهتين ، ويثبت براعة علمائنا إلا أن بعض الأصوات قد اختلفوا فى وصفها بالجهر والهمس نتيجة تطورها الصوتى كالقاف ، والطاء فهما مجهوران عند القدماء ، مهموسان عند المحدثين(٢).

٢ - الشديد والرخو والمتوسط :

عرف القدامى الشديد بأنه : الحرف الذى يمنع الصوت (الهواء) من أن يجرى فيه ، كالقاف والطاء .

والرخو هو الذى يجرى فيه الصوت (الهواء) كالسين والشين والحاء .

والمتوسط هو الذى بين الشدة والرخاوة كالراء واللام(٣) ، وللمحدثين فى هذه الصفات مصطلحات جديدة إلا أنها لا تخرج عما ذكره القدماء فيما تتضمنه من تصور لصدور الأصوات متصفة بوضع نطقى خاص ، فقد لاحظوا أن

---

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ٩١ .

(٢) د. نجا : التجويد والأصوات ص٦١ و د. أنيس : الأصوات اللغوية ص٢٢ .

(٣) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٦٩ ، ٧٠ وسيبويه : الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

مخرج الصوت يكون عند التقاء عضوين من أعضاء النطق يتصل أحدهما بالآخر اتصالا محكما فى بعض الأحيان وفى بعض الأحيان الأخرى اتصالا غير محكم فإذا التقيا التقاء محكما فإن الهواء المندفع من الرئتين ينحبس عندهما لحظة من الزمن ينفصلان بعدها انفصالا فجائيا ينشأ عنه سماع صوت انفجارى هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد ويسميه المحدثون انفجاريا وإذا التقى عضوا النطق التقاء غير محكم لم ينحبس الهواء المندفع من الرئتين بل يكون بين العضوين فراغ يسمح للهواء بالمرور فيحدث نوع من الحفيف نتيجة احتكاك الهواء بعضوى النطق حينئذ ويسمى المحدثون الأصوات التى يحدث معها ذلك بالأصوات الاحتكاكية ويسميها الأقدمون بالأصوات الرخوة وقد يسمح التقاء العضوين للهواء بالمرور دون إحداث أى حفيف أو صفير نتيجة لاتساع مجرى الهواء وهذا يحدث مع بعض الأصوات التى سماها المحدثون بالأصوات المائعة والأقدمون بالأصوات المتوسطة ذلك أنها ليست بالشديدة ولا بالرخوة[1] ، وبهذا يفهم أن الأصوات فى نظر المحدثين ثلاثة أنواع هى : الانفجارى ، والاحتكاكى ، والمائع :

١ - **الانفجارى** : هو الذى يحدث عند التقاء عضوى النطق التقاء محكما يمنع الهواء من المرور ثم ينفصل العضوان بسرعة ينشأ عنها صوت قوى له دوى وانفجار كالدال أو التاء ·

٢ - **الاحتكاكى** : هو الصوت الذى يحدث عند التقاء عضوى النطق التقاء غير محكم يسمح للهواء المندفع من الرئتين بالمرور مع إحداث نوع من الحفيف لاحتكاكه بأعضاء النطق كالسين والصاد ·

٣ - **المائع** : هو الصوت الذى يحدث نتيجة التقاء عضوى النطق التقاء غير محكم بحيث يتسع مجرى الهواء فلا يصدر أى نوع من الحفيف لعدم احتكاك الهواء بأعضاء النطق مثل اللام والنون والراء والميم ·

ويتفق هذا فى مضمونه مع ما ذهب إليه القدامى :

فقد قالـوا فى تعريف الشديد - كمـا سبق - إنه هو الذى يمنع الصوت

---

(١) د· نجا : التجويد والأصوات ٦١و د· أنيس : الأصوات اللغوية ٢٤ ، ٢٥

(الهواء) أن يجرى فيه ، وهذا المنع للصوت (الهواء) نتيجة لالتقاء عضوى النطق التقاء محكما .

كما قالوا فى تعريف الرخو إنه الذى يجرى فيه الصوت ، وجريان الهواء فيه نتيجة للالتقاء غير المحكم لعضوى النطق ، فيحتك الهواء بهما مصدرا نوعا من الحفيف كما يقول المحدثون .

والمتوسط هو الذى بين الشدة والرخاوة ، ذلك لأن الهواء يخرج من بين عضوى النطق ، نتيجة التقائهما غير المحكم ، فيسمح للهواء بالمرور دون إصدار حفيف كالرأى الحديث .

بيد أن القدامى والمحدثين يختلفون فى عدد الحروف التى توصف بكل صفة من هذه الثلاث .

ويمكن أن نستخلص من كلامهم أنهم يتفقون على أن الأصوات الآتية شديدة :

ء - ب - ت - د - ط - ق - ك .

والأصوات الآتية أصوات رخوة أو احتكاكية :

ث - ح - خ - ذ - ز - س - ش - ص - ظ - غ - ف - هـ .

والأصوات الآتية متوسطة أو مائعة :

ر - ل - م - ن .

هذا بالاتفاق ، وقد اختلفوا فى الأصوات الآتية :

ج - ض - ع .

فالجيم - عند القدماء - شديد ، على حين أنه عند المحدثين قليل الشدة ، أو انفجارى احتكاكى .

والضاد - عند القدماء - قليل الشدة على حين أنه عند المحدثين شديد أو باصطلاحهم انفجارى[1].

---

(١) د. بشر : علم اللغة - القسم الثانى : ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

والعين - عند القدماء - متوسط على حين أنه لم يتضح للمحدثين أمره(١).

أما الأصوات الثلاثة (أوى) فقد عدها ابن جنى من الأصوات المتوسطة وسنبين موقفنا منه عند حديثنا - تفصيلا - عما اختلف فيه القدامى والمحدثون من الأصوات .

٣ - المطبق والمنفتح : الإطباق هو أن ترفع لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له .

والحروف المطبقة أربعة هى : الضاد ، والطاء ، والصاد ، الظاء وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق .

٤ - المستعلى والمنخفض أو المستفل :

الاستعلاء : أن تتصعد الحروف فى الحنك الأعلى والحروف المستعلية سبعة يجمعها قولك خص ضغط قظ فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق وقد ذكرناها وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها(٢).

٥ - المنحرف : هو ما ينحرف فيه اللسان مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما وهو اللام(٣).

٦ - المكرر : وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير ولذلك احتسب فى الإمالة بحرفين .

٧ - المشرب : وهو الحروف التى تحفز فى الوقت وتضغط من مواضعها وهى حروف القلقة (قطب جد) لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت لشدة الحفز والضغط وذلك نحو الحق واذهب اخلط وبعض العرب أشد تصويتا ، ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ إلا أنها

---

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ٢٥ ، ٢٦ وانظر : مناهج البحث فى اللغة ص ١٠٢ حيث اتضح لمؤلفه الدكتور تمام حسان بصورة الأشعة أنها صوت رخو ، ولم يقل بذلك غيره .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٧٠ ، ٧١ .

(٣) نفسه ١/ ٧٢ .

لم تضغط ضغط الأول وهى الزاى والظاء والذال والضاد وبعض العرب أشد تصويتا(١).

٨ - **المهتوت** : وهو الهاء لما فيها من الضعف والخفاء(٢).

فتحتاج إلى النطق الموضح لها وهو (الهت)(أ).

٩ - **المذلق والمصمت** : المذلقة هى التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه وهى ستة (مر بنفل) .

والمصمتة هى ما صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة وقد أوضح ابن جنى تبعا للخليل بن أحمد أنه لابد فى كل كلمة رباعية أو خماسية مجردة من وجود حرف أو أكثر من هذه الحروف الستة المذلقة (وذلك أنك متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذى زوائد فلا بد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين وربما كان فيه ثلاثة وذلك نحو جعفر ففيه الفاء والراء وقعضب(٣) فيه الباء وسلهب(٤) فيه اللام والباء وسفرجل فيه الفاء والراء واللام وفرزدق فيه الفاء والراء وهمرجل فيه الميم والراء واللام ... وهكذا ومتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معراة من بعض هذه الأحرف الستة فاقض بأنه دخيل فى كلام العرب وقد يجىء شىء من ذلك بالنص عليه وهو قليل جدا منه العسجد والعسطوس(٥) والدهدقة(٦) والزهزقة(٧) على أن

---

(١) نفسه ١/ ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) يجعل ابن الجزرى الهاء من الحروف الخفية ومعها حروف المد لأنها تخفى فى اللفظ إذا تدرجت بعد حرف قبلها ولخفاء الهاء قويت بالصلة وقويت حروف المد بالمد عند الهمزة . النشر ١/ ٢٠٤ ويجعل صاحب المفصل المهتوت هو التاء ١٠/ ١٣١ .

(أ) انظر المعاجم (هت) .

(٣) الضخم الشديد الجرى .

(٤) الطويل .

(٥) الفرزدق : قطع العجين الواحدة منه فرزدقة والعسطوس بفتح العين والسين وضم الطاء وفيه لغة بتشديد السين الأولى هو الخيزران وقيل : شجرلين الأغصان ولا شوك له ينبت بالجزيرة .

(٦) مصدر دهدق الشىء إذا كسره واللحم إذا قطعه وكسر عظامه .

(٧) شدة الضحك وترقيص الأم الصبى .

العين والقاف قد حسنتا الحال لنصاعة العين ولذاذة مستمعها وقوة القاف وصحة جرسها ولا سيما وهناك الدال والسين وذلك أن الدال لانت عن صلابة الطاء وارتفعت عن خفوت التاء والسين أيضا لانت عن استعلاء الصاد ورقت عن جهر الزاى فعذبت وانسلت(١).

كما ذكر الخليل أن الحروف الستة لما ذلقت ومذل بهن اللسان وسهلت عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام ، فليس شىء من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها ، كما أورد كلمات ليس فيها أحد هذه الحروف مثل : الكشكعثج والخضعثج والكشعطج وقال إنهـا مولدات ، لا تجوز فى كلام العرب ، لأنه ليس فيهن شىء من حروف الذلك والشفوية(٢).

١٠ - **حروف المد والاستطالة** : وهى الألف والياء والواو اللواتى هى حروف المد والاستطالة إلا أن الألف أشد امتدادا وأوسع مخرجا ، وهو الحرف الهاوى(٣).

١١ - **حروف الغنة** : وهى خروج صوت الحرف من الخيشوم ، وحروفه الميم والنون لأنه قد يعتمد لهما فى الفم ، والخياشيم ، فتصير فيهما غنة(٤).

١٢ ـ **المفخم والمرقق** : التفخيم : تعظيم الحـــرف فى المنطق حتى يمتلئ

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٧٤ ، ٧٥ وابن دريد : الجمهرة ١/ ٧ وقد خص ابن جنى ذلك بذوات الأربعة : وربما جاء بعض ذوات الأربعة معرى من بعض هذه الستة وهو قليل جدا منه العسجد والعسطوس الخ سر الصناعة ١/ ٧٥ .

(٢) الخليل : العين ٥٧ - ٥٩ ولم أجد الكلمات فى لسان العرب جـ٣ باب الجيم مما يدل على أنها مولدة حقا .

(٣) ابـن جنى : سر الصنـاعة ١/ ٧١ وابن دريد : الجمهرة ١ / ٨ وقد عـد ابـن الجزرى الضاد من حروف الاستطالة وجعل المد نوعا خاصا بحروف المد والاستطالة نوعا آخر خاصا بالضاد ، قال : لأنه استطال عن الفهم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام لما فيه من القوة ، بالجهر ، والإطباق والاستعلاء انظر النشر ١/ ٢٠٥ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٦٩ .

الفم بصداه[1] وحروفه هى حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) مضافا إليها من حروف الاستفال الراء واللام والألف فى مواضع معينة ·

فالألف تفخم فى مثل (الصلاة والزكاة والحياة) ولهذا ينحى بها نحو الواو ، ولهذا أيضا كتبت فى المصحف واوا ·

والراء تفخم إذا كانت مفتوحة غير مسبوقة بياء أو كسرة لازمة ولم يقع بعدها الكسر مثل : (بدارا - واختار - أجرموا) ، فإذا اختل شرط من ذلك رققت عند فريق من العرب ، وفخمت عند آخرين كأن تكون مفتوحة مسبوقة بياء مثل (قديرا - خبيرا - كثيرا - قمطريرا) أو تكون مفتوحة مسبوقة بكسرة لازمة مثل (مبشرا - مقتدرًا) أو يقع بعدها الكسر مثل (إنها ترمى بشرر كالقصر) ومثل (مكرمين - رحيم)[2].

وتفخم الراء - أيضـا - إذا كانت مضمومـة ولم تسبق بكسرة ، مثل : (يشكرون - رسل ربنا) فإذا اختل هذا الشرط جاز فيها الترقيق والتفخيم مثل: (كافرون - ينتصرون) - لسبقهـا بالكسـرة - فإذا سبقت بياء فخمت مثـل: (كبيرهم - قدير) ولكن الأزرق - من القراء - يعاملها - فى هذه الحالة - معاملة المسبوقة بالكسرة فيرققها ·

والراء المكسورة ترقق دائما مثل (رزق - رجس) ، أما الراء الساكنة فتفخم إذا سبقت بفتحة مثل (العرش) أو ضمة مثل (القرآن) وترقق إذا سبقت بكسرة لازمة[3] مثل (فرعون - مرية - اصبر) إلا إذا وليها حرف

---

(١) د· نجا : التجويد والأصوات ص ٦٢ وفسر بعض الباحثين التفخيم بأنه : ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلا فى اتجاه الطبق اللين ، وتحركه إلى الخلف قليلا فى اتجاه الحائط الخلفى للحلق ، ولذلك يسميه بعضهم الإطباق Velarization بالنظر إلى الحركة العليا للسان ويسميه بعضهم : التحليق Pharyngalization بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان : انظر : د· مختار : الصوت اللغوى ص ٢٧٩ ·

(٢) المقصود الراء الأولى فى كلمة (بشرر) وقيل : إنه ترقيق لترقيق الراء التى بعدها كالإمالة للإمالة ·

(٣) الكسرة اللازمة هى التى تكون على حرف أصلى أو منزل منزلته يخل إسقاطه بالكلمة والعارضة بخلاف ذلك - وهو باء الجر ولامه،وهمزة الوصل - وقيل:=

استعلاء فلا خلاف فى تفخيمها مثل (قرطاس) - بالأنعام - و (فرقة وإرصادا) - بالتوبة - وفى غير ذلك يختلف شأنها بين التفخيم ، والترقيق ، وللقراء مذاهب كثيرة فى ذلك .

واللام تفخم فى لفظ الجلالة ، إن سبقت بفتح مثل : (كتب الله) أو ضم مثل (محمد رسول الله) ، وبعض العرب يفخمها متى سبقت بحرف من حروف الإطباق مثل (إن الصلاة - مطلع - فظل وجهه - والله فضل بعضكم)(١).

وهذه الصفات منها القوى ، والضعيف ، فصفات القوة هى : الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والإطباق ، والإصمات ، والصفير ، والقلقلة ، والانحراف والتكرير والتفشى والاستطالة ، والغنة ، وبعض هذه الصفات أقوى من بعض .

وصفات الضعف هى : الهمس ، والرخاوة ، والاستفال والانفتاح والذلاقة واللين ، والخفاء .

والصفات المتضادة منها هى الخمس الأولى من النوعين .

ولابد أن يتصف كل حرف بخمس متقابلة ، وأما غير المتقابلة فتارة يتصف بصفة ، أو صفتين منها ، وتارة لا يتصف بشىء ، ثم إن الحرف إذا كثرت فيه صفات القوة كان قويا ، وإذا كثرت فيه صفات الضعف كان ضعيفا ، فإذا استوى فيه الأمران كان متوسطا(٢).

ونعتقد - بعد هذا البيان - أن حديث القدامى عن الجهر والهمس ،

= العارضة : ما كانت على حرف زائد ، ويظهر الخلاف فى (مرفقا) - فى سورة الكهف فى قراءة كسر الميم ، وفتح الفاء - فعلى الأول تكون لازمة فترقق الراء معها وعلى الثانى تكون عارضة فتفخم .

(١) انظر : البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ٩٢ - ١٠٠ ، ومحمد مكى : القول المفيد ٩٣ - ١٠٣ و د. نجا : التجويد والأصوات ٦٢ ، ٦٣ واللهجات العربية ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) محمد مكى : القول المفيد ٦٢ - ٦٤ .

والشدة والرخاوة والتوسط ، يتفق مع وجهة نظر المحدثين ، وكل ما يمكن ملاحظته من اختلاف فى الاصطلاحات كتسمية المحدثين للشديد بالانفجارى والرخو بالاحتكاكى والمتوسط بالمائع ناشىء عن ملاحظة الأقدمين أنفسهم وهو أن الهواء ينحبس فى الأول ثم ينطلق بقوة ويحدث دويا يسوغ تسميته بالانفجارى وفى الثانى يحتك الهواء بأعضاء النطق فى أثناء مروره لعدم إحكام الاتصال بينهما فلذلك سمى بالاحتكاكى والثالث متردد بين منع الهواء والسماح له بالمرور بلا حفيف فسمى بالمائع .

فالمسألة اختلاف ألفاظ ومصطلحات فقط كما قال الأستاذ برجستراسر[١] .

* * *

(١) برجستراسر : التطور النحوى ٨ ود. المبارك : فقه اللغة ٣٦ .

ما اختلف فيه الأقدمون والمحدثون وسبب الخلاف

لقد اختلف الأقدمون والمحدثون فى تحديد مخارج بعض الحروف وصفاتها وهذا الاختلاف - فى أغلب الظروف - ناشىء عن تطور أصوات تلك الحروف على المدى الطويل الذى مرت به اللغة العربية بين الأجيال المتعددة .

● **الهمزة :**

اختلف الأقدمون والمحدثون فى مخرج الهمزة فيرى الأقدمون - أنها من حروف أقصى الحلق[1] وهذا هو الرأى المعتمد عندهم فلا نظر لرأى الخليل الذى يعتبر الهمزة فى الهواء وليس لها حيز تنسب إليه وأنها تخرج من الجوف[2] ويرى المحدثون : أن الهمزة المحققة تخرج من نفس المزمار لأن فتحة المزمار تنطبق انطباقا تاما عند النطق بها فلا يتسرب شىء من الهواء إلى الحلق ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى هو ما يعبر عنه بالهمزة[3].

ويعد القدماء الهمزة من الحروف المجهورة فقد جمعوا المهموسة فى قولهم سكت فحثه شخص وليست الهمزة منها وابن جنى يصرح بأن باقى الحروف - وهى تسعة عشر حرفا - مجهورة[4] وأكثر من ذلك وضوحا لرأى ابن جنى أنه يقول فى باب الهمزة : اعلم أن الهمزة حرف مجهور[5] وعدها سيبويه فى المجهورات التسعة عشر : أ - ع - غ - ق - ج - ى - ص - ل - ن - ر - ط - د - ز - ق - ج - ى - ص - ل - ن - ر - ط - د - ز - ظ - ذ - ب - م - و[6].

وهذا يؤكد لنا أن القدماء قد اعتبروها مجهورة ومبنى مذهبهم هو تعريف

---

(١) ابن جنى سر الصناعة ١/٥٢ وسيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ .

(٢) الخليل : العين ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) د. نجا : التجويد والأصوات ٥٧ و د. أنيس : الأصوات اللغوية ٧٢ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/٦٩ .

(٥) ابن جنى : سر الصناعة ١/٧٨ .

(٦) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ .

المجهور عندهم فقد عرفوه بأنه ما يمنع النفس من الجريان معه حتى ينقضى الاعتماد على ما سبق بيانه[1] ، والهمزة من الأصوات التى تمنع النفس عند مروره بالحنجرة أما المحدثون فقالوا إنها غير مجهورة ولكنهم اختلفوا فيما بينهم فى وصفها فذهب بعضهم إلى أنها مهموسة ومن هؤلاء الدكتور تمام حسان[2] والدكتور عبد الرحمن أيوب ، وذهب بعضهم الآخر إلى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس ومن هؤلاء دانيال جونز وتابعه على ذلك الدكتور أنيس .

ولكل واحد من الرأيين السابقين أساس بنى عليه فالقائلون بالهمس بنوا رأيهم على ما ذهب إليه هيفنر من أن للحنجرة وظيفتين ذبذبة الأوتار الصوتية وهى صفة الجهر وعدم ذبذبتها وهى صفة الهمس ويدخل فى حالة عدم الذبذبة حالة الاحتباس فى الحنجرة وذلك فى الهمزة[3] ويقول الدكتور أيوب فى ذلك يجب أن يلاحظ أنه عندما يكون الانحباس فى منطقة الحنجرة وهنا يكون الساكن الناتج من هذا الانحباس همزة لا يمكن أن تظل الأوتار الصوتية على ذبذبتها ضرورة أن الانحباس فى هذه الحالة يتم بانطباق الأوتار الصوتية انطباقا تاما وهو أمر يناقض التذبذب ومن أجل هذا نقول بأن الهمزة مهموسة لأن الهمس يعنى عدم التذبذب[4] .

أما القائلون بأنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس فقد بنوا مذهبهم على ما ذكره دانيال جونز من أن للحنجرة ثلاث وظائف :

١ - الاحتباس[5] وذلك فى الهمزة وحدها .

٢ - الانفتاح[6] دون ذبذبة وذلك فى المهموسات .

٣ - الانفتاح مع الذبذبة وذلك فى المجهورات .

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/٦٩ وسيبويه : الكتاب ٢/٤٠٥ .

(٢) د. تمام : مجلة الأزهر العدد السابق ١٠٨١ .

(٣) د. شاهين : القراءات القرآنية ٢٤ .

(٤) د. أيوب : أصوات اللغة ١٨٣ .

(٥) يعنى احتباس الهواء فيها .

(٦) يعنى انطلاق الهواء .

ويبدو أن هذا الرأى سديد لأن أحوال الهواء مختلفة فهو إذا انطلق إما أن يؤثر فى الأوتار الصوتية فيحدث الجهر أو لا يؤثر فيها فيحدث الهمس واحتباس الهواء فى الحنجرة شىء جديد وحال أخرى مغايرة لسابقتيها فالأولى ملاحظتها فى صوت الهمزة وبخاصة أننا فى مجال البحث العلمى الدقيق ، ومع هذا فقد تبع بعض المحدثين القدماء فى خروج الهمزة من أقصى الحلق(١) وفى وصفها بالجهر(٢) كالدكتور صبحى الصالح(٣).

● القاف :

من الأصوات التى اختلف وصفها بين الأقدمين والمحدثين القاف على الرغم من اتفاقهم على مخرجها وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى(٤) وتسمى صوتا لهويا نظرا لأنه حال النطق بها ينحبس الهواء باتصال أدنى الحلق (بما فى ذلك اللهاة) بأقصى اللسان ثم ينفصل العضوان انفصالا مفاجئا ولذلك يمكن أن تسمى القاف صوتا لهويا نسبة إلى اللهاة(٥) وقد وصفها بذلك الدكتور محمود السعران فقد قال : القاف صامت مهموس لهوى انفجارى(٦) وقد وصفها الأقدمون بالشدة ولكن تبين للمحدثين أنها مهموسة حسب نطق مجيدى القراءات فى مصر الآن ، وقد لاحظ علماء اللغة المحدثون أن السودانيين العرب وبعض القبائل فى جنوب العراق ينطقون قافا مجهورة قريبة من الغين(٧) كما لاحظوا أيضا أن معظم البدو الآن ينطقون القاف نطقا يشبه الجيم القاهرية ولكنها أعمق منها فى أقصى الفم وأكثر استعلاء(٨) وهم بذلك يميلون إلى اعتبار أن القاف العربية القديمة كانت تشبه ذلك الصوت

---

(١) د. الصالح : دراسات فى فقه اللغة ٣٢٢ .

(٢) نفسه ٣٢٥ .

(٣) نفسه ٣٢٠ .

(٤) د. نجا : التجويد والأصوات ٥١ .

(٥) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٦٩ .

(٦) د. السعران : علم اللغة ١٧٠ .

(٧) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٨٧ و د. تمام : مجلة الأزهر العدد السابق ١٠٨١ وبرجستراسر : التطور النحوى ٩ .

(٨) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٦٨ .

المجهور إما بطريقته السودانية أو بطريقته البدوية ثم همس على توالى الأيام(١).

وكل هذا لا يمكن فى رأينا رده أو قبوله لأن العرب الفصحاء قد انقرضوا ولم نعد نستطيع الوقوف على الطريقة التى كانوا يتبعونها فى نطق هذا الصوت ولكن وصف علماء اللغة له بالجهر يؤكد أنه لم يكن كالقاف التى ننطق بها الآن بل عراه كثير من التطور حتى أصبح كما نسمعه ونلهج به .

والتطور سنة الحياة وطريق طبيعى سارت فيه كل اللغات وأصواتها بل إننا نشاهد القاف التى ينطقها القراء اليوم والتى وصفت بالهمس لدى المحدثين قد تطورت إلى صور أخرى فى اللهجات الدارجة ففى مصر والشام تنطق الآن همزة وفى بعض جهات الوجه القبلى بمصر وبين كثير من قبائل البدو فى الصحراء تنطق كالجيم القاهرية وتطورها إلى الهمزة أو الجيم القاهرية يتمشى مع قانون التطورات الصوتية إذ أنها تشترك مع الهمزة فى صفة الشدة التى تتحقق لغير الهمزة من أصوات الحلق وبينها وبين الجيم القاهرية تقارب فى المخرج فهما معا من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى كما سبق بيانه وصفة الجهر كذلك تجمع بينهما باعتبار أصل القاف العربى المجهور .

● الجيم :

يتفق الأقدمون والمحدثون مخرج هذا الصوت وأنه من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى(٢) ولكنهم يصفونه بالشدة ، والمحدثين بأنه قليل الشدة وذلك لأنه حال نطقه يلتقى وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئا سمع صوت يكاد يكون انفجاريا هو الجيم العربية الفصيحة فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلا منه فى حالة الأصوات الشديدة الأخرى ولذلك يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتا قليل الشدة(٣).

---

(١) نفسه ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/٥٢ و د. نجا : التجويد والأصوات ٤٩ ود. أنيس : الأصوات اللغوية ٦٥ .

(٣) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٦٥ ، ٦٦ .

وقد وصفه الدكتور تمام حسان بأنه غارى مركب مجهور مرقق يتم النطق به بأن يرتفع مقدم اللسان فى اتجاه الغار حتى يتصل به محتجزا وراءه الهواء الخارج من الرئتين ثم بدل أن ينفصل عنه فجأة كما فى نطق الأصوات الشديدة يتم هذا الانفصال ببطء فيعطى الفرصة لهواء الرئتين بعد الانفجار أن يحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكا شبيها بما يسمع من صوت الجيم الشامية وينطق مثلها فى الصعيد والسودان(١) ، ومعنى ذلك أن هذا الصوت العربى يجمع بين عنصر الشدة وعنصر الرخاوة فهو مركب منهما ولهذا سميناه صوتا مركبا(٢) .

وهذا الرأى بنى على نطق القراء لأن هذا النطق أقرب إلى الجيم الأصلية إن لم تكن هى نفسها ولكن ذلك غير مؤكد وهذا ما يعترف به الدكتور أنيس نفسه حين يقول : ليس لدينا دليل يوضح لنا كيف كان ينطق بالجيم بين فصحاء العرب لأنها تطورت تطورا كبيرا فى اللهجات العربية الحديثة(٣) والقراء ليسوا المقياس المعتمد دائما للنطق العربى القديم فمن المؤكد كما يقول الدكتور تمام إن الضاد العربية التى كانت اللغة تمتاز وتتسمى بها قد تغيرت فى قراءة القرآن المعاصرة وأصبحت الضاد فى قراءة القرآن اليوم دالا مفخمة شديدة ويخرج الهواء عند نطقها على خط الوسط فى الفم ولم تعد رخوة ولا يخرج الهواء فى نطقها من جانب اللسان(٤) .

فالأولى اعتبار الجيم صوتا شديدا كما يقول الأقدمون لا قليل الشدة على ما يراه بعض الباحثين المحدثين ، وقد قال الأستاذ برجستراسر : إن الجيم عند أكثر العرب معطشة مركبة من لفظى الدال والزاى أى الـ ge الفرنسية وهى كانت بسيطة مجهورة شديدة مثل نطقها الحالى عند المصريين لكنها لم تكن مثل الجيم المصرية بعينها لأن مخرج الجيم المصرية هو مخرج الكاف ومخرج الجيم العتيقة هو مخرج الشين والياء فالرأى الأقرب إلى الصواب أن الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركية فى مثل كلمة كاه أى أنها كانت مشجرة(٥) .

---

(١) د. تمام : مناهج البحث فى اللغة ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) المصدر السابق ٨٧ .

(٣) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٦٥ .

(٤) انظر د. تمام : مجلة الأزهر العدد السابق ص ١٠٨١ .

(٥) انظر برجستراسر : التطور النحوى ٩ .

وقد تطورت الجيم فى اللهجات الحديثة فينطقها القاهريون خالية من التعطيش ويبالغ السوريون فى تعطيشها وينطقها بعض أهالى الصعيد عندنا دالا ويجعلها بعض البدو مرحلة وسطى فيها شىء من شدة الدال وشىء من التعطيش ، وهذا التطور الذى اعترى الجيم العربية يسير وفق القوانين الصوتية - كما يقول المحدثون - لأنها فى حالة تطورها إلى الجيم القاهرية لم تزد على أن تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلا فقربت من أقصى الحنك وبهذا زادت شدة وانقطع ما يسمى عادة بالتعطيش أما فى تطورها إلى الدال فقد اقتربت بمخرجها إلى الأمام وبذلك زادت شدة أيضا وانقطع تعطيشها[١] .

● **الطاء :**

اتفق الأقدمون والمحدثون على السواء فى مخرجها فهى من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا[٢] ولكن الأقدمين وصفوها بالجهر والمحدثون بالهمس وليس معنى ذلك أن أحد الفريقين تجاوز الصواب فى رأيه بل كل منهما مبنى على أساس النطق الذى وصل إليه ويتضح من وصف القدامى لها بالجهر أن هذا الصوت كان نطقه شبيها بنطق الضاد المعروفة اليوم إذ أن هذه الضاد ليست هى الضاد العربية الفصحى فإن تلك كانت تنطق من جانب اللسان أو من كلا الجانبين على نحو يصعب التفوه به بحيث عد صوتا تنفرد به العربية وتلقب به فيقال لها لغة الضاد ، أما الضاد الحديثة فبعيدة كل البعد عن تلك الضاد العربية الفصحى .

ويظهر أن الطاء التى نطق بها العرب كانت قريبة الشبه من تلك الضاد الحديثة التى ينطق بها الآن ويدل لذلك قول ابن الجزرى إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة[٣] ، ويدل له أيضا قول ابن جنى نقلا عن سيبويه لولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شىء من موضعها غيرها[٤] فالطاء المطبقة بنطقنا لا تناظرها

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٦٦ .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٣ و د. نجا : التجويد والأصوات ٤٠ .

(٣) د. نجا : التجويد والأصوات ٤٢ و د. أنيس : الأصوات اللغوية ٥١ ومحمد مكى : القول المفيد ٧٥ .

(٤) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٧٠ ، ٧١ وسيبويه : الكتاب ٢/ ٤٠٦ .

الدال وإنما تناظرها التاء أما الدال فنظيرها المطبق هو الضاد التى ننطق بها الآن مما يدل على أن نطق الطاء الفصيح كان هو نطق الضاد الآن ، وإلا لقال لولا الإطباق لكانت الطاء تاء ، وقوله ولخرجت الضاد من الكلام يبين أنه يقصد ضادا أخرى غير التى ننطق بها الآن لأن التى ننطق بها الآن إذا جردت من الإطباق أصبحت دالا فكيف يقول لخرجت الضاد من الكلام ؟ .

هذا يدل صراحة على أن نطق الضاد العربية ليس هو النطق الذى نعرفه اليوم للضاد بل هو نطق آخر عصى أشرنا إليه سابقا ، ويدل لذلك أيضا أننا نسمع الآن من نطق أهل اليمن وبعض البدو للطاء فى كلمة مثل مطر وأمطار « كأنما هى مضر وأمضار فالطاء القديمة المجهورة لا نزال نسمعها فى بعض اللهجات الحديثة »(١) .

وقد سمعت أهل صنعاء ينطقون الطاء المجهورة شبيهة بنطق الضاد المصرية كما سجلت ذلك تسجيلا صوتيا ، وذكرته فى بحث لى بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض وبهذا يندفع التهجم على سيبويه من بعض المحدثين(٢) بأن سيبويه قد جانب الصواب أو على حد عبارة الناقد (أخطأ) فى وصف الطاء بالجهر يقول : وأما اعتبار الطاء مجهورة فلست أظن سيبويه فيه إلا مخطئا ، فكل طاء ينطقها العرب فى أيامنا هذه مهموسة ولو كان لجيل سيبويه من العرب طاء مخالفة لبقيت ولو فى لهجة عربية منعزلة غير هامة ، وإذ لا نجد طاء مجهورة فى كلام العرب المعاصرين ولا على ألسنة القراء فلا بد أن نميل إلى اعتبار سيبويه مخطئا فى وصف الطاء بالجهر »(٣) .

فهذا القول - كما نرى - مبنى على التسرع فى الحكم دون استقراء واسع للهجات العربية الحديثة ، فحكم الدكتور تمام بعدم بقاء الطاء العربية الأصيلة المجهورة فى أى لهجة ولو منعزلة غير هامة حكم مبنى على النظر دون محاولة لمعرفة واقع بعض اللهجات الدارجة ، فالواقع يشهد بخلاف ما قال ، فلهجة صنعاء تحمل النطق العربى الأصيل وتنفى الرأى الذى ذهب إليه .

---

(١) د . أنيس : الأصوات اللغوية ٥٢ .

(٢) هو الدكتور تمام حسان .

(٣) من مقال بمجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٠ هـ ص ١٠٨١

والطاء التى تجرى على ألسنتنا اليوم طاء حديثة لم تعرفها العربية من قبل وهى مهموسة كما يقول المحدثون لأن هذا الوصف ينطبق عليها وتبقى لهجة صنعاء - كغيرها من لهجات البدو - معبرة عن النطق الفصيح لهذا الصوت[١].

● **الضاد :**

الضاد العربية - كما وصفها القدماء - تكون من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر أو من كلا الجانبين كما يفهم من كلام سيبويه[٢] والضاد بهذا الوصف كانت إحدى خصائص لهجة قريش ولم يكن فى إمكان سكان البلاد المفتوحة أن ينطقوا بها بل استعصت على ألسنة بعض القبائل العربية نفسها وهى بهذا الوصف - كما يقول الأستاذ برجستراسر - حرف غريب جدا غير موجود حسب ما يعرف فى لغة من اللغات إلا العربية ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد « ويسمون لغتهم لغة الضاد »[٣].

ويقول الأستاذ برجستراسر أيضا : إن الضاد العربية - بهذا الوصف - كانت تشبه فى مخرجها مخرج اللام الذى هو أيضا من حافة اللسان ويدل لذلك أن الزمخشرى ذكر فى كتاب المفصل أن بعض العرب كانت تقول الطجع بدل اضطجع[٤] وأهل حضرموت ينطقونها باللام المطبقة ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون بالضاد مثل ذلك ولذلك استبدلها الأسبان بالـ Ld فى الكلمات العربية المستعارة فى لغتهم مثال ذلك أن كلمة القاضى صارت فى الأسبانية Alcalde[٥] والمعهود نطقها قريبة من الظاء « وكثيرا ما تطابقنا وتبادلنا فى

(١) انظر بحثا لنا بعنوان « الأصوات اللغوية فى لهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى » بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد السابع ص ٢١٨ وما بعدها .

(٢) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٥٢ والكتاب ٢/ ٤٠٤ وانظر ص ١٤٧ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٣) برجستراسر : التطور النحوى ١٠ .

(٤) ابن يعيش : المفصل ١٠/ ٤٥ .

(٥) برجستراسر : التطور النحوى ١٠ .

تاريخ اللغة العربية وأقدم مثل لذلك مأخوذ من القرآن الكريم وهو الضنين فى سورة التكوير فقد قرأها كثيرون الظنين بالظاء مكان الضاد التى رسمت بها فى كل المصاحف(١) ، ولا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه إلى حد ما الظاء كما يشبه إلى حد كبير ذلك الوصف الذى روى لنا عن الضاد القديمة(٢) .

وهذا يعنى اختلاف مخرجها وبعض صفاتها عن الضاد الحديثة التى ننطق بها الآن فمخرج القديمة - كما عرفت - ويعدها القدماء قليلة الشدة أما الضاد الحديثة فمخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا كما يقول أستاذنا الدكتور نجا وهو صوت شديد لاتصال عضوى النطق طرف اللسان وأصول الثنايا اتصالا محكما يحول دون تسرب الهواء فإذا انفصلا خرج صوت انفجارى هو الضاد المصرية وهى بهذا الوصف تختلف عن الضاد العربية كثيرا - كما وصفناها ، وكما يقول أستاذنا الدكتور نجا يبدو أن تلك الضاد القديمة قد نالها التطور الذى غير مجرى مرورها من الجانب أو الجانبين إلى أن وصلت إلى الصورة السابقة من خروجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا(٣) كما تسبب فى اختلاف صفة الشدة فيها ونطق الضاد كالظاء نشأ من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه ونطقها الحديث نشأ من هذا النطق البدوى بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط فصار الحرف بذلك فى نطقه شديدا .

« ل - ف - م - ر - ع - أ - و - ى » .

لم تتفق كلمة العلماء فى وصف هذه الحروف حتى إننا نشاهد الأقدمين وقد انقسموا واختلفوا فى آرائهم .

اتفق جميع العلماء قدامى ومحدثين - عدا سيبويه - على أن الحروف ل - ن - م - ر من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة لأنها تسمح للهواء بالمرور الخفيف حال النطق بها وقد وصف المحدثون الأحرف الثلاثة

---

(١) نفسه ١١ .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ٥٠ .

(٣) د. نجا التجويد والأصوات ٤٣ ، ٤٤

(ل ٠ ن ٠ ر) بالأصوات الواضحة لأن نسبة وضوحها فى السمع أكثر من غيرها من الأصوات الساكنة الأخرى ولذلك عقدوا شبها بينها وبين أصوات اللين إذ هى ليست بالشديدة التى يسمع لها دوى وانفجار وليست بالرخوة التى تسمح للهواء بالمرور المطلق وهذا مستمد من وصف القدماء لها بالتوسط بين الشدة والرخاوة[١]. فهى إذا أصوات خفيفة يلجأ إليها عند الاستكراه كما يلجأ إلى أصوات اللين فنحن نلحظ أن كثيرا من الكلمات التى تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - وإلى أحد هذه الحروف الثلاثة لشبهها بها ولا سيما اللام والنون[٢] ومن أمثلة ذلك :

١ - عس : طاف بالليل والعوس : الطوفان بالليل ، زحه : نحاه عن موضعه زاح يزيح : بعد وذهب وأزحته ، قصيت أظفارى : قصصت .

٢ - الرس : دفن الميت والرمس : الدفن أيضا - العباس الأسد والعنبس الأسد أيضا .

فهذا يوضح الاستعاضة عن أحد المثلين بصوت لين أو بأحد تلك الحروف الثلاثة الشبيهة بأصوات اللين لوضوحها وخفتها ، وهى من الحروف التى وصفها القدماء بحروف الذلاقة التى هى الخفة والانطلاق إذ هى ذلق اللسان وهو طرفه وقد عد سيبويه وابن جنى وغيرهما من القدماء العين من الحروف المتوسطة ولكن المحدثين لم يتبينوا أمرها فلم يعدوها منها كما ذكرنا ذلك سابقا[٣] والعجيب أن سيبويه يعد الحروف الأربعة من الأصوات الشديدة ، ولم يوافقه على ذلك أحد من العلماء وقد بنى رأيه هذا على أساس تعريف الشديد عنده وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه وكما يبدو من وصفه لتلك الحروف الأربعة فقد خص الشدة بإقفال المجرى الفموى وإن كان مجرى

(١) د٠ أنيس : الأصوات اللغوية ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) نفسه ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٣) يجزم الدكتور تمام حسان : بأن العين صوت رخو لأنه اتضح بصورة الأشعة ولم يقل ذلك غيره ٠ مناهج البحث فى اللغة ١٠٢ و د٠ نجا : التجويد والأصوات ٦١ و د٠ أنيس : الأصوات اللغوية ٢٦ .

الأنف مفتوحا[1] وعلى ذلك اعتبر تلك الحروف شديدة لأن اللسان يبقى فى مكانه لا يتحرك فيمنع الهواء من اجتياز مجرى الفم ويتوجه إلى طريق الأنف فبقاء اللسان فى موضعه حاجزا يحول الهواء من الخروج من الفم كاف - عند سيبويه - فى إثبات معنى الشدة للصوت ولكن سواه من القدماء وكذلك المحدثين لاحظوا أن الهواء يخرج ولا ينحبس فعدوها متوسطة لأنها فى أثناء خروجها تصدر نوعا من الحفيف ولم ينظروا إلى كون الخروج عن طريق الفم أو الأنف وهذا فى نظرنا أولى من وجهة سيبويه ·

وأما الثلاثة الأخيرة « أ و ى » فقد عدها ابن جنى من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة ووافقه على ذلك صاحب المفصل[2] وربما كان لهما وجه بالنسبة للواو والياء إذا كانتا غير مد وذلك لأن الفراغ بين الجزء المرتفع من اللسان والحنك الأعلى يضيق إلى حد يجعل مرور الهواء يحدث نوعا ضعيفا من الحفيف الذى يسمع[3] فيمكن عدهما من الأصوات المتوسطة لذلك فأما الألف فليس لهما ما يسوغ عدها من الأصوات المتوسطة بل هى من الأصوات الانطلاقية المتسعة المخرج والتى يمر معها الهواء دون عائق على ما صرح به ابن جنى نفسه فالأولى أن تسلك بين أصوات اللين إذ لها وضع لغوى خاص ذكرناه فيما سبق تفصيلا ·

وكذلك شأن الواو والياء مدتين ، فكان الأولى بابن جنى ألا يذكر هذه الأحرف الثلاثة هنا لأنها من أصوات اللين ولها حكم خاص بها[4] ولذلك وجدنا سيبويه وصاحب النشر لا يذكرانها فى هذا الموضوع وتابعهما على ذلك المحدثون الذين اكتفوا بوصف الأربعة فقط بالتوسط وهو الصواب الذى لا محيد عنه ·

✵ ✵ ✵

(١) سيبويه : الكتاب ٢/٢٠٦ ·

(٢) ابن يعيش : المفصل ١٠/١٢٩ ونقل ابن الجزرى أن بعض العلماء أضاف للمتوسطة الياء والواو ولكنه اكتفى بحصرها فى لن عمر انظر النشر ١/٢٠٢ ومحمد مكى : القول المفيد ٤٧ ·

(٣) د· أنيس : الأصوات اللغوية ٤٣ و د· نجا : التجويد والأصوات ٣٦ ·

(٤) فإن كان لابد من عدها فهى من الأصوات الرخوة على ما ذكره د· الصالح : انظر دراسات فى فقه اللغة ٣٢٦ ·

الباب الثالث

الأبنيـــة اللغويـــة

أولا : منهج العربية فى صياغة أبنيتها(١)

إن لغة العرب بكلماتها واستعمالاتها المختلفة قائمة على أصول ومبادىء ، وكل لفظة منها أخذت سمتا معينا حسب قواعد خاصة روعيت فيها ، وذلك راجع إلى أصالة هذه اللغة ، واعتمادها على أسس منهجية ، وخضوعها لتلك النواحى القوية .

وهذه الأبنية اللغوية لها فلسفتها الخاصة التى لم تتوافر لأية لغة من لغات العالم ، فهى تستجيب للاستفهام ، وتجيب السائل عنه ، وذلك عن أصالة ، وإبداع فى تكوينها ، فكل أصل لغوى معلل بعلة ، لا أنه سيق اعتباطا ، أو بلا أهداف يرمى إليها .

وحديث العربية مبنى على مبدأ الاستخفاف والاستثقال ، فما خف على الحس كثر دورانه على الألسنة ، وما ثقل أهمل استعماله أو قل(٢) .

وهذا الميدان قد خاض فيه علماء العربية،وعلى رأسهم أصحاب المعاجم .

وسنوضح دعائم المبدأ المذكور من خلال حديث هؤلاء العلماء عن الحروف الهجائية ، وما يأتلف منها وما يختلف ، وعددها الذى تتألف منه الكلمات ، وحركاتها ، وسكناتها ، وتطور بعضها عن بعض .

١ - ائتلاف الحروف :

تنقسم الحروف إلى ثقيل ، وخفيف ، وكل منهما على درجة متفاوتة ، ثقلا ، وخفة .

وأخف الحروف عندهم حروف (سألتمونيها)(٣) ولكل حرف من

---

(١) المراد من بناء الكلمة : وزنها وصيغتها وهيئتها التى يمكن أن يشاركها فيها غيرها ، وهى عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة ، وسكونها ، مع اعتبار الحروف الزائدة ،والأصلية ،كل فى موضعه . انظر الرضى :شرح الشافية . ط حجازى ص٢ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ١/ ٢٤ ، ٥٧ ، ٧٨ وفى ص ٦٧ يقول : فأعلق يدك بما ذكرناه من أن سبب إهمال ما أهمل إنما هو لضرب من ضروب الاستخفاف .

(٣) لأنها تدخل فى تكوين كل بناء مع الحروف الأصلية مثل كاتب - سأكتب - مكتوب الخ وقد عقد فى كتب الصرف باب لحروف الزيادة المذكورة .

الحروف الهجائية مخرج معين تشترك فيه بعض أعضاء النطق ، وهى - كما نعلم - تمتد من الجوف إلى الفم ، والشفتين ، متجاورة ، يلى بعضها الآخر والأبنية اللغوية - والألفاظ بوجه عام - ليست إلا بناء مؤتلفا من تلك اللبنات على شتى الصور والأوضاع .

واللبنات التى يتكون منها هذا البناء إما أن تتقارب فى مخارجها الصوتية ، أو تتباعد ، وأعضاء النطق التى تؤدى ذلك تقوم بجهد عضلى للإبانة والإفصاح عنه ، والشىء - كما يقولون - لا يتضح إلا بنقيضه ، على معنى أن يتميز تمام التمييز .

وعلماء اللغة من أرباب المعاجم قد ذكروا ذلك .

فالخليل بن أحمد عرض فى كتابه (العين) لمخارج الحروف ، وصفاتها وأوضح أن اتحاد المخارج ، أو تقاربها ، قد يؤدى إلى إهمال بعض الكلمات .

وفى شرحه لمواد معجمه أشار إلى المهمل ، وسبب إهماله ، من الناحية الصوتية ، فذكر فى باب (العين والحاء) أنه لا تأتلف منهما كلمة واحدة مستعملة ، لتقارب مخرجيهما إلا فى باب النحت[1].

وابن دريد نبه الباحث فى معجمه على أهمية الحروف ، لمعرفة عدد الأبنية ، وما يأتلف منها ، وما لا يأتلف ، وسر كل منهما ، وأوضح أن قرب مخارج الحروف يمنع من تأليف بعض الكلمات ، لثقلها على اللسان ، فالقاف والكاف لا تأتلف منهما كلمة واحدة فلا يقال (قك) ولا (كق) .

وقد أشار إلى حروف الذلاقة ، وعلة تسميتها بذلك ، فقال : سميت الحروف مذلقة ، لأن عملها فى طرف اللسان ، وطرف كل شىء ذلقه وهو أخف الحروف ، وأحسنها امتزاجا بغيرها ، وسميت الأخرى مصمتة ، لأنها أصمتت أن تختص بالبناء ، إذا كثرت حروفه ، لاعتياصها على اللسان[2].

وابن جنى يقول : « وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف ، فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا » .

---

(١) الخليل : العين ١/ ٥٣ - ٦٩ .

(٢) ابن دريد : الجمهرة ١/ ٤ - ١١ .

وهذا - كما يتبين من مفهوم كلامه - للتخفيف ، والتمكن من النطق ، ولذلك قال : إن حروف أقصى اللسان لا تتجاور ألبتة ، فلا يقال : (قج) ولا (جق) فالأحسن اعتماد المخرج البعيد ، ليختلف الصديان ، فيعذبا بتراخيهما ، وحروف الحلق - أيضا - أقل الحروف ائتلافا ، فإذا اجتمع منها اثنان فصل بينهما ، مثل : هدأت - خبأت - عبء ، وتتجاور فى ثلاثة مواضع :

١ - الهمزة المبدوء بها ، مع واحد من ثلاثة أحرف هى : الهاء - الحاء - الخاء - مثل : أهل - أحد - أخذ .

٢ - الهاء مع العين : ولابد من تقديم العين على الهاء مثل : عهد - عهر .

٣ - الغين مع الخاء ، وتتقدم الخاء لا غير ، مثل : نخع - نخع[1] .

وحتى مع ورود هذه الكلمات تحس بثقل على اللسان حال التفوه بها .

وقد فسر فى وضوح لغوى عجيب قوة العربية ، وخفة طبعها فى اختيار تركيب الكلمات من حروف متباعدة ، ونفورها من تقارب الحروف ، فإن كان ولا بد من التأليف من الحروف المتقاربة ، فلا بد من تقديم الأقوى على الأضعف ، وساق سر ذلك بما يدل على فلسفته اللغوية الفائقة يقول :

ومن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو : سص ، وطس ، وظث وضس وشض وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه ، والمشقة على النفس لتكلفه .

وكذلك نحو : قج ، وجق ، وقك ، وكج ، وجك وكذلك حروف الحلق هى من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف ، أعنى حروف الفم ، فإن جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف ، نحو أهل وأحد ، وأخ ، وعهد وعهر ، وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم لأقوى منهما ، نحو : أرل[2] ووتد ، ووطد ، يدل على أن الراء أقوى

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة من ص٤١٥ - ٤١٨ مخطوطة دار الكتب المصرية .

(٢) أرل - بضم الهمزة والراء - جبل بأرض غطفان ، وفى نسخة أخرى (ورل) - بضم الواو والراء - وهو حيوان كالضب .

من اللام ، أن القطع عليها أقوى من القطع على اللام ، وكأن ضعف اللام إنما أتاها لما تشربه من الغنة عند الوقوف عليها ، ولذلك لا تكاد تعتاص اللام وقد نرى كثرة اللثغة فى الراء ، فى الكلام ، وكذلك الطاء والتاء ، هى أقوى من الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه ، وأظهر عند الوقوف على الدال ، وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين ، من قبل أن جمع المتقاربين يثقل على النفس ، فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواهما لأمرين :

أحدهما : أن رتبة الأقوى أبدا أسبق ، وأعلى ، **والآخر** : أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم فى أول نطقه أقوى نفســا ، وأظهر نشاطا ، فقدم أثقل الحرفين ، وهو على أجمل الحالين(١) .

ونحن إذا نظرنا فى أعماق لغتنا العربية وجدنا أن أبنيتها قد صيغت بما يتفق ، والمبدأ السابق ، فحروفها ، وكلماتها المكونة منذ نشأتها وهى تميل إلى التخفيف ، وتتخذ طابعا من النطق السهل ، وتبتعد عن الاستثقال بأى لون من ألوانه .

والبناء العربى يسير مع هذه الطبيعة ، لا يفارقها ، فإذا وجدت الخفة فى الحروف المتباعدة اتبعها ، وإذا لم تتحقق فى ذلك لجأ إلى تقريب الحروف مادام موصلا إليها ومتمشيا مع المبدأ المذكور .

وربما ظن ظان أن ذلك مستغرب بالنسبة للمنهج العام للغة ، التى تعتمد على التباعد الصوتى فى أبنيتها ، ولكنه إذا تأمل وجد الفلسفة الحقيقية لهذا التنقل ، فهى لم تحب البعيد لبعده ، وإنما للهدف السابق الذى تبحث عنه أنى وجد ، وهذا سر من أسرار هذه اللغة التى تبرهن على سلامة تراكيبها اللغوية(٢) .

وإذا كان الصوت يظهر مع نقيضه أكثر من ظهوره مع قرينه وهذا أمر قد عرفه العرب واعتبروه ، فإنهم علموا - كذلك - إن إدغام الحرف فى الحرف

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١/ ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٢٧ .

أخف عليهم من إظهار الحرفين ، لأن اللسان ينبو بهما مرة واحدة فكان تقريبهم للحرف من الحرف ضربا من التطاول إلى الإدغام وإن لم يصلوا إلى ذلك فقد حاولوه واشرأبوا إليه[١].

وهذا التخفيف المذكور أشار إليه علماء اللغة .

فإمام العربية سيبويه فى باب ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات تقلبها القاف إذا كانت بعدها فى كلمة واحدة - يقول عن مثل سويق :

فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجه واحد ، وهى الصاد لأن الصاد تصعد إلى الحنك الأعلى للإطباق فشبهوا هذا بإبدالهم الطاء فى (مصطبر) والدال فى (مزدجر) ولم يبالوا ما بين السين والقاف من الحواجز ، وذلك لأنها قلبتها على بعد المخرجين ، فكما لم يبالوا بعد المخرجين لم يبالوا ما بينهما من الحروف[٢] ولهذا الإبدال شروط خاصة ذكرها صاحب الشافية[٣] :

● **ويقول صاحب التصريح فى (فصل فى إبدال الطاء) :**

وإنما أبدلت تاء الافتعال إثر المطبق طاء لاستثقال اجتماع التاء مع الحرف المطبق ، لما بينهما من اتفاق المخرج وتباين الصفة ، إذ التاء من حروف الهمس ، والمطبق من حروف الاستعلاء ، فأبدل من التاء حرف استعلاء من مخرج المطبق ، واختيرت الطاء لكونها من مخرج التاء[٤] .

ويقول العلامة سيبويه : « وقالوا فى (مفتعل) من صبرت : مصطبر : أرادوا التخفيف حين تقاربا ولم يكن بينهما إلا ما ذكرت لك يعنى قرب الحرف وصارا فى حرف واحد ، ولم يجز إدخال الصاد فيها لما ذكرنا من المنفصلين ، فأبدلوا مكانها أشبه الحروف بالصاد وهى الطاء ليستعملوا ألسنتهم فى ضرب واحد من الحروف وليكون عملهم من وجه واحد ، إذ لم يصلوا إلى الإدغام[٥] .

---

(١) المصدر السابق ٢٢٧ - ٢٢٩ بتصرف .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٣) عبد الله الحسينى : شرح الشافية ص ١٩٦ .

(٤) الشيخ خالد الأزهرى : التصريح ٢/ ٢٩١ .

(٥) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢١ .

وإن الملاحظة العربية – مع ذلك – دقيقة غاية الدقة ، ويمكن فلسفتها فلسفة عميقة تتمشى مع منطقية لغتنا اللطيفة ، ومبادئها القويمة .

فالعرب وإن كانوا يعرفون أن الإدغام أخف إلا أنهم فى مثل ما سبق لم يقربوا الحروف إلى حد الإدغام ، لأنه يترتب على ذلك مخالفة صريحة للقواعد العامة ، بل ربما أدى ذلك إلى خلط الأبنية ، وعدم معرفة أصول الكلمات – هذا مع الإدغام – وإذا قربوا الحروف الى هذا الحد ثم تركوها بلا إدغام كان نقضا لقواعدهم التى أرسوا بناءها ، وكأنه انتكاث وتراجع عنها ، فبقيت الحروف كما ذكرنا بين بين .

يقول ابن جنى : إنهم – مع هذا – لا يبلغون بالحرف المقرب من الآخر أن يصيروه إلى أن يكون من مخرجه ، لئلا يحصلوا من ذلك بين أمرين كلاهما مكروه ، أما أحدهما فإن يدغموا مع بعد الأصلين وهذا بعيد ، وأما الآخر فإن يقربوه منه حتى يجعلوه من مخرجه ، ثم لا يدغموه ، وهذا كله انتكاث وتراجع لأنه إذا بلغ من قربه إلى أن يصير من مخرجه وجب إدغامه فإن لم يدغموه حرموه الطلب المروم فيه ألا ترى أنك إذا قربت السين فى سويق من القاف بأن تقلبها صادا فإنك لم تخرج السين من مخرجها ، ولا بلغت بها مخرج القاف فيلزم إدغامها فيها ، فأنت إذا قد رمت تقريب الإدغام المستخف ، لكنك لم تبلغ الغاية التى توجبه عليك وتنوط أسبابه بك ، وكذلك إذا قلت فى اصتبر : اصطبر ، فأنت قد قربت التاء من الصاد بأن قلبتها إلى أختها ، فى إطباق واستعلاء ، والطاء مع ذلك من جملة مخرج التاء[1] .

وقد قالوا – أحيانا – : اصبر ، يقول سيبويه :

وأراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء ، فلما امتنعت الصاد أن تدخل فى الطاء ، قلبوا الطاء صادا فقالوا : مصبر ، وحدثنا هارون : أن بعضهم قرأ (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا)[2] .

ويؤكد لنا ذلك أن الحرفين إذا أريد قلب أحدهما إلى حرف يناسب صاحبه ووجد أنه من مخرجه حقا فإنه يجب الإدغام مثل : اطعن .

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/٢٢٩ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/٤٢١ .

يقول ابن جنى : فإن كان الحرفان جميعا من مخرج واحد فسلكت هذه الطريق فليس إلا أن تقلب أحدهما إلى لفظ الآخر ، ألبتة ، ثم تدغم لا غير ، وذلك نحو : اطعن القوم ، أبدلت تاء « اطتعن » طاء ألبتة ، ثم أدغمتها فيها لا غير ، وذلك أن الحروف إذا كانت من مخرج واحد ضاقت مساحتها أن تدنى بالتقريب منها ، لأنها إذا كانت معها من مخرجها فهى الغاية فى قربها ، فإن زدت على ذلك شيئا فإنما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ أخيه ألبتة ، فتدغمه فيه لا محالة (فهذا وجه التقريب مع إيثارهم الإبعاد)(١).

● **ويقول شيخ اللغويين سيبويه :**

ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد وإذا تقارب المخرجان قولهم يطوعون ، فى يتطوعون · ويذكرون فى يتذكرون ، ويسمعون فى يتسمعون ، الإدغام فى هذا أقوى إذ كان يكون فى الانفصال والبيان فيهما عربى حسن لأنهما متحركان كما حسن ذلك فى يختصمون ، ويهتدون ، وتصديق الإدغام قوله تعالى : يطيروا بموسى ، ويذكرون ، فإن وقع حرف مع ما هو من مخرجه ، أو قريب من مخرجه مبتدأ أدغم وألحقوا الألف الخفيفة ، لأنهم لا يستطيعون أن يبدأوا بساكن ، وذلك قولهم فى فعل من تطوع اطوع ، ومن تذكر اذكر(٢).

وعلى هذا الأساس يمكن تفسير ما ورد من أبنية لغوية يخيل إلينا أن ظاهرها يناقض قاعدة التخفيف لتجاور حروف متماثلة فيها ، ومن أمثلة ذلك قولهم (رددد) (رددت) وقول الشاعر :

لقــد تعللت على أيانــق   صهب قليلات القراد اللازق(٣)

وقولهم فى النسب إلى (أمية) (أميى) وإلى « عدى » « عديى » فجمعوا بين أربع ياءات ، و (مهييمى) فى النسب إلى (مهيم) مصغرا(٤) فجمعوا بين خمس ياءات فاجتماع الأمثال فى البناءين الأولين لاثقل فيه(٥).

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٢٣٠ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢٥ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ١٢/ ٢٣٢ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٣٢ .

(٥) المصدر السابق .

وربما أبدلوا من إحدى اللامين ياء فى مثل (أمليت) تخفيفا استحسانا ، وأصله : (أمللت) .

ويبدو لى أن هذا الإبدال أمر سائغ ، وبخاصة لاتصال الفعل بالضمير المتحرك ، حيث كان الإدغام قبل ممكنا فيؤدى إلى خفة النطق بالمثلين دفعة واحدة ولكنهما الآن فى وضع ينفرد كل منهما عن الآخر اضطراريا ، فالقلب يؤدى إلى التخفيف ، فى حين يبدو للأستاذ عبد الله العلايلى رأى يخالفنا فيه[1] وهو أن الأصل فى البناء المحتوى على المثلين فيما سبق ونحوه الإعلال فى مرحلة سابقة من اللغة فـ (أمللت) أصله (أمليت) وفى دور التصحيح نقل - هو وما يشبهه - إلى التضعيف .

ومثله (تفعل) من المط ، والظن : تظنى ، وتمطى .

● **ويقول الأستاذ العلايلى :**

النحويون يقدرون بأن حرف اللين منقلب من النون فى الأول ، ومن الطاء فى الثانى ، وهو مجازفة محضة ، إذا لم نقدر بأن أصل المضعف الثنائى ثنائى معل ، فرد إلى الأصل عند الزيادة هربا من الاستثقال الذى يجر إليه .

وهذا المنهج يجعل ما ذكر غير منقلب كما نتصور ، وكون أصل اللغة ثنائيا أمر معقول ، وجائز ، وأما تحديد كون المعلات آنذاك فى الثنائى كانت أسبق من مرحلة التصحيح فهذا أمر لا يقوم عليه دليل قاطع نعترف به ، ونحن معا على اتفاق من الصيغة الأخيرة المشتملة على الألف ، إلا أننا نؤكد القلب إلى المعتل من الصحيح ، ابتداء ، وهو يجعل المعتل (الألف) هو الأصل ، فرجع إليه الحرف لثقل البناء .

ولكننى أعترف صراحة بالثقل الكامن وراء التعبير بالبناءين (أميى وعديى) - بأربع ياءات ، إلا أن الفلسفة الصحيحة لذلك أن يقال : إنها ليست اللغة الذائعة بل رأى لبعض العلماء ، وصيغة كل منهما نادرة فالمعهود فيهما بناء خفيف لا تجتمع فيه هذه الأمثال ، وهو أن يقال أموى وعدوى .

يقول صاحب التصريح : وإن وقعت الياء المشدة بعد حرفين حذفت

---

(1) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٣٤ - ١٣٦ .

الأولى فقط ، فرارا من الإجحاف ، وتعينت للحذف لسكونها ، وقلبت الثانية ألفا لتحركها ، وانفتاح ما قبلهـا ، ثم قلبت الألف واوا كراهية اجتمـاع الياءات ، تقول فى (أمية) (أموى) ، وجاء « أميى » - بأربع ياءات إذ ليس قبلها كسرة(1).

ويقول شارح الشافية : وتحذف الياء من المعتل اللام فى النسبة إلى المذكر والمؤنث ، من (فعيل) و (فعيل) - بفتح الفاء وضمها - ولم يفرق بينهما ، منعا للثقل المفرط من اجتماع أربع ياءات وكسرتين(2) فى مثل على ، وقصى .

وقد أشار سيبويه إلى هذا الثقل فى كتابه(3).

فالفصيح إذا هو البناء الموافق للقاعدة والذى صرح به صاحب التصريح سابقا .

وقد علل لاجتماع خمس ياءات فى (مهييمى) بأن الثالثة الساكنة ألانت المد ، وجعلته مقبولا ، على الرغم من الآراء المتضاربة فى زيادتها التعويض عن ألف مهيام ، أو واو مهوم - اسم فاعل من هوم - أو ياء مهيم الثانية - اسم فاعل من هيمه الحب(4).

---

(1) الأزهرى : التصريح ٢/٣٢٨ .

(2) الحسينى : شرح الشافية ص ٦٧ والرضى ص ٧٣ .

(3) سيبويه : الكتاب ٢/٧٣ وعلل ابن جنى لورود أميى وعديى - بأربع ياءات - بأنه جاء كذلك لجريانه مجرى الصحيح بالإعراب ، فيقال : عدى وعديا وعدى فعومل معاملة حنيف وعقيل ، وقد علل شارح الشافية - كما علل ابن جنى - فقال : وجاء أميى - بأربع ياءات من غير حذف فيه - لأن فتحة ما قبل الياء الأولى مخففة لبعض الثقل ، مع أن الياء المشددة جارية مجرى الحرف الصحيح فى احتمال الحركة ، وأما إذا كانت أمية تصغير أموه فالنسب إليه : أموى لا غير ، بخلاف غنوى فإنه لا يجوز فيه غنيى - بأربع ياءات - لوجود الكسرة قبل الياء الأولى : انظر الحسينى : شرح الشافية ص ٦٧ والرضى ٧٣ - ٧٥ ، وهذا التعليل للبناءين المذكورين لم يأت بالنتيجة المطلوبة فهما - على كل حال - قد اجتمعت فيهما ياءات كثيرة .

(4) الحسينى : شرح الشافية ص ٦٨ ، ٦٩ والرضى ٧٣ - ٧٥ والتصريح ٣/٢٣٠ .

وعلى الرغم من هذا الخلاف الدائر حول طبيعة هذه الياء وعن أى حرف كانت عوضا ، فإن موقعها خفف النطق بالبناء المذكور بعض التخفيف وكان ضرورة ملجئة دعت إليها القواعد ، ومع ذلك مالت العربية إلى التخفيف عموما كما نرى ·

وعلى هذا ينبغى للباحث التأمل فى الأشياء قبل إصداره حكما عليها ، ليمكنه الكشف عن الحقائق ، وسر العبقرية فى التعبير ·

٢ - سكون الحروف وحركتها :

وكما حاولت العربية أن تنتقى الحروف ، وتباعد بينها أو تقرب ليمكن النطق بها حاولت أيضا أن تنظر إلى حركات الحروف ، وسكونها ، فوضعت الحركات المناسبة فى أماكنها الطبيعية القابلة لها ، وسمحت للسكون بأن يكون فى الموضع الذى لا يتنافى معه الانسياب النطقى والذلاقة اللسانية ·

وهذا يصور لنا بجلاء منطق الفصاحة البنائية العربية وهى توالى البناء بحركات لا تتناقض عددا وشكلا مع السهولة وهكذا الحال بالنسبة لمكان السكون ·

ولذلك رأينا أن كل بناء عربى لابد أن يبتدىء بالمتحرك دون الساكن[١] حيث لا يمكن للسان أن يتفوه به أولا ، وبخاصة فى لغة استقام منهجها ، مع رقى فكرى ، وتقدم ملموس ·

ونحن نعتمد أن العربية لم تبدأ فى يوم ما بالسكون ، فى أى بناء تولد فى عالم هذه اللغة ، على خلاف ما نراه فى اللغات الأجنبية من وقوعه فيها ، وإن كان الأستاذ عبد الله العلايلى والدكتور إبراهيم السامرائى يريان أن اللغة العربية فى عهدها الصوتى كانت تبتدىء بالساكن ، ويدل لذلك كلمات عاشت هذا الدور وبقى منها الأسماء الاثنا عشر التى حفظت بهمزة الوصل كاسم وامرىء · · الخ[٢].

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/٣٢٨ ·

(٢) الأسماء الاثنا عشر هى : اسم ، است ، ابن ، ابنة ، ابنم ، اثنان ، واثنتان ، وامرؤ ، امرأة ، ال ، أيمن · الأشمونى ٤/٢٧٤ - ٢٧٧ وابن هشام : أوضح المسالك مع المنار ٢/٣٧٣ ، ٣٧٤ ·

وهى - كما يظن - اثرية عن سكون الأول ، كذلك مثل : اجفيل ، واخريط . واعشوشب وما إليه ، فإنهم فى تطورات أضافوا الهمزة توصلا إلى النطق بالساكن[1].

ولكن ما ذكره الأستاذ العلايلى والدكتور السامرائى لا يعدو أن يكون فرضا متصورا لاحقيقة واقعة فى اللغة .

● **يقول شارح الشافية :**

لا يبتدأ إلا بمتحرك ، لأن الحرف المنطوق به إما معتمد على حركته كعين عمرو ، أو على حركة ما قبله كميمه ، أو على مدة قبله كدابة ، فمتى فقد هذه الاعتمادات تعذر التكلم ، ودليله التجربة ، وذلك لأنك إذا خليت نفسك وطبيعتها وجدت منها أنها تتوصل إلى النطق بما سكن أوله ، كما فى الفارسية بهمزة مكسورة فى غاية الخفاء ، بحيث لا يدركها السامع نحو شتاب وستبر ، وقيل : يجوز الابتداء بالساكن لكن يتعسر لا يتعذر ، لأن التلفظ بالحركة إنما يحصل بعد التلفظ بالحرف ومحال توقف الشيء على ما يحصل بعده ، وفيه نظر ، لأن التلفظ بالحركة مع الحرف لابعده[2].

وأيضا نرى أن العرب حاولوا أن يقفوا آخر الكلمة بالسكون عند انقطاع النفس كما يقول صاحب الشافية ، الا أن الابتداء بالمتحرك ضرورى ، والوقف على الساكن استحسانى عند كلال النفس من ترادف الكلمات .

والأستاذ العلايلى يرى أيضا ما يخالف ذلك ، وهو أن الوقف كان يتمثل بتحريك آخر الكلمة فى عهد اللغة الصوتى ، ودلل لذلك ببقاء كلمات أثرية تحمل طابع الحركة فى آخرها مثل كلمة عمرو لوجود واو فيها تتمم حروفها .

ويقول : إن هذه الواو ليست - كما يدعى اللغويون - فارقة بينها وبين

---

(١) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٦٠ و د. السامرائى : دراسات فى اللغة ص ٣١ - ٣٤ ، ويقيس الدكتور السامرائى العربية على أخواتها الساميات كالآرامية ، والسريانية .

(٢) الحسينى : شرح الشافية ص ١٠٨ .

كلمة أخرى هى : عمر ، وكذلك أيضا تحريك ضمائر الجمع للغائب ، أو المقرونة إلى حروف الجر بالضمة الممدودة مطلقا فى لسان قريش ، وكذلك ظاهرة الوقف بالروم[1] .

وعلى أية حال فإن انقطاع النفس ، وقوة التعبير ، وسلاسته ، يقتضى الوقف بالسكون ، كما هو ملموس نطقا ، على أن الأدلة التى ساقها لا تؤيد رأيه على وجه اليقين لأنه شاهد عليها من التاريخ اللغوى ، وتحريك الضمائر المذكورة ليس للوقف عليها ، بل لملاحظ واعتبارات أخرى ، من قافية شعرية ، أو انسجام نطقى فى أثناء التعبير .

وأخيرا نقول : إنه ليس اللغة المعتمدة التى يمكن أن تفلسف على أساسها الأبنية العربية ، ولذلك رأيناه يقول : إن ذلك يستعمل فى لغة قريش عند الضرورة ، وفى اللغات الأجنبية - فضلا عن أخوات العربية الساميات - التى يقولون إنها تبتدىء بالساكن - يبدو من تجربة النطق بأية كلمة منها ما يشبه ألف الوصل فى العربية ، قبل النطق بالساكن ، وهذا ذوق يحسه الناطق فى مثل : Stump[2] ، Squire[3] فى الانجليزية .

ويمكن أن يؤخذ من كلام ابن جنى عن نطق العجم لكلمة (كليد)[4] ما يؤكد أن العجم يبدأون بحركة لا بسكون ، فهو يحس بحركة فى نطقهم غاية الأمر أنه لا يدرى أفتحة هى أم كسرة ؟

وقد أشار أبو على الفارسى إلى أن السبب فى ابتدائهم بالساكن هو الزمزمة ، وهى تعتمد على عدم وضوح الأصوات حال النطق بها .

ومعنى ذلك أن هناك ابتداء بمتحرك ، غاية الأمر أنه لا يتضح لنطق الكلمات مع الإبهام .

وهكذا حال غير اللغة الفارسية كالانجليزية ، وغيرها على ما أوضحنا

---

(١) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص١٦٢ .

(٢) جذع أو غصن شجرة ملقى على الأرض .

(٣) سيد ريفى .

(٤) مفتاح .

فلولا سرعة النطق للكلمات فيها لبدا الأمر على طبيعته ، وهو أن أوائل الكلمات متحرك ، إذ هذا كما يقول ابن جنى : طريقه الحس ، وموضع تتلاقى عليه البشر ، ويتحاكم إليه الأسود والأحمر(١) .

ومعلوم أن الساكن إذا وقع ابتداء فلا بد من التوصل إليه بهمزة تقع أولا ، حتى يمكن النطق بالبناء ، كما فى صياغة الأمر من المضارع فى مثل : (اضرب) من (يضرب) مثلا(٢) .

وإن اللغة العربية تتصرف - أحيانا - فى أبنيتها تصرفا يخرجها عن نطاق القواعد المبنية عليها ، إذا ترتب على الموافقة العامة ما يتعارض والخفة المطلوبة فى النطق ، والاستعمال ، وسنشرح كيف تحاول العربية تنفيذ هذا المبدأ حين يلتقى ساكنان فى كلمة واحدة ، وإذا كنا رأينا أن الساكن الواحد لا يمكن أن يقع فى ابتداء الكلمة ، فمن المسلم به - لذلك - امتناع وقوع ساكنين ابتداء .

كما لا يكمن اجتماعهما حشوا - فى كلمة واحدة - لصعوبة النطق بهما ، فلا يمكن النطق بصيغة اسم المفعول من كل من (باع) و (قال) وهى : (مبيوع) و (مقوول) بعد نقل حركة العين إلى الساكن الصحيح قبلها ، فلا بد من حذف أحد الحرفين على المذهبين المعروفين للنحاة(٣) .

وكذلك يتعذر النطق لاجتماع الساكنين على النحو السابق فى اسم الفاعل من (قام) و (باع) ، وهما : «قائم» و « بائع » إذ الأصل (قا ا م - با اع) فلا يمكن النطق بالألفين متجاورين ، ولذلك حركت العين بالكسرة ، فحولت العين همزة(٤) .

ومنهم من يحذف مثل : (شاك السلاح بطل مجرب) و (لاث به الأشاء والعبرى) ، وعلى ذلك أجازوا فى (يوم راح) و (رجل خاف) أن يكون على وزن (فعل) أو (فاعل) محذوف العين(٥) .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١/ ٩٠ - ٩٢ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٤٩٧ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٩٣ .

(٤) أن الألفين تمثلان حركتين طويلتين والنطق بهما لن يكون إلا بالتعبير عن حركة واحدة .

(٥) سيبويه : الكتاب ٢/ ٣٦٨ ، ٣٧٨ وابن جنى : الخصائص ٢/ ٤٩٣ .

وقد تمهد العرب للنطق بذلك عن طريق الحذف ، كما فى : قلت وبعت ، قال شارح الشافية : (خف وقل وبع) : حذفت الألف والواو والياء ، وكان الالتقاء فى كلمة(١) .

وقد يصح النطق بالساكنين على الصورة السابقة إذا كان الثانى منهما هو الصحيح ، وكان مدغما فى آخر ، مثل : شابة ، ودابة ، وتمود الثوب ، لأن الإدغام يجعل الحرفين كالحرف الواحد نطقا(٢) ويشبه ذلك فى الفارسية : آرد ، وماست(٣) يقولون : ويغتفر فى المدغم فيه لين فى كلمة(٤) نحو خويصة ، والضالين ، وتمود الثوب · وعندما يمكن النطق بالساكنين نجد الأبنية اللغوية لا تتحرز من ذلك ، كما إذا وجدا آخرا مثل : عدو وظبى ، وبكر ، وحجر ، حال الوقف ، لأن الطرف على نية الوصل ، فكأنه محرك ، ويعرض له الروم وغيره : فيتحامل فيه الطبع لذلك(٥) .

يقولون : التقاء الساكنين يغتفر فى الوقف مطلقا ، أى سواء كان الحرف الثانى مدغما فيه كدواب أولا ، وسواء كان الحرف الأول حرف لين أولا ، لأن الوقف على الحرف يسد مسد الحركة ، وذلك لأنه يتمكن توفر الصوت على الحرف عند الوقوف ، وبذلك أوصلته بغيره ومتى أدرجتها زال ذلك الصوت لأن أخذك فى حرف آخر يشغلك عن اتباع الحرف الأول صوتا ، فيكون الحرف الموقوف عليه أتم صوتا ، وأقوى جرسا من المدرج فسد ذلك مسد الحركة فجاز

---

(١) الحسينى : شرح الشافية ١٠٢ ، والرضى ١١٧ وسيبويه : الكتاب مع بسط وإطالة فى الأبنية ٢/ ٣٥٩ ، ٣٦٠ وهذا ما يسمى فى علم الأصوات الحديث تقصير الحركات الطويلة ·

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٤٩٦ ·

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٩٧ ، والمعنى المطلوب أن « آرد وماست » ، فى لغة العجم مشبه بدابة وشابة فى لغتنا لا العكس، فهنا التقاء ساكنين صحيحين فى الوقف ، وقبل الأول حرف مد · وانظر : المصدر السابق ١/ ٩٠ فقد ذكر أنه اجتمع فى (آرد وماست) ثلاثة سواكن ، ومعنى (آرد) دقيق ، و (ماست) لبن ·

(٤) الحسينى : شرح الشافية ص ٩٩ ، ١٠٠ ·

(٥) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٤٩٦ ، ٤٩٧ ·

اجتماعه مع ساكن قبله ، ولأن الوقف لقصد الاستراحة فجوز فيه ما لم يجوز فى غيره[1].

وهكذا رأينا أن اللغة العربية تضع السكون فى موضعه المناسب من البناء العربى ، وتجعل له الاعتبار الخاص ، الذى يمكن اللسان من التفوه به ، فلا تضعه فى أول الكلمة ، وتجعله فى آخرها مقبولا ، كما أنها تحظر فى أبنيتها المستعملة أن يلتقى سكونان على وضع يعسر معه النطق والبيان ، وهذا خصائص هذه اللغة التى جعلت شعارها السهولة والتخفيف ، بعكس اللغات الأجنبية التى لا تعرف ذلك ، فتحملت اجتماع الساكنين وبدأت بالساكن .

وفى العربية - كذلك - وضعت الحركات فى أماكنها المناسبة ، وارتبط بعضها ببعض ، فلا تجمع حركتان متضادتان ، أو لا يمكن ائتلافهما فى البناء الواحد .

فالبناء العربى عرف التناسب الحركى بحيث أهمل منه ما لم تتناسق الحركات فيه ، كما عرفنا عن إهمال (فعل) - بضم الفاء وكسر العين - و(فعل) - بكسر الفاء وضم العين - استثقالا للخروج من الضمة إلى الكسرة ، وبالعكس لأنهما حركتان ثقيلتان ، متباينتان ، وأما « دئل » فجعل علما منقولا من الفعل ، من ، « دأل » - إذا تحرك - فكون نحو « ضرب » - أن سمى به - و « الحبك » إن ثبت فمحمول على تداخل اللغتين - كما قال ابن جنى - و « ضرب » و « يضرب » - بالبناء للمجهول - صيغتان فرعيتان لأن الضمة فى المضارع عارضة والبناء للمجهول - عارض .

وبذلك يقول سيبويه ، ونصه : واعلم أنه ليس فى الأسماء والصفات « فعل » ، ولا يكون إلا فى الفعل ، وليس فى الكلام « فعل »[2].

---

(١) الحسينى : شرح الشافية ص ٩٩ وانظر فى ذلك وكل ما يتعلق بالتقاء الساكنين : الرضى : شرح الشافية ص ١٤ - ١٢٤ .

(٢) سيبويه الكتاب ٢/ ٣١٥ والحسينى: شرح الشافية ص ١٢ وانظر: ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٧٩ والاستثقال فى صيغة الفعل المبنى للمجهول جار مجرى الاستخفاف لفرعية الصيغة . يقول صاحب التصريح (١/ ٢٦٩ فى باب الفاعل) فى أثناء شرحه لمحترزات التعريف - : وذكر أصالة الصيغة فيه مخرج لنحو « ضرب زيد » بضم=

= أول الفعل ، وكسر ثانيه - فإنها صيغة غير أصلية ، لأنها مفرعة عن « ضرب » بفتحهما ، على الصحيح عند جمهور البصريين ويدل لفرعيتها عدم القلب فى « سوير » ونحوه .

فهذا يؤكد لنا أن الاستثقال جار مجرى الاستخفاف هنا لفرعية الصيغة على أن بعض العرب قد أحس بما قد نحس نحن فيها من ثقل عند البناء للمجهول فسكن الثانى بدلا من تحريكه بالكسر .

وهذا يظهر لنا جليا من قول صاحب التصريح - أيضا - (١/ ٢٩٤) ويكسر ما قبل الآخر من الماضى ، وإليه أشار الناظم بقوله (والمتصل بالآخر اكسر فى مضى كوصل) ومن العرب من يسكنه كقوله :

(لو عصر منها البان والمسك انعصر)

واختاره قطرب ، قال الخضراوى وهى لغة بكر بن وائل ، وكثير من بنى تميم ، ومن العرب من يقلب الكسرة فتحة فى المعتل اللام ، فتنقلب الياء ألفا فتقول فى « رؤى زيد » : « رؤى زيد » بفتح الهمزة - وهى لغة طىء ، وكأن العرب هؤلاء أحسوا بثقل هذه الكسرة بعد الضمة مع اعتلال اللام ، فقلبوها فتحة للتخفيف ، وعهد العربية به دائما فى مفرداتها وتراكيبها .

وحكى صاحب التصريح عن الخليل وبعض العلماء أن بناء (فعل) ليس مهملا بل قليل ، يقول (٢/ ٣٥٥) : « وزعم قوم إهمال فعل - بضم الفاء وكسر العين - أيضا لما فيه من الانتقال من ضم إلى كسر ، وأجابوا عن (دئل) اسم دويبة سميت به قبيلة من بنى كنانة - و (رئم) - بضم الراء وكسر الهمزة اسم جنس للاست - بأنهما ليسا من أصول الأسماء ، وإنما هما منقولان من الفعل المبنى للمفعول ، واعترض بأن ذلك ممكن فى الدئل ، لأنه علم قبيلة ، لا فى الرئم ، لأنه اسم جنس ، والنقل لا يكون إلا فى الأعلام ، دون أسماء الأجناس ، وأجيب بأن السيرافى ذهب إلى أن النقل قد يجىء فى أسماء الأجناس فلا معنى للتوقف فيه ، واحتج المثبتون لفعل فى أصول الأسماء بوعل - بضم الواو وكسر العين المهملة - لغة فى الوعل بفتح الواو - وحكاه الخليل ، فثبت بهذا أن (فعل) - بضم أوله ، وكسر ثانيه - ليس بمهمل ولا منقول ، بل قليل .

وسواء أخذنا بالرأى القائل بالإهمال - والذى أيده سيبويه وابن جنى أو بالورود على قلة - كما حكى عن الخليل - فإننا نحس بثقل بعيد ، نتيجة اختلاف الحركات .

وتعد بعض الأبنية ثقيلة لاختلاف حركاتها مثل وزن (فعل) بضم الفاء وفتح =

وقد تصور بعض اللغويين القدامى أن بعض الأبنية الخفيفة الحركات قد قل استعمالها ، على حين أن أبنية أخرى ثقيلة الحركات كثر استعمالها ، وهذا مخالف لمبدأ الاستثقال والاستخفاف الذى تجرى عليه العربية ، فانبروا يدافعون عن هذا الذى تصوروه .

فقد كثر ما توالت فيه الضمتان نحو: طنب ، وعنق ، وفنق ، وحشد ، وجمد ، وسهد ، وطنف ، وقل نحو : إبل[1] مع أن الضمتين - فى رأيهم - أقل من الكسرتين .

يقول سيبويه : ويكون فعلا فيهما[2] فالاسم : الطنب ، والأذن ، والعنق ، والعضد ، والحمد ، والصفة: الجنب ، والأحد ، ونضد ، ونكر ، قال سبحانه : إلى شىء نكر ، ثم يقول : ويكون فعلا فى الاسم نحو إبل ، وهو قليل لا نعلم فى الأسماء ، والصفات غيره[3].

ويعلل العلامة سيبويه كثرة توالى الضمتين عن الكسرتين بأنه سلوك عربى يعود إلى ذوق المتكلمين ، وطابعهم الذى يميل إلى ذلك لئلا يكثر فى كلامهم ما يستثقلون[4].

= العين ففيه انتقال من حركتين مختلفتين اختلافا شديدا ، فالأولى ثقيلة جدا ، والثانية خفيفة جدا ، مما يدعو إلى اضطراب اللسان حال النطق بهما متعاقبتين ، ولذا اقتصر مجىء هذا الوزن على المعدول مثل : عمر وجشم ، وأفرد بنوع خاص من جموع التكسير ، وهو (فعلان) كصرد ، وصردان . ونغر ، ونغران وجعل ، وجعلان وخزز ، وخزان ، وقد قال أبو العباس : كأنه منقوص من (فعال) وهذا يجعلنا نعتقد بثقله لأن هذه الألف تشير إلى أنه معدول اذهى تشبه المعدول ، مثل أحاد ، وثناء ، وإنما حده واحدا واحدا واثنين اثنين ، فجاء محدودا عن وجهه فترك . انظر سيبويه : الكتاب ٢/ ١٤ ، ١٥ ، ١٧٩ وابن جنى : الخصائص ٣/ ١٧٩ - ١٨١ بتصرف .

(١) جارية فنق : منعمة ، والجمد ما ارتفع من الأرض ، الطنف : من معانيه مانتأ من الجبل - انظر : ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٧٧ .

(٢) أى فى أبنية الاسم والصفة .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢/ ٣١٥ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٠٤ وابن جنى : الخصائص ١/ ٦١ ، ٦٩ .

وابن جنى يتابع سيبويه فى ترجيح ثقل توالى الضمتين عن توالى الكسرتين ، مع أن الأول كثير ، والثانى قليل[1].

ويبدو لى أن توالى حركتين متماثلتين ، كسرتين أو ضمتين ، يخفف النطق بهما أكثر من تخالفهما عندما يجتمع فى البناء الواحد ضم ، وفتح أو كسر ، وتستوى الضمتان فى ذلك والكسرتان ، بدليل أنهم أجازوا فى اتباع حركة العين للفـــاء فى جمع المؤنث الاتبـاع بالضم ، وبالكسر ، مثل : سدرات ، وكسرات ، وخطوات ، وغرفات .

● **يقول سيبويه :**

إن ما كان على (فعلة) يكسر على بناء أدنى العدد ، بإلحاق التاء وضم العين ، غرفة وغرفات ، وركبة وركبات ... الخ وعلى بناء يجاوز أدنى العدد إلى الأكثر يكسر على (فعل) مثل : غرف وركب ، وبعض العرب يقول : غرفات - بإسكان الراء - الخ ، وكذلك ما كان على (فعلة) يقال لأدنى العدد : كسرات - بكسرتين - ويجوز : كسرات - بفتح السين ، كما يجوز : غرفات - بفتح الراء - ويجوز تسكين السين مثل الراء أيضا[2].

ويتضح للباحث كيف أتت فى اللغة الكسرتان ، كما أتت الضمتان على التوالى ، على أن قلة نحو (إبل) لا يعنى أن العرب تحذف الخفيف وتستبقى الثقيل ، ولا يمكن أن يكون مقياس الورود اللغوى فى الواقع هو القياس المنضبط ، لكثرة الاستعمال العربى ، وقلته ، لجواز أن يكون الذى حكم عليه بالقلة لم يصل إليه الرواة .

أما عن الحركة والسكون فى البناء العربى ومتى تكون الحركة لازمة أو غير لازمة ، فمن المسلم به أن الحركة تقع أولا ، وهذا أمر لابد منه ، كما تقع وسطا ، وآخرا ، وأما السكون فيأتى وسطا وآخرا والأمثلة على الترتيب : كتب - عضد - انطلق - ابن - ابنم وأخواتهما - جعفر - علم بالتخفيف - قد - وهل الخ .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٧٧ .

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/ ١٨١ ، ١٨٢ .

على أن الحرف فى البناء العربى يمكن تحويله عن وضعه لما يطرأ على اللفظ من أحوال متغيرة ، كأن يضاف إلى أوله حرف مثل واو العطف فنقول : وهو ، أو الهمزة : أهى ، وقد يلاحظ فى بعض الحروف أنها أصبحت بالتركيب تشبه كلمة معينة ، فتخفف بالتسكين : مثل :

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمـا من الله ولا واغل

فـ (ربغ) تشبه (عضد) ، ومن هنا أمكن تخفيفها على الوضع السابق .

وقد يقال : إن ذلك لضرورة الشعر .

وأيا ما كان أمر الحركة ، أو السكون لازما ، أو غير لازم ، فالملاحظ هو[1] الاتجاه العام إلى التخفيف .

ويبدو أن اللغة العربية تصرفت هذا التصرف الواسع لتمكن المتكلم من النطق الميسر ، بحيث تضع الحركة ، والسكون فى موضعهما المناسب .

والمعروف أن البناء يمكن أن يتحمل - بسهولة - سكونا فى آخره مثل حال الوقف ، - كما شرحنا سابقا - وقد يكون سكونه عارضا للوقف ، وقد يكون سكونا مطلوبا لصحة البناء ، وصوغه ، كما إذا كان الفعل مجزوما ، أو مبنيا على السكون ، فإذا كان على الحال الأخيرة ، وأريد وصله بساكن آخر بعده فى كلمة أخرى ترتب عليه اجتماع محذورين وهما السكونان ، وفى التقاء السكونين على تلك الحال وفى كلمتين نرى أن النحاة يتخلصون من هذا الالتقاء على الوجه الذى يحقق إمكان النطق ، ويدور تصرفهم فى هذا الشأن حول العرض التالى :

١ - **يحذف حرف المد لفظا لاخطا** : حين يكون فى آخر الكلمة ، ويليه ساكن فى الكلمة اللاحقة مثل : وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم[2] وقد يبقى حرف المد ، ويحرك الثانى مثل مسلمان ، ومسلمون[3] .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/٣٢٨ ، ٣٤٢ .

(٢) الحسينى : شرح الشافية ص ٩٩ ، وحلقتا البطان - بإثبات الألف حلقتا - شاذ والقياس حذفها ص ١٠١ ، ويمكن أن يقال : قصرت الحركة الطويلة .

(٣) كيلا يلتقى المثنى والمجموع بالمفرد المنصوب والمرفوع المنونين مثل رأيت مسلما وهذا مسلم (الحسينى شرح الشافية ص ١٠٢)

٢ - **يحرك الأول من الساكنين** : حين لا يكون هناك حرف مد ويكون تحريكه إما بالكسر على الأصل فى التخلص من التقاء الساكنين - وهو الأكثر - وإما بالضم وجوبا عند بعضهم ، وهذا لعارض كوجوب الضم فى ميم الجمع المتصلة بالضمير المضموم مثل : أنتم الرجال[١] ويختار الضم فى واو الجماعة المفتوح ما قبلها نحو : اخشوا القوم ، ويجوز الضم والكسر كما إذا كان بعد الثانى منهما ضمة أصلية فى كلمة أى ثابتة فى كلمة الثانى نحو : وقالت اخرج ، ويحرك الساكن الأول بالفتح وجوبا فى نون (من) مع اللام نحو : من الرجل[٢].

فمن هذا نرى أن الشائع هو التخلص بالكسر من التقاء الساكنين حين تتجاور كلمتان ، ولكننا نرى أن المتكلم العربى يتحول من الكسرة إلى حركة أخرى لتنسجم مع ما بعدها أو مع ما قبلها ، وربما كان التخلص من الساكنين على الوجوه راجعا إلى تعدد اللهجات[٣] وربما كان التخلص على هذه الوجوه ليمكن الانسجام النطقى بين الحركات المتجاورة مثل : قالت اخرج - بضمة - وقالت اضرب بكسرة[٤].

ونحن نميل إلى هذا الرأى الذى يؤكد أن التخلص من التقاء الساكنين يكون بالكسر ، حين لا يترتب عليه ما يعسر معه النطق .

وعلى الرغم من ذلك نجد بعض اللغويين يعللون لبعض الأحوال التى عرضت لكلمات حولت إلى الضم بوجوه لا مدخل لها فى التعبير الصحيح عما أراده العرب .

فمثلا : تقول العرب : ما رأيته مذ الليلة ومذ اليوم[٥] فتتخلص بالضم بدلا من الكسر .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) د . أنيس : من أسرار اللغة ط١٩٥١م ص ١٦٩ .

(٤) المصدر السابق ١٧٠ .

(٥) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٤٣ .

ويعلل العلماء لذلك بأن أصل (مذ) سكون الذال ، وحركت بالضم للتخلص من التقاء الساكنين ، ولم يحرك بالكسر - الذى هو الأصل - لأن أصلها الضم فى (منذ) فآثر العرب الضم لوجوده فى الأصل القريب فى(منذ) لأن الذال فيها متحركة ، وكانت ساكنة فى مرحلة سابقة ، ثم ضمت تبعا للميم ولالتقائها ساكنة مع النون ، فراجع العرب بذلك الأصل الأقرب دون الأبعد[١] .

ويبدو لنا أن القدماء لم يبرهنوا على التخلص هنا بالضم برهانا صحيحا والذى نعتقده أن (الذال) من (مذ) فى مثل هذه التراكيب حركت بالضم ، لتتناسب مع ضمة الميم لا لتتبع أصلها فى (منذ) فحسب مجردة من هذا المعنى الذى يهدف إلى خفة النطق ، وسهولته ، فاللسان لا يتمكن من النطق بالذال هنا مكسورة ، لأن الانتقال من ضمة الميم إلى كسرة الذال ستكون ثقيلة غاية الثقل ، وفى (منذ) أيضا يتوجه الاحتجاج المذكور ، لأن الساكن - كما يقول اللغويون - حاجز غير حصين ، فكان من الحتمى أن نضم (الذال) فى كل منهما حتى يخف اللفظ .

وهذا هو الذوق العربى الأصيل ، فنحن نعرف أن صيغة (فعل) - كدئل - أو (فعل) - كحبك - قد أهملتا ، وأما صيغة الفعل المبنى للمجهول مثل (ضرب) فليست أصلية مستمرة ، بل هى صيغة متفرعة عن صيغة المبنى للمعلوم ، وسرعان ما تعود إليها .

على أن استقراء النحاة لموضوع التقاء الساكنين يعد استقراء ناقصا ، لم يستكمل أهدافه ، بما رسموه من توجيهات « فلم لا نقول : إن حركة التخلص

---

(١) سيبويه : الكتاب ٣٠٧/٢ وابن جنى : الخصائص ٢٤٣/٢ والحسينى : شرح الشافية ١٠٥ ، ١٠٦ ، ويقول ابن هشام فى المغنى (٢١/٢) وأصل « مذ » « منذ » بدليل رجوعهم إلى ضم ذال مذ عند ملاقاة الساكن نحو : مذ اليوم ولولا أن الأصل الضم لكسروا ، ولأن بعضهم يقول : مذ زمن طويل فيضم مع عدم الساكن ، وقال ابن ملكون : هما أصلان ، لأنه لا يتصرف فى الحرف ولا شبهه ويرده تحقيقهم أن وكأن ولكن ورب ، وقط ، وقال المالقى : إذا كانت « مذ » اسما فأصلها : « منذ » أو حرفا فهى أصل .

من التقاء الساكنين قد خصصت لمثل هذه العوامل ، التى لها أساس علمى فى الدراسات الصوتية الحديثة ، وأن النحاة لم يتتبعوها فى كل مظاهرها »[1].

٣ - عدة الحروف المكون منها البناء :

تتجلى خفة البناء العربى ، وكثرة استعماله ، وشيوعه ، فيما تألف من ثلاثة أحرف ·

فعلى الرغم من تعدد الأبنية ، وتأليف الألفاظ من ثنائى ، وثلاثى ، ورباعى ، وخماسى ، وسداسى ، وسباعى ، بالأصالة والزيادة فإن أخفها جميعها هو الثلاثى ، كما هو واقع الاستعمال اللغوى ·

وقد أجمع علماء العربية على أن الثلاثى يحتل المكان الأول بين أبنية الكلم العربى ·

● **يقول الإمام اللغوى سيبويه :**

وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام فى كل شىء ، من الأسماء ، والأفعال وغيرهما · مزيدا فيه ، وغير مزيد فيه ، وذلك لأنه كأنه هو الأول ، فمن ثم تمكن فى الكلام[2].

وكثرة استعمال الثلاثى راجعة لملحظ فنى صوتى ، وليس لعدد الحروف فيه ، وإلا لكان الثنائى أكثر منه تداولا على الألسنة ، يقول ابن جنى :

وليس اعتدال الثلاثى لقلة حروفه حسب ، لو كان كذلك لكان الثنائى أكثر منه ، لأنه أقل حروفا ، وليس الأمر كذلك ألا ترى إلى قلة الثنائى ، وأقل منه ما جاء على حرف واحد ، (وجميع ذلك) جزء لا قدر له فيما جاء من ذوات الثلاثة ، وإنما كانت كثرة استعماله لتمكن اللسان من نطقه ، لأن كل حرف قد أخذ موقعه المناسب[3].

فحرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه[4].

---

(١) د· أنيس : من أسرار اللغة ص ١٧٠ ·

(٢) سيبويه : الكتاب ٢/٣٠٩ ، ٣١٠ ·

(٣) ابن جنى : الخصائص ١/٥٥ ، ٥٦ ·

(٤) المصدر السابق ١/٥٥ ·

وهذا يساعد على سرعة النطق ، وإعطاء اللفظ حقه منه « فتمكن الثلاثى إنما هو لقلة حروفه - لعمرى - ولشىء آخر ، وهو حجز الحشو - الذى هو عينه - بين فائه ولامه ، وذلك لتباينهما ، ولتعادى حاليهما ، ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركا ، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا ، فلما تنافرت حالاهما وسطوا العين حاجزا بينهما ، لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذا فيه ، ومنصبا إليه ، (هذا إذا كانت عين الثلاثى ساكنة) ، أما إذا كانت متحركة والفاء فيها كذلك فقد توالت الحركتان فحدث هناك لتواليهما ضرب من الملال لهما ، فاستروح حينئذ إلى السكون ، فصار ما فى الثنائى من سرعة الانتقاض معيفا ، مأبيا فى الثلاثى ، خفيفا مرضيا ، وأيضا فإن المتحرك حشوا ليس كالمتحرك أولا ، أولا ترى إلى صحة جواز تخفيف الهمزة حشوا ، وامتناع جواز تخفيفها أولا ، وإذا اختلفت أحوال الحروف حسن التأليف[١] .

ولذلك نرى أن ما كان على حرف واحد ، أو حرفين ، يصبح من العسير الانتقال الصوتى فيهما .

على أن بعض الحروف يلحقها صويت ، تبعا للوقف عليها فيؤدى إلى تبدد النفس ، وضياع القوة الصوتية معه بخلاف ما إذا انتقل اللسان منه إلى غيره إذا كان متحركا ، فإن ذلك الصويت لا يكون له وجود ، وبذلك يتأتى النطق المأمول .

فعندما نقول - مثلا - : اح - اص - نسمع صدى ذلك الحرف وماله من أثر صوتى طويل،ولكنه يتبدد إذا وصل ذلك الحرف بغيره متحركا ، مثل : حضر - صبر - فالوصل يمنع من إشباع ذلك الصويت المعرقل لاستمرار النفس المساعد على توالى النطق ، والاستعمال[٢] .

والمعروف أن الهواء الخارج من الرئتين فى عملية الزفير هو المتسبب فى ظهور الأصوات ، فى أثناء مروره بأعضاء النطق ، وكلما توافرت كمية أكبر من الهواء كان ذلك داعيا إلى نطق عدد كبير من الأصوات ، وبالعكس إذا فقد

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١/٥٦ ، ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ١/٥٧ ، ٥٨ .

معظمه ، - كما يحدث عند نطق بعض الحروف ذوات الصويت - حيث يسمح عند ذاك لكمية كبيرة من الهواء بالمرور ، فإن ذلك يقلل من عدد الحروف المنطوق بها ويزيد من صعوبة إخراجها ، ويمكن أن نفهم هذا من سياق قصة أوردها ابن جنى يقول فيها :

ويحكى من ذلك أن رجلا بايع أن يشرب علبة لبن دون أن يتنحنح ، فأخذ يقول : كبش أملح ، فلما قيل له تنحنحت قال من تنحنح فلا أفلح ، فأتى بالحاء الساكنة ليكون عونا له على التنفس(١).

فالثلاثى قد جاء على أحسن حال .

ونظرا لخفته ، وكثرة وروده بنى اللغويون بحوثهم فى المعاجم ، والقواميس عليه ، وعليه وحده بنى ابن فارس الكـلام فى كتابه (مقاييس اللغة)(٢).

ويلى الثلاثى فى الكثرة الرباعى ، ثم الخماسى(٣).

ونظرا لهذا المبدأ لم تستعمل كل أبنية الرباعى ، وما فوقه ، بل أهمل الكثير منها « ولم يأت فى واقع اللغة إلا القليل »(٤).

ونظرا لهذا المبدأ لم تستعمل كل أبنية الرباعى ، وما فوقه ، بل بعض أوزانه للثقل ، وهو (فعل) - بضم الفاء وكسر العين - و (فعل) - بكسر الفاء وضم العين - استثقالا للخروج من الضمة إلى الكسرة ، وبالعكس(٥).

وإذا كان هذا الإهمال المذكور لبعض أبنية الثلاثى أمرا منطقيا ومقبولا

---

(١) المصدر السابق ١/٥٨ ، ٥٩ .

(٢) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٩٩ .

(٣) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٣١٠ .

(٤) يقول ابن جنى : إن الثلاثى يتركب منه ستة أصول ، والرباعى يتركب منه أربعة وعشرون أصلا ، وذلك أنك تضرب الأربعة فى التراكيب التى خرجت عن الثلاثى وهى ستة ، فيكون ذلك أربعة وعشرين تركيبا ، المستعمل منها قليل ، والخماسى يبلغ بالتقليب مائة وعشرين أصلا ولكن المستعمل قليل جدا كسفرجل . انظر : الخصائص ١/٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ والحسينى : شرح الشافية ص ١٤ .

(٥) الحسينى : شرح الشافية ص ١٢ .

لتمشيه مع المنهج العام للبناء ، فإننا قد نصادف صعوبة فى التعليل لإهمال بعض الألفاظ المؤتلفة ، من حروف خفيفة وعلى وزن سهل أتى عليه كثير من مفردات اللغة ·

فما السر وراء إهمال (لجع) - مثلا - مع خفته ،واستعمال مثله مما هو على شاكلته (نجع) ؟

يسوق ابن جنى ثلاثة أسباب لهذا الإهمال ، منها سببان فلسفيان هما :

١ - أنهم تركوا نحو ذلك لحمل الثلاثى على الرباعى فى إهمال بعض أصوله ، كما حمل الخماسى على الرباعى فى تصرف بعض أصوله بالتحقير ، والتكسير ، والترخيم ونحو ذلك ·

٢ - أن كثرة التصرف ضرب من الإعلال ، وذلك يدعوهم إلى التقليل من استعمال بعض تصرفات الأصول ·

ولكن السبب الثالث المعقول هو الذى يعبر عنه بقوله :

كانت الأصول ، ومواد الكلم معرضة لهم ، وعارضة أنفسها على تخيرهم ، فجرت عندهم مجرى مال ملقى بين يدى صاحبه ، وقد أجمع إنفاق بعضه دون بعضه فميز رديئه ، وزائفه ، فنفاه ألبتة ، كما نفوا عنهم تركيب ما قبح تأليفه ، ثم ضرب بيده إلى ما أطف له[1] من عرض جيده ، فتناوله للحاجة إليه ، وترك البعض ، لأنه لم يرد استيعاب جميع ما بين يديه ، لما قدمنا ذكره ، وهو يرى أنه لو أخذ ما ترك مكان أخذ ما أخذ لأغنى عن صاحبه ، ولأدى فى الحاجة إليه تأديته ، ألا ترى أنهم لو استعملوا (لجع) مكان (نجع) لقام مقامه ، وأغنى مغناه[2] ·

ومفهوم ذلك أن العـــرب كانت لهم حرية الاختيار بعد عزل قبيح التأليف ، فأخذوا بعضـا للحاجة ، وتركوا بعضا ، كالمال يأخذ الإنســان منه ما يحتاج إليه ، ويترك الباقى ·

وهذا ما نميل إليه ، لأن العربى استعمل بعض الألفاظ للحاجة إليها ،

---

(١) أطف : دنا وقرب ·

(٢) ابن جنى : الخصائص ١/ ٦٥ ·

وإلا فان تركيب الكلمات من الحروف يبلغ بالتحليل الرياضى ما يجاوز اثنى عشر (مليونا) من الكلمات ، وقد صرح بذلك ابن جنى فى بيانه لقسمة التراكيب العقلية من الثلاثى وغيره ، وكذلك الخليل من قبله ، والمستعمل من الألفاظ لا يجاوز ثمانين ألف مادة على ما جاء فى لسان العرب(١) .

وربما كانت لهم أغراض أخرى ، لأنهم - عادة - يناسبون بين الأصوات الحرفية والمعانى ، مثل :(قضم) - فى اليابس - و(خضم) - فى الرطب - وذلك لقوة القاف ، وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، وبالعكس ، وهكذا نظائر كثيرة(٢) .

وإن سعة العربية ، وكثرة تصرفها لتوحى للباحث بتنبؤات أخرى ، فربما لم يصل الينا تاريخ هـذا اللفظ ، واستعماله بسبب ما كإهمال الرواة ، أو للاستغناء بنظائره ، وغير ذلك .

٤ - تطور المعلات وهدفه اللغوى :

ذكرنا عادة العربية فى التخفيف ، وأنها تنتقى الحروف ، والحركات وتؤلف بينها ، فربما اختارت حرفا ، وتركت آخر ، وقد تفضل حركة على أخرى حتى لا يثقل البناء .

وحديثنا الآن عن حروف المد ، واللين ، التى وضعت لتنويع المعنى الواحد ، لبيان الخفيف منها والثقيل ، وفى أى مكان يقع أو يتبدل .

تلجأ العربية إلى الإعلال بالنقل ، أو القلب ، أو الحذف ، لتصل إلى هدفها المقصود ، والمتأمل لجوهر هذه اللغة يجد بناءها - لذلك - متينا فما صحح فلخفته ، وما أعل فلخفته أيضا ، فإذا ذكرنا أن (قام) أصلها (قوم) و(استعد) أصلها (استعدد) ، فذلك دليل على أن هذه الأصول المذكورة قبل الإعلال قد رفضت ، نتيجة لثقلها فى النطق .

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١/ ٦١ ، ٦٢ والخليل : العين ١/ ٦٦ والسيوطى : المزهر ط١٢٨٢هـ ١/ ٣٦ ، ٣٧ و د. الصالح : دراسات فى فقه اللغة ص ١٨١ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ١/ ٦٥ .

● **يقول ابن جنى :**

وإنما كان الأصل فى (قام) (قوم) وفى (خاف) (خوف) وفى (طال) (طول) وفى (باع) (بيع) وفى (هاب) (هيب) فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، - وهى الفتحة والواو والياء وحركة الواو والياء - كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ يؤمن فيه الحركة ، وهو الألف ، وسوغها أيضا انفتاح ما قبلها[١] ، وإن الحرفين المعتلين إذا التقيا وهما ساكنان ، فلا بد من حذف أحدهما أو تبديله عن طريق الإعلال ليخف اللفظ ، ويمكن النطق به ، فمن المسلم أنه لا يمكن النطق بكلمة (كساء) بعد قلب الواو ألفا وقبل الوصول بها إلى الهمز ، لاجتماع ألفين فى (كسا ا) ، وكذلك اسم المفعول من (قال) و (باع) بعد نقل حركة الواو والياء إلى الساكن الصحيح قبلهما هو (مقوول) و (مبيوع) ، ولهذا قلبت الألف الثانية فى (كسا ا) همزة ليمكن تحريكها ، وحذفت واو مفعول أو عينه ، على اختلاف الآراء فى ذلك[٢]، فالإعلال دليل واضح على رقى لغتنا العربية ، وبلوغها الذروة فى التعبير ، والرونق وحسن الأداء .

● **يقول الأستاذ عبد الله العلايلى :**

الإعلال عندنا مظهر من مظاهر الاقتعاد اللغوى ، والبلوغ الفنى وهذه نتيجة ضرورية للعمل النظامى الذى نشاهد أثره فى شتى الألفاظ المعلة ، ولقد تدهش حقا للتحولات التى لا تشذ ، ولا تختلف ، وإنما تتبع سنة واحدة فيها من القوة ما يجعلها ذات أهمية ، ومن ثم كان حديث الإعلال طريفا أيضا ، من حيث كونه حيلة لغوية لبقة ، ابتدأها العربى للمرة الأولى ، فى الصميم من اللغة أداة للتصحيح ، والتمكن اللفظى[٣] .

وهذه الأصوات الأولى التى تطورت عنها الصيغ ، والأبنية المستعملة يرى ابن جنى أنها لم تستعمل فى واقع اللغة يوما ما ، ولم تجر على لسان العربى ، بل إنه لاحظ من أول أمره ثقلها ، وتعذر النطق بها ، فرفضها .

---

(١) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٢٥ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ١/ ٢٥٩ .

(٣) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ٢١٥ .

يقول ابن جنى فى (باب مراتب الأشياء وتنزيلها تقديرا وحكما لازمانا ووقتا) :

قولنا الأصل فى (قـام) (قوم) وفى (باع) (بيع) وفى (طـال) (طول) وفى (خاف) و(نام) و(هاب) : (خوف) و(نوم) و(هيب) وفى(شد) (شدد) وفى(استقام) (استقوم) وفى(يستعين) (يستعون) وفى(يستعد) (يستعدد) هذا يوهم أن هـذه الألفـاظ وما كان نحوها - مما يدعى أن له أصلا يخالف ظاهر لفظه - قد كان مرة يقال حتى إنهم كانوا يقولون فى موضع (قام زيد) : (قوم زيد) وكذلك (نوم جعفر) و (طول محمد) و (شدد أخوك يده) و (استعدد الأمير لعدوه) ، وليس الأمر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه ، وتسمعه ، وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا ، أنه لو جاء مجىء الصحيح ، ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا ، فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ ، لا يعتقده أحد من أهل النظر[1] وقد ذكر ابن جنى أن العرب قد اعتقدت هذا الأصل فى نفوسها[2] قائلا : ويدل على اعتقاد العرب لهذا الأصل كما هو معتقدنا مجىء هذا الأصل أحيانا لينبه به على أصل بابه مثل :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصـال على طول الصدود يدوم

وأيد رأيه فقال : ومن أدل الدليل على أن هذه الأشياء التى ندعى أنها أصول مرفوضة لا يعتقد أنها قد كانت مرة مستعملة ، ثم صارت من بعد مهملة ، ما تعرضه الصنعة فيها من تقدير ما لا يطوع النطق به لتعذره ، وذلك كقولنا فى شرح حال الممدود غير المهموز الأصل نحو : سماء وقضاء ألا ترى أن الأصل سماو ، وقضاى ، فلما وقعت الواو والياء طرفا من بعد ألف زائدة قلبتا ألفين ، فصار التقدير بهما إلى (سما ا وقضا ا) فلما التقت الألفان تحركت الثانية منهما ، فانقلبت همزة فصار ذلك إلى (سماء وقضاء) أفلا تعلم

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٢/٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق ١/٢٥٧ .

أن أحد ما قدرته - هو التقاء الألفين - لا قدرة لأحد على النطق به وكذلك ما نتصوره وننبه عليه أبدا من تقدير مفعول مما عينه أحد حرفى العلة(١).

ونحن نرى من عرض أدلة ابن جنى أنه يؤكد أن العرب استعملت البناء المتطور الراقى دون سواه وهو يشير إلى أن البناء على أصل المتروك لم تتداوله ألسنة العرب فى أى وقت من الأوقات ، ولكننا نحس أن كلامه هذا لا ينطبق على كل الأصول المتروكة ، فربما استعمل بعضها على ما كان عليه يوما ما ، وأدلته التى ساقها لا تؤيد رأيه تمام التأييد ، فهو يفترض أن الأصوات المذكورة لا يمكن النطق بها مطلقا لوجود ألفين ، أو واوين ، أو ياء وواو وكلها ساكنة متجاورة لا يتمكن اللسان من التصريح بها لفظا .

ونحن نقول لابن جنى : كيف تفترض ذلك ؟ هل الألفان كانتًا موجودتين من الأصل فى بناء كساء وقضاء، حتى نفرض أنه يتعذر النطق بهما؟ إننا نقول : إن أصل كساء ، وقضاء هو كساو وقضاى بألف بعدها واو أو ياء ، وأعتقد - كما يعتقد غيرى من الناطقين - أنه يمكن النطق بالألف مع الواو أو الياء ، ولو تجاورتا ساكنتين لأنهم - كما يقولون - يجيزون نحو ذلك ، لأن الألف فى مثل هذا حاجز غير حصين ، فكأن الواو أو الياء مجاورة للحركة السابقة على الألف ، فخف النطق بكل منهما ، وعليها قراءة (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(٢).

فكيف يفترض ابن جنى مرحلة أخرى غير المرحلة الأولى الحقيقية قبل الانقلاب ؟ إنه فى ذلك قد بنى رأيه على غير أساس سديد ، وبهذا لا ينهض ما ذكره دليلا يدعم ما أراده ، وكذلك يمكن النطق بنحو : قوم وبيع وهيب وخوف ونحوها دون تعذر ، ويقف فى طريق هذا الاستدلال أيضا استعمال بعض هذه الأصول على أصله دون إعلال أو تبديل ، وباعترافه هو فى مثل :

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٥٩ .

(٢) هى قراءة نافع ، والآية ١٦٣ من الأنعام . انظر : البيضاوى ١٩٨ والأزهرى : التصريح ٢/ ٦ وابن هشام : أوضح المسالك مع المنار ١/ ٤١٣ وابن جنى : الخصائص ١/ ٩٢ على أن الكلمات تستعمل موصولة بغيرها فى الكلام فلا يتأتى التقاء ساكنين بوجه ما .

أطولت وضننوا ، وقد قال - كما قال غيره من علماء اللغة - إنها خرجت هكذا للتنبيه على أصل الباب[1] وكذلك يمكن النطق بصيغة اسم المفعول ، كما ورد في مبيوع ونحوه من اليائى العين عند بنى تميم ، بل ويجاوزونه إلى الواوى مثل مصون .

ويبدو أن هذه الصيغ الباقية تدل على تلك المرحلة الصوتية المتقدمة والتى كان كل حرف ينطق صريحا فيها دون إعلال أو إدغام ، أو أنها كانت لهجات مختلفة ماتت الضعيفة منها .

وقد عرض لهذه النظرية التى ملنا لها الأستاذ عبد الله العلايلى الذى يرى أن الإعلال مظهر من مظاهر الاقتعاد اللغوى ، والبلوغ الفنى كما ذكرنا سابقا ، ويقول : وليس الإعلال من اصطناع النحاة بقدر ما هو من عمل العربى ، وعمل النحاة تصرف أسلوبى فقط ، لأن الإعلال حقيقة راهنة فى صميم اللغة ، وهذا يدل على رقى عقلية العربى[2].

وسر العربية واضح فى العدول عن هذه الصيغ ، فإنها بمظهرها القديم تحمل طابع الاستثقال ، أو عدم إمكان النطق نهائيا ، كما يقول ابن جنى ، فقد قسم الأصول التى لم تستعمل إلى ثلاثة أنواع .

١ - ما لا يمكن النطق به أصلا مثل ما اجتمع فيه ساكنان كسماء ومبيع ومصوغ ونحو ذلك .

٢ - ما يمكن النطق به مع الاستثقال ، فرفض لذلك ، ويشذ قليل لينبه على أصله مثل : استحوذ ، وألل السقاء : إذا تغيرت ريحه .

٣ - ما يمكن النطق به إلا أنه لم يستعمل لالثقله ، لكن لغير ذلك من التعويض عنه ، أو لأن الصنعة أدت إلى رفضه ، مثل أن مع الفعل إذا كان جوابا للأمر والنهى ، وتلك الأماكن السبعة مثل قوله تعالى :

---

(١) ابن جنى : الخصائص ١/٢٥٧ .

(٢) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ٢١٦ ويقول ص ١٨٤ : ويستنتج من هذا أن العمل كان على التصحيح فى أقدم عهود اللغة لا كما ظن النحاة من أن ما قبل الإعلال افتراض تعليمى .

﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾[1] وكذلك ما حذف من الأفعال ، وأنيب عنه غيره كالمصدر وغيره مثل : ضربا زيدا فهذا لم يرفض لثقله بل لما ناب عنه[2] .

وأيا ما كان الأمر فإن العرب لأنهم درجوا على السهولة عدلوا فى الصيغ البنائية بما يتفق وسهولة النطق حتى يحققوا لها مبدأ الانسجام وتساوق النغم ، والموسيقى اللفظية فقد امتنعوا كما يقول ابن جنى من تصحيح الياء فى نحو موسر ،وموقن ،والواو فى نحو ميزان وميعاد ، وامتنعوا من إخراج (افتعل) وما تصرف منه إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء ، أو دالا أو ذالا أو زايا على أصله ، وامتنعوا من تصحيح الياء والواو إذا وقعتا طرفين بعد ألف زائدة ، وامتنعوا من جمع الهمزتين فى كلمة واحدة ملتقيتين غير عينين ، فكل هذا وغيره مما يكثر تعداده يمتنع منه استكراها للكلفة فيه[3] .

واذا كانت الألفاظ العربية التى جرى فيها الإعلال قد وصلت إلينا على هذه الصورة المتطورة فإن علماء اللغة قد أوضحوا المقاييس اللغوية التى سارت عليها الألفاظ المعتلة حتى وصلت إلى شكلها الجديد ، وكان النبراس الذى ساروا على هديه هو بيان مراحل هذا التطور ، وبيان الأصل الثقيل وكيف تحقق فيه الثقل بتحرك الواو ، وانفتاح ما قبلها ، أو وجود كسرة سابقة للواو الساكنة ، أو التقاء الواو بالياء فى كلمة وسبق إحداهما بالسكون أو غير ذلك من الأسباب التى تجعل اللفظ ثقيلا وتدعو إلى التخفيف ، والتغيير عن طريق الإعلال .

ولكن التساؤل يبدو حول ما وصل إليه التفلسف الإعلالى وتعقيداته الغامضة ، وتأويلاته البعيدة ، والتى تنتقل بين مراحل طويلة جدا ويحتاج التعرف عليها إلى مجهود كبير ، وأبحاث شاقة تصور للمنقب عنها منشأ الفلسفة اللغوية .

فلو نظرنا إلى نحو (خطايا) و (مطايا) وكيف وصلت إلى صورتها الحالية بعد أصلها الأول الذى نشأته عليه ، وجدنا أن اللغويين يحكون لنا أنها

---

(١) سورة طه : ٦١ . (٢) ابن جنى : الخصائص ١/٢٦١ - ٣٦٤ .
(٣) المصدر السابق ١/٢٦٢ .

مرت بأطوار خمسة ، أو على حد تعبيرهم بأعمال خمسة ، فالأصل خطايى ومطايو ، ثم مطايى ثم صارتا خطائى ومطائى - خطائى ومطائى ثم خطاءا ومطاءا ثم خطايا ومطايا[1] يقول صاحب التصريح : فصار مطايا بعد خمسة أعمال : أحدها : قلب الواو ياء ، والثانى قلب الياء الأولى همزة والثالث : إبدال الكسرة فتحة ، والرابع : إبدال الياء ألفا ، والخامس إبدال الألف ياء[2]، ولم يرجع إلى أصلها لأن الواو أثقل من الياء أو لأنها لما أعلت فى المفرد أعلت فى الجمع ، على أن ابن جنى يجعل ذلك من مراجعة الأصل الأقرب[3].

وهـذا التحليل البعيد كان من الممكن الاجتراء عنه بأن الهمزة فى جمع (خطيئة) ردت إلى أصلها ، - وهو الياء - تخفيفا ، وبقيت الياء المنقلبة عن الواو فى جمع (مطية) لذلك أيضا ، ولا داعى إلى هذه المراحل التاريخية التى ليس من المعتقد أن يكون العربى قد نظر إليها .

ومن ذلك قولهم : إن أصل (قام) (قوم) فأبدلوا الواو ألفـا وكذلك (باع) أصله (بيع) ثم أبدلت الياء ألفا لتحركها ، وانفتاح ما قبلها ، وهو - لعمرى - كذلك إلا أنك لم تقلب واحد من الحرفين إلا بعد أن أسكنته استثقـالا لحركته ، فصار إلى (قوم) و (بيع) ثم انقلبا لتحركهما فى الأصل ، وانفتاح ما قبلها الآن ، ففارقا بذلك باب ثوب وشيخ ، لأن هذين ساكنا العينين ولم يسكنـا عن حركة ، ولو رمت قلب الواو واليـاء من نحو: (قوم) و (بيع) وهما متحركتان لاحتمتا بحركتيهما فعزتا ، فلم تنقلبا فهذا واضح[4].

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢/ ٣٨٤ والأزهرى : التصريح ٢/ ٣٧٢ والحسينى : شرح الشافية ص ١٨٧ ، ١٨٨ والرضى ٢١٣ .

(٢) فى الأشمونى : والخامس إبدال الهمزة ياء (٤/ ٢٩٢) وقد أشار صاحب التصريح إلى الهمزة حين قال : إنه « اجتمع شبه ثلاث ألفات فأبدل الهمزة ياء » وهذا فى أول حديثه عن الجمع الذى على مثال (مفاعل) .

انظر التصريح : المطبسة البهية سنة ١٣٠٥هـ ج ٢ ص ٤١٤ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٣٤٤ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٧١ ، ٤٧٢ .

وهذا الحديث من ابن جنى لا يؤيده الواقع اللغوى ، فالمعروف أن الساكن لا يقلب ، وأقرب إلى الصواب ما قاله فى سر الصناعة[1].

والفلسفة على النحو السابق هى التى دعت الأستاذ العلايلى إلى تفسيره للإعلال بطريقة أخرى تذهب إلى تقريب منشأ الإعلال وتدرجه فهو يقول :

وهذا لا يمنعنا من الدعوة إلى اعادة النظر فى قواعد الإعلال التى أقرها النحاة فى أسلوب قد لا يجد شواهد عليه ، لا لعدم صدقها ، ولكن لأنها أثبتت على لف ودوران كثير ، مثل إعلال الاتباع بالنقل السابق ، ومطايا ، وخطايا ، ويمكن تبسيط الإعلال بأنه وجه من الاتباع بالمثل أو بالإشباع[2].

وقد شرح الأستاذ العلايلى ما أراد من اختصار تلك المراحل التاريخية للأبنية المعتلة ، وكيف يمكن تطبيق الاتباع عليهما فقال :

يمكن الاستفادة من الاتباع فى فهم الإعلال فى الأبنية على نظـام مختصر ، لا مطول كما ذكره الصرفيون فمثلا (مطايا) بدلا من الأعمال الخمسة المعروفة يمكن أن تفسر من باب الاتباع على الوجه الآتى :

« إن كسرة الياء فى (مطايو) أبدلت فتحة مجانسة أو اتباعا للألف قبلها ثم قلبت الواو ألفا اتباعا لحركة الياء بدون تهويل ولا مظالعة ولا عبث مرهق طويل[3] » .

ثم يقول عن (نعد) :

وعندنا أن الواو قلبت ياء اتباعا للكسرة ، ولأخذ العربية باللفظية أخذا عنيفا حذفت وبظهر أن العربى أخذ المثال فى كل أمثلته بالحذف فى المضارع خفة ، وأن مجيئه فى الباب كذلك دليل على ثبوت التطور فى اللغة ، وعلى أن الإعلال اتباع[4].

ولكننا نرى أن رأى الأستاذ العلايلى أيضا غير دقيق ، وتبدو عليه سمة

---

(1) ١/ ٢٥ .

(2) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ٢١٧ .

(3) العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب ص ٢١٨ .

(4) المصدر السابق ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

التكلف أحيانا ، حيث ينعدم وجه المناسبة للاتباع ، والحذف ، فإذا كان من الممكن والمقبول أن نتابعه على كيفية الإجراء فى إعلال نحو (مطايا) و (خطايا) بوجه الاتباع فمن الواضح - كذلك - أن تخريج نحو نعد على الاتباع ينتابه الضعف فليس هناك وجه لقلب الواو ياء بملحظ وقوع الكسرة بعدها ، فليس ذلك من المعهود فى اللغة ، وإنما المعهود أن تقلب بعد الكسرة لا قبلها ، وقد نسلم بذلك إلى حد ما ، فنرى الأستاذ العلايلى مضطرا إلى تكلف آخر أشد من سابقه ، فحين لم يجد وجها لحذف الواو بعد انقلابها ياء اقترح أن لفظية اللغة دعت إلى الحذف ، ولست أدرى ما معنى هذه اللفظية ؟

وما القوة الكامنة فيها التى تجعلها قادرة على التصرف فى اللغة إلى هذا القدر ؟ وإذا كان أرباب اللغة القدامى قد وفقوا تمام التوفيق فى التعليل لحذف واو المضارع للغائب ، وحملوا بقية الصور عليه ، فإن لهم أساسا صحيحا ساروا عليه ، وهو مبدأ حمل بعض الأصول على بعض ، والحمل مبدأ معروف فى اللغة التى تتلاحم أجزاؤها ويشبه بعضها بعضا .

وعلى ما أرى يبدو أن تطبيق مبدأ الاتباع للتقليل من الفلسفة الإعلالية أمر لا يتمشى فى كل الأحوال اللغوية ولا يشمل كل الأبنية بتصرف مقبول .

وإننى أرى - مع ذلك - أن النحاة العرب قد برهنوا على براعتهم فى التخريج ، وإن كانت توجيهاتهم فى الإعلال قد أغرقت فى الفلسفة التى قد تشط بهم ، وتغرب فى بعض الأحيان .

* * *

ثانيا : المقاطع الصوتية وأثر تجاور الأصوات

١ - المقاطع الصوتية

(أ) التقسيم المقطعى للأبنية :

لا ريب أن جهاز النطق صالح لإنتاج عديد من الوحدات الصوتية التى ينضم بعضها إلى بعض لتؤلف الكلمات ثم الجمل ، وهذا التأليف قائم على الفتح والغلق الكلى أو الجزئى الذى يجرى داخل هذا الجهاز فى تتابع مستمر فى أثناء العملية الكلامية وهذا قائم على أساس النطق المقسم للكلمة والكلام إلى إيقاعات صوتية معينة تجعل للكلمة والكلام أجزاء يعرف كل منها بالمقطع فهو فى أبسط معانيه :

أصغر وحدة صوتية يمكن النطق بها ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة[1] .

وهو ينشأ نتيجة لحركة الرئتين واندفاع الهواء منهما دفعة واحدة ، تسمح بخروج هذا القدر من الأصوات بهذه الكيفية التى يحس بها الناطق والسامع على سواء .

والكلام الإنسانى يضم هذه الوحدات فى تركيب كلماته .

وحروف المعجم اتى تمثل اللبنات الأولى المكونة للمقطع تضم لونين من الأصوات يعرف أحدهما باسم (أصوات اللين) أو(العلل) والثانى بـ(السواكن) أو (الصحاح) .

يقول كانتنيو عنهما : يبتدىء المقطع بصوت واحد أو عدة أصوات فاتحة أو منفجرة explosifs ذات انفتاح متزايد ، ويمر بمقدار أعلى من الانفتاح تمثله عادة حركة من الحركات ، وينتهى بصوت أو عدة أصوات غالقة ، أو حاجزة للهواء implosifs ذات انفتاح متناقص مثال ذلك « ترك » trac[2] .

---

(١) انظر فى تعريف المقطع د. نجا : التجويد والأصوات ص ٢٧ و د. أحمد مختار : الصوت اللغوى ص ٢٤٢ ، ٢٥٩ و د. عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية ص ٢٥ .

(٢) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩١ .

فكل مقطع صوتى يضم عددا من هذه الأصوات بنوعيها .

وللمقطع جزءان أساسيان أحدهما يعرف بـ (القمة) والآخر بـ(القاعدة) أو (الوادى) أو (الهامش) .

فقد لوحظ بالتجربة القائمة على تسجيل الذبذبات الصوتية للجمل أن أثر هذه الذبذبات يبدو فى شكل خط متموج يتكون من قمم ووديان[1] .

وهذا يتوقف على معرفة درجة الوضوح السمعى فأعلى الأصوات وضوحا فى السمع يمثل « القمم » ، وما عداها مما يدخل فى تركيب المقاطع الصوتية يسمى « قواعد » أو « وديانا » أو (هوامش) .

ومعروف أن أصوات اللين أو العلة أعلى وضوحا فى السمع من السواكن كما أنها فيما بينها تختلف فى درجة الوضوح نسبيا .

وإذا رتبناها حسب درجة وضوحها ، فإننا نرى أن أوضحها أصوات اللين التى تتفاوت درجة وضوحها حسب الطول ، والقصر فالطويلة « ألف المد - واو المد - ياء المد » أوضح من القصيرة : « الحركات : الفتحة - الضمة - الكسرة » .

ويليها الأصوات الساكنة مع تفاوت فى درجة وضوحها .

فاللام والنون والميم تعد أوضح من غيرها من السواكن وتسمى « أشباه أصوات اللين » لأنها تليها فى درجة علوها السمعى[2]ولإمكانها أن تحل محلها[3] وما عداها من السواكن يقل عنها وضوحا .

وقد رتب يسبرسن الأصوات بحسب اسماعها بالترتيب الآتى :

١ - العلل الواسعة : a - a .

٢ - العلل نصف الضيقة : C - E - o - e .

٣ - العلل الضيقة : u - i .

---

(١) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٠ .

(٣) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٢٦ ، ٢٧ .

٤ - الأصوات المكررة : r « الراء » .

٥ - الأصوات الأنفية : m - n (ن - م) :

والجانبية (L) (اللام) .

٦ - الاحتكاكيات المجهورة : Z - V .

٧ - الوقفيات المجهورة : g - d - b .

٨ - الاحتكاكيات : S - F .

٩ - الوقفيات : - K - t - p(١).

وتسمى الأصوات التى تقع « قمة » فى المقاطع أصواتا مقطعية وتسمى الأصوات التى تقع « قاعدة » أو « هامشا » أصواتا غير مقطعية .

والعلل الواسعة a - a أصوات مقطعية حتما لأنها أعلى الأصوات وضوحا أما ماعداها فقد تسمى مقطعية حينا ، وغير مقطعية حينا آخر فإذا صاحبت ما هو أعلى منها وضوحا فهى أصوات غير مقطعية وإذا صاحبت ما هو أقل منها وضوحا سميت مقطعية فاعتبارها - على الحالين - أمر نسبى .

فصوت (i) قد يعتبر قمة فى مثل (si) وقد لا يعتبر كذلك فى سياق مثل (is) أو (ai) .

والصوت S قد يعتبر « قمة » فى مثل (pst) لأنه أعلى وضوحا فى السمع من p,t كما ذكرنا فى الترتيب السابق، ولكنه فى مثل see يعتبر «قاعدة» أو « هامشا » لأنه أقل من صوت العلة وضوحا(٢).

وقد اعتبر الدكتور أنيس أصوات اللين ومعها اللام والنون ، والميم أصواتا مقطعية وما عداها غير مقطعى ولندرة ورود هذه الأصوات الأخيرة قمما فى المقاطع الصوتية للغات اقتصر فى عرض المقاطع على اعتبار أصوات اللين فحسب(٣).

---

(١) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٢٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، وبعض الباحثين يطلق تجوزا على كل صوت مقطعى اسم (علة) ولو لم يكن علة على الحقيقة ، انظر التعليق ص ٢٥٤ .

(٣) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٠ ، ١١١ .

أنواع المقاطع ووقوعها فى اللغات :

تنقسم المقاطع بالنظر إلى ما تنتهى به من الأصوات اللينة أو الساكنة إلى قسمين : مفتوح ومقفول ·

فالأول « المفتوح » open :

هو الذى ينتهى بحركة طويلة أو قصيرة «علة» مثاله فى الفرنسية «روبو» repu « ومعناها شبعان » فمقطعاها مفتوحان[1]·

ومثاله : فى العربية « لى - بم » » فالمقطع الأول ينتهى بحركة طويلة والمقطعان « بم » كل منهما ينتهى بحركة قصيرة ·

أما النوع الثانى : « المغلق » « أو المقفول » Closed : فهو الذى ينتهى بحرف (ساكن) أو حرفين « وإذا انتهى بحرفين سمى أحيانا مزدوج الانغلاق » ·

مثاله فى الفرنسية اسم العلم : فكتور victor ، فهو يشتمل على مقطعين مغلقين يتكون الأول من«س+ ع+س» والثانى من «س+ ع ع + س» ·

ومثاله فى العربية « علم » - « قدر » فكل من الكلمتين يشتمل على مقطعين مغلقين ، يتكون كل منهما من « س + ع + س » ·

ومثل : « نستعين » - حال الوقف - فالمقطع - الأخير « عين » مغلق ، مكون من « س + ع ع + س » ·

ومثال المقطع مزدوج الانغلاق « راد » - حال الوقف - فالكلمة كلها مقطع واحد يتكون من : « س + ع ع + س س » ·

ومثله : Plant فى الانجليزية ·

كما تنقسم المقاطع من حيث مدة النطق بها إلى مقاطع قصيرة ، ومقاطع طويلة[2].

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩١ وانظر د·مختار : الصوت اللغوى ص ٢٤٨ ·

(٢) د·أنيس : موسيقى الشعر ص ١٤٧ ·

فالمقطع القصير : هو الذى ينتهى بحركة قصيرة .

ومثاله (كتب) فى العربية ، فهى متركبة من ثلاثة مقاطع قصيرة هى (ك - ت - ب) ، فالمقطع القصير عبارة عن إحدى صورتى المقطع المفتوح .

والمقطع الطويل : هو الذى ينتهى بحركة طويلة ، أو بحرف .

ومثالهما : المقطعان (نا) و (تل) فى كلمة (قتلنا) العربية ، فكل منهما مقطع طويل[1] الأول منهما (نا) ينتهى بحركة طويلة هى ألف المد ، والثانى (تل) ينتهى بصوت صامت هو (اللام) الساكنة .

ومعنى ذلك أن المقطع الطويل يشمل الصورة الثانية للمقطع المفتوح ، كما يشمل المقطع المغلق .

وبعضهم يقسم المقاطع - من هذه الناحية - ثلاثة أقسام :

طويل - متوسط - قصير .

فهو طويل : إذا اشتمل على أربعة أصوات ، أو ثلاثة ، أحدها لين طويل ، فمثال ما تكون من أربعة أصوات : بحر - درج - فكر ، ومثال ما تكون من ثلاثة أحدها لين طويل : نار - طول - نير .

وهو متوسط : إذا تكون من ثلاثة أصوات ، أو صوتين أحدهما لين طويل ، فمثال ما تكون من ثلاثة ، كم - كم - كم - بفتح الكاف وضمها وكسرها - ومثال ما تكون من صوتين أحدهما لين طويل : كا - كو - كى .

وهو قصير : إذا لم يزد عن صوتين مثل : كَ - كُ - كِ - بفتح الكاف وضمها وكسرها[2] .

وتتفاوت اللغات فى استعمال المقاطع ، فبعضها يفضل المفتوح ، وينفر

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩٢ .

(٢) د. أنيس : موسيقى الشعر ص ١٤٧ وانظر : د. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٥٨ .

من المقطع المقفول ، كلغات وسط افريقيا[1] وبعض اللغات يؤثر المقطع المقفول ، كالعربية ، فهى - وإن كانت تستعمل النوعين معا - تفضل المقفول ، كما يتبين من تسكين لام الفعل الماضى عند اتصاله بضمير الرفع المتحرك مثل : كتبت - أكرمت - استرشدت - الخ ، إذ يقول النحاة فى علة ذلك : إنها كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، فالتسكين - كما يبدو - لكراهة العربية توالى أربعة مقاطع مفتوحة .

وقد أباحوا توالى أربعة مقاطع مقفولة مثل : استأذنتم واستفهمتم ونحوهما[2] .

وبعض اللغات لا تستعمل المقاطع المقفولة ، كاللغات السلافية ، واليابانية[3] .

مقاطع اللغة العربية :

لا تخرج المقاطع فى العربية عن خمسة أنواع هى :

١ - «س + ع» مثل مقاطع «علم» فهى تشتمل على ثلاثة مقاطع «ع» ، « ل » ، « م » وكل منها مكون من ساكن وعلة أولين قصير .

٢ - « س + ع ع » مثل : « لا » ومقطعى « راعى » فأداة النفى مقطع واحد وكلمة «راعى» مقطعان وكل منها يتكون من ساكن وعلة أولين طويل .

وهذان اللونان من المقاطع المفتوحة .

٣ - « س + ع + س » مثل كلمة : « بأس » فهى تشتمل على مقطعين هما « بأ » ، « سن » وكل منهما يتكون من صوتين ساكنين ، بينهما علة أولين قصير .

٤ - « س + ع ع + س » ، ومثال ذلك المقطع الأول والأخير من كلمة

---

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٢ و د. نجا : التجويد والأصوات ص ٢٩ .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٣ و د. نجا : التجويد والأصوات ص ٢٩ .

(٣) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٥٧ .

« ضالين » والمقطع الأخير من كلمة « الرحيم » - ونحوهما من كل كلمة موقوف عليها وقبل الحرف الموقوف عليه لين طويل - ففى الكلمة الأولى مقطعان من هذا النوع فكل منهما مكون من ساكنين هما «ض - ل»و(ل - ن) وبينهما لين طويل والمقطع الأخير فى الكلمة الثانية كذلك وهو مكون من ساكنين هما « ح - م » بينهما لين طويل .

٥ - « س + ع + س + س » ومثاله المقطع الأخير « فر » من « المفر » و«قر» من (المستقر) - حال الوقف على كل منهما فى قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئذ أَينَ المفَرُّ . كَلاَّ لاَوَزَر . إِلَى ربِّكَ يَوْمَئذ المستَقَرُّ ﴾ فهذا المقطع - فى كَلَا الكلمتين - مكون من ساكن « هو : ف أَوَ : ق » يليه لين قصير « الفتحة » وبعده صوتان ساكنان « الراء المضعفة » .

ومثل ذلك كل مقطع يتألف من ساكن بعده لين قصير ، بعده ساكنان إذا كانت الكلمة التى يقع فيها موقوفا عليها(١).

كما يتأتى هذا النوع من المقاطع فى الوقف على الأوزان «فعل» - مثل : « شعب » و« افعل » - كاخضر - و « فعول » مثل : بلور ، و « وفعلول » كبرذون(٢).

وتتخلص العربية من المقطع الأخير - « س + ع + س + س » - بتحريك ما قبل الآخر فمثل : (بحر) - (صبر) - - (جبر) يقف بعضهم عليها بتحريك ما قبل الحرف الأخير فينطقونها « بحر - صبر - جبر » .

كا قد تتخلص منه - أيضا - بحركة التخلص من التقاء الساكنين كما فى نحو « لم يشد » فتحرك الدال بالفتح فتنطق « لم يشد » أو بفك الإدغام فتنطق « لم يشدد »(٣).

وقد تحول صوت اللين إلى همزة فى بعض اللهجات العربية ، فى ضالين

---

(١) انظر تفصيلات لذلك د. نجا : التجويد والأصوات ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٦١ وقد ذكر مقطعا سادسا هو (س + ع + ع + س + س) ومثل له بكلمة (راد) . انظر ص ٢٥٦ من المرجع السابق .

(٣) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٣٣٧ .

وشابة ، ودابة ونحوها فنطقت : ضألين - شأبة - دأبة فتخلصت بذلك من المقطع « س + ع ع + س »[1].

ويقول كانتنيو : إن العربية القديمة تجتنب - فى الغالب - وجود حركة طويلة فى مقطع مغلق[2] ويقول : انعدمت من العربية المقاطع ذات الانغلاق المزدوج ... وإذا ظهرت مجموعات من هذا الصنف من جراء الوقف وجب إقحام حركة فصل بين الحرفين[3].

فالمقاطع الشائعة فى اللغة العربية هى الثلاثة الأولى .

« س + ع » - « س + ع ع » - « س + ع + س » .

وهى التى تبنى عليها أوزان الشعر العربى[4].

وأكثرها ورودا « س + ع + س » ويليه « س + ع » .

مقارنة بين تركيب المقطع فى العربية واللغات الأجنبية :

يختلف تركيب المقطع فى العربية عنه فى اللغات الأجنبية .

١ - فاللغات الأجنبية يمكن فيها بدء المقطع بصوت واحد كما فى كلمة pert - الفرنسية - فالحرف « ب » (p) هو العنصر الفاتح للمقطع وقد يبدأ بعدة أصوات فاتحة كما فى (trac) فحرفا « تر » (tr) بدأ بهما المقطع - كذلك - ويقوى الانفتاح فيها إحدى الحركات .

لكن العربية يبتدىء المقطع فيها بحرف واحد مطلقا ، فالمجموعة ذات الصوتين لا تقع فى أول كلماتها - عكس ما رأينا فى اللغات الأجنبية - وإذا وقعت فى وسطها فلا تنسب المجموعة إلى مقطع واحد . بل إلى مقطعين اثنين مثل (قطرة) حيث يوجد حرفا (طر) لكن تنسب الطاء إلى المقطع الأول (قط) ، وتنسب الراء الى المقطع الثانى « ر » .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٧ .

(٢) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٤) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٣ ، ١١٤ ، وموسيقى الشعر ص ١٤٧ - ١٤٩ .

فإذا ما وقعت مجموعة من حرفين فى أول الكلمة لم تبدأ بالساكن - كما فى اللغات الأجنبية - بل يجب اعتمادهـا على الحركة التى تمكن من النطق بهـا ، مثل كلمة (الجارية) فإذا ابتدأ الكلام بها حولت همزة الوصل إلى همزة قطع فتنطق (الجارية) .

فإذا ما وقعت هذه الكلمة (الجارية) وسط جملة وجب ربطها بحركة سابقة تعتمد عليها مثل (قامت الجـارية) فتربط التاء فى (قامت) باللام فى (الجارية) بواسطة الكسرة التى يؤتى بها للتخلص من التقاء الساكنين وتسقط همزة الوصل ويصير المقطع (تل) وبذا تتخلص العربية من المجموعات الحرفية وسط الكلمة أيضا .

٢ - ينتهى المقطع فى اللغات الأجنبية بحركة طويلة أو قصيرة ، أو بحرف مثل (ك) (C) فى (trac) أو حرفين مثل (ر ت) فى (pert) والانتهاء بحرفين يجعل المقطع مزدوج الانغلاق .

ولكن فى العربية ينتهى بحركة أو بحرف واحد (فى حالة المقطع المغلق) - ولذا انعدمت من العربية المقاطع ذات الانغلاق المزدوج لأنها لا توجد إلا فى الوقف فقط ، ويتخلص منها بإقحام حركة فاصلة بين الحرفين كما فى شعر وشعر ونهر ونهر بإسكان العين وفتحها وهكذا وقد أشرنا إلى ذلك من قبل(١) .

---

(١) يجوز البدء بحرفين فى أول المقطع فى بعض اللهجـات العربية الدارجة مثل (كتب) - (مطر) - (قصر) - بإسكان الحرف الأول وقد كثرت فيها المجموعات ذات الحرفين فى آخر المقاطع الواقعة داخل الكلمة مثل : (منجلى) وقد تقع حركة قصيرة للغاية فاصلة بين العنصرين الحرفيين مثل (ندرس) أى ندرس الحنطة ، وقد يغير هذا من التركيب المقطعى للكلمة .

أما وقوع حرفين فى المقطع فى آخر الكلمة ، فقد أصبح جائزا مثل كبش - قلب - ولا يضطرون إلى إقحام حركة فصل بين الحرفين إلا فى المجمـوعات الأشق على النطق .

لكن اللهجة المصرية لا تبدأ المقطع بحرفين ، ولا تجيز ذلك وسطا وإن أجازته آخرا حال الوقف .

انظر فى كل ما تقدم كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩١ - ١٩٣ بتصرف ود. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

● **عدد المقاطع التى تشتمل عليها الكلمة ونوعها :**

قد تشتمل الكلمة على مقطع واحد ، وهو أمر يمكن تحققه فى اللغات المختلفة .

أما وقوع عدد من المقاطع فى كلمة واحدة ، فيختلف من لغة لأخرى وبالنسبة للعربية لاحظ الباحثون أن الكلمة المشتقة المجردة[1] فعلا كانت أو اسما لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع ، وندر أن تأتى على خمسة[2].

وذلك مثل وزن (يتفعل) و (يتفاعل) والأسماء المشتقة منهما - فى حال الوصل - مثل : يتقدم ومتقدم ويتسامح ومتسامح ونحو ذلك .

فكل من هذه الكلمات مؤلف من خمسة مقاطع على النحو التالى :

١ - **الكلمة الأولى** : (يتقدم) تتألف من مقطعين مفتوحين (ى - ت) + مقطع مقفول (قد) + مقطعين مفتوحين (د - م) .

٢ - **الكلمة الثانية** : (متقدم) تشتمل على : مقطعين مفتوحين (م - ت) + مقطع مقفول (قد) + مقطع مفتوح (د) + مقطع مقفول (من) .

٣ - الكلمة الثالثة (يتسامح): تحتوى على خمسة مقاطع مفتوحة هى : (ى - ت - سا - م - ح) إلا أن الأوسط منها يحتوى على لين طويل .

٤ - الكلمة الرابعة (متسامح) : تتكون من أربعة مقاطع مفتوحة والثالث منها يحتوى على لين طويل وهى (م - ت - سا - م) + مقطع مقفول (حن) .

والكلمات العربية التى اتصلت بها اللواحق أو السوابق لا تزيد على سبعة مقاطع ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[3] . « أنلزمكموها » .

---

(١) المراد بالتجرد - هنا - : خلو الأفعال من الضمائر ، والأسماء من (ال) المعرفة .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ١١٥ و د. نجا : التجويد والأصوات ص ٢٩ ، ٣٠ و د. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٦٠ .

(٣) البقرة : ١٣٧ .

فمقاطع الكلمة الأولى هى : ف - س - يك - فى - ك - هـ - مل ·

ومقاطع الكلمة الثانية هى : أ - نل - ز - م - ك - مو - ها ·

وكل منهما - كما نرى - يشتمل على مقاطع مفتوحة ومقفولة وعدد المقاطع فى كل منهما سبعة ·

وهذا أقصى ما تصل إليه الكلمة العربية فى تأليفها المقطعى ·

ومع ذلك فهذا الصنف من الكلمات نادر فى العربية ·

الصور المقطعية التى ترد عليها الكلمات :

لقــاء العلة بالساكن - فى التركيب المقطعى - ينتج عددا هائلا من المقاطع - بالنظرة العقلية والرياضية المجردة - ولكن اللغات لا تستعمل ذلك الناتج كله ، بل تقتصر على بعض صوره ، والعربية هى الأخرى تسير على هذا المنوال فلا تستعمل إلا ما ينسجم مع طرائقها التى ارتضاها الذوق العربى والسليقة التى فطر عليها أصحابها ·

وعند استعراض الكلمات المؤلفة من هذه المقاطع نرى أن الصور كثيرة والمستعمل منها قليل ·

وقد أجريت إحصائيات لبيان تجمعات المقاطع فى العربية فتبين أن الكلمات ذات المقطعين تنتج ست عشرة صورة بالتحليل العقلى والمستعمل منها سبع صور فقط ، ولوحظ غلبة المقطع « س + ع + س » ويليه « س + ع » ·

أما الكلمات ذوات المقاطع الثلاثة فتنتج أربعا وستين صورة عقلية المستعمل منها نحو سبع عشرة[1] ·

ويذكر الدكتور أنيس أن أشكال النسج التى يمكن أن تتكون للكلمات ذوات المقاطع الثلاثة أو الأربعة ، ومن الأنواع الثلاثة الأولى للمقاطع تجاوز المائة فى حين أن المستعمل فعلا فى اللغة لا يكاد يجاوز ربع هذا العدد[2] ·

وتتوالى فى الكلمات العربية المقاطع المكونة من « س + ع ع » و « س +

---

(١) د · مختار : الصوت اللغوى ص ٢٦٢ ·

(٢) د · أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٦ ·

ع + س » وإن كانت تميل إلى التخلص من توالى النوع الأول ، أما توالى النوع المكون من « س + ع » فهو مقيد فى الكلام بعدد معين بحيث لا يزيد عليه[1] .

● أهمية الدراسة المقطعية :

تؤدى معرفة المقاطع فى لغة ما إلى الوقوف على طريقة نطقها « فإذا أريد تعلم إحدى اللغات نطقت كلماتها نطقا بطيئا ، مجزءا إلى مقاطع ، ثم يتدرج ذلك إلى السرعة العادية حتى يتقن المتعلم هذه اللغة بنطقها الصحيح[2] .

وعن طريق دراسة المقاطع يعرف نسج الكلمة فى لغة من اللغات[3] .

ففى العربية - مثلا - نستطيع معرفة ما ليس بعربى فما خالف النسج المألوف فيها فهو أعجمى ، كمقطع من النوع الثالث « س + ع + س » ومقطعين من النوع الثانى « س + ع »[4] مثل مهراجا وسرناجا[5] .

ويمكن - على أساسها - إدراك التفعيلات العروضية ، وطريقة تركيب الكلمات ، وقد أمكن الاستفادة منها فى تعليم الصم ، كما ثبت ذلك من التسجيلات الفونوغرافية فى مدرسة تعليم الصم بباريس[6] .

وقد أثر المقطع فى طرق الكتابة المستعملة فى بعض اللغات بما يدل على أهمية البحث فيه .

● إمكان تحديد المقطع :

حاول بعض الباحثين أن يقلل من قيمة الدراسة المقطعية ، وأن يضع العقبات فى طريقها زاعما أن الصعوبات تكتنف هذا الطريق ، وأن تحديد المقطع فى الكلام أمر مرهق ، اذ أن الوحدات الصوتية يتصل بعضها ببعض اتصالا لا

---

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٥ .

(٢) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٤٠ .

(٣) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٠٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٧ .

(٥) د. نجا : التجويد والأصوات ص ٣١ .

(٦) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٣٨ .

يسمح بوجود المقطع وهذا مبنى على عدم وضوح الحدود الفاصلة بين مقاطع الكلام فى بعض الأحيان ·

إلا أن الدراسة التحليلية والواقعية تشهد بوجود المقاطع فى اللغات فالنطق العادى الصادر من أى متكلم ، يقسم الكلمة والجمل إلى وحدات ، بما يشهد لوجود المقطع ·

وفصل مقاطع الكلمة بعضهـا عن بعض قد يكون أمرا سهلا ، كما فى « كتب » - « قاتل » ·

وإذا ما خفى - من حيث الظاهر - فإن الباحثين فيه قد وضعوا قواعد وأحكاما خاصة ، عن طريقها يمكن بيان حدود مقاطع الكلمات والفصل بينها فى كل لغة على حدة ·

فإذا وضع ساكن بين علتين ، على هذه الصورة « ع س ع » فاللغويون يختلفون فى نسبة الساكن إلى العلة الأولى ، أو الثانية ، فبعضهم يرى نسبته للعلة الأولى ، وبعضهم ينسبه للعلة الثانية ، وبعضهم يرى نسبته للعلتين معا ·

ومن ينسبه الى العلة الثانية يعتمد على أن « س ع » هو الشائع فى كل اللغات لا « ع س » ·

إلا أن الأحكام الخاصة باستعمال الكلمات قد تحكم هذا الأمر ·

فمثلا an aim(١) a name(٢) قد يبدوان بصورة نطقيـة واحدة ، إلا أن المفصل هو الـذى يحـكم عملية نسبة الساكن إلى العلة الأولى أو الثـانية فى (ana) ·

ففى الكلمة الأولى ينسب الساكن إلى العلة الأولى ، وفى الثانية ينسب إلى العلة الثانية حسب طبيعة الكلمات ، وتقسيمها الفنولوجى ·

ووقوع ساكنين بين علتين (ع س س ع) قد تكون له بعض الصور التى تجعل التقسيم المقطعى أمرا صعبا ·

---

(١) تسديد - تصويب - قصد - غرض - محاولة - دقة سلاح ما أو فعاليته ·

(٢) اسم ·

فمثلا nitrate[1] rate[2] night[3] يبدوان بصورة صوتية واحدة لكن التركيب اللغوى هو الذى يبين التقسيم المقطعى، ووضع الساكنين بين العلتين .

فالكلمة الأولى يلحق فيها الساكنان بالمقطع الثانى ni - trate والكلمة الثانية يلحق أحد الساكنين فيها بالمقطع الأول ، والثانى بالمقطع الثانى nait - rate[4].

ولهذا نظائر فى اللغة العربية .

ففى بعض القراءات القرآنية تتداخل الكلمات بحيث تكون عددا متكاملا من المقاطع حال النطق بها ، ولا يفصل بينها إلا معرفة المعنى .

فاذا التقى المثلان متحركين جاز الإدغام فى بعض القراءات[5]- بإسكان الأول وإدغامه فى الثانى - كما فى قوله تعالى: ﴿ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم ﴾[6] - ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[7]- ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾[8].

فالمقاطع « هب ب » - « كة ت » - « حيث ث » - بالإدغام - مقاطع مغلقة ، وقد ترتب عليها خلط أجزاء كلمتين بعضهما ببعض ، ومنشأ ذلك وقوع صوتين ساكنين بين علتين ، وقد نسبا إلى مقطع واحد نطقا ، لكن المعنى القائم على طبيعة التراكيب اللغوية يقتضى الفصل بينهما بجعل كل ساكن ينتسب إلى كلمة تختلف عن الأخرى ، فالباء ، والتاء ، والثاء الأخريات من

---

(١) نترات ملح - حامض النتريك أو الصوديوم أو البوتاسيوم ، وتستعمل فعلا بمعنى نيترت أى يعالج بحامض النتريك أو يمزج به .

(٢) درجة حالة سعر قيمة .   (٣) الليل .

(٤) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٢٥١ - ٢٥٤ بتصرف .

(٥) هى قراءة السوسى ومن تابعه من أهل الأداء . انظر : على محمد الضباع : شرح الشاطبية ص ٣٥ وما بعدها .   (٦) البقرة : ٢٠ .   (٧) الأنفال : ٧ .

(٨) سورة البقرة : ١٩١ ، ويسمى هذا بالإدغام الكبير وهو ما يلتقى فيه المثلان أو المتجانسان أو المتقاربان مع تحرك الحرف الأول . انظر : البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٢٢ ومحمد مكى : القول المفيد ص١٠٥،١٠٧،١١١ ، ومن ذلك الأمثلة التى ذكرها ابن جنى فى الخصائص١٢٧/٣جيب بكر - ثوب بكر ونحوهما ، وسيأتى بيان ذلك بعد .

كلمات « ذهب - الشوكة - حيث » والأوليات من كلمات « بسمعهم - تكون - ثقفتموهم » ·

ولو وازنا بين هذه القراءة ، وقراءة الفك لوجدنا أن صورة المقاطع مختلفة ، فهى مقاطع مفتوحة « ب ب - ت ت - ث ث » ·

وهذا الذى يحدث فى القراءات يجرى مثله فى بعض كلمات اللغة ، فلو وازنا بين قولنا « نوق عواسر »[1] وبين « الذئب عوى سر » لوجدنا شبها صوتيا بين « عواسر » و « عوى سر » ويحار الباحث فى صوت العلة « كسرة السين » هل يكون مع « السين » - التى هى صوت ساكن - مقطعا مفتوحا أو يشكل معها ومع الراء بعدها مقطعا مغلقا ؟

وفهم المعنى ، وطبيعة الكلمات هما اللذان يحددان ذلك ·

ففى قولنا : « نوق عواسر » تنضم الكسرة إلى السين ليتكون المقطع المفتوح وفى « الذئب عوى سر » تكون الكسرة مع السين والراء المقطع المغلق « سر » فالمقطع « سر » فى العبارة الأولى جزء من كلمة « عواسر » التى هى صفة لـ « نوق » على حين أنها فى « عوى سر » جزء من فعل الأمر « سر » وباختلاف المعنى والتركيب اللغوى للكلمات اختلف التقسيم المقطعى ·

ومثل ذلك قولهم : زاحم بعود أودع ، وقولهم : « طائر أودع »[2]·

فصوت العلة « الفتحة » - بعد الدال - تكون مقطعا مفتوحا فى الكلمة الثانية ، وتكون معها ومع العين مقطعا مغلقا فى الكلمة الأولى ·

وتتوقف نسبة صوت العلة إلى الساكن السابق لها أو إليه وإلى الساكن بعدها على السياق ·

فمعنى المثل المذكور : زاحم بقوة أو فاترك ذلك - كما يرى ابن جنى - أو استعن فى أمورك المهمة - كالحرب أو غيرها - بذوى الخبرة من كبار السن

---

(١) عسرت الناقة تعسرا وهى عاسر وعاسرة : رفعت ذنبها فى عدوها · ابن منظور : اللسان ٦/٢٤١ ، ٢٤٢ ·

(٢) العود : الجمل الكبير المسن المدرب ويقال عود الرجل تعويدا إذا أسن ، وطائر أودع : تحت حنكه بياض · ابن منظور : اللسان ٤/٣١٦ ، ١٠/٢٦٧ ·

أو لا تعرض نفسك لمثل هذه الأمور[1] ومن هنا يتبين انتساب الفتحة إلى الدال والعين معا لتكون جميعا مقطعا مغلقا (دع) والكلمة إذا فعل أمر كما يقتضى المعنى ، ولا يجوز نسبتها إلى الدال وحدها على اعتبار « أودع » صفة لـ« عود » فهذا محض توهم لاختلاف المعنى كما ذكر ابن جنى .

أما فى العبارة الثانية فإن المعنى يقتضى نسبة العلة (الفتحة) إلى الدال وحدها فى كلمة (أودع) لتكون مقطعا مفتوحا هو (د) يليه مقطع آخر مفتوح هو (ع) .

وعلى هذا فما لم يفهم المعنى القائم على أساسه التقسيم المقطعى لا تتضح حدود الكلمات « أوائلها ونهاياتها » .

ويمكن أن نعثر على تعبيرات عربية - غير ما ذكرناه - تتوقف معرفة حدود الكلمات فيها على المعانى ويعمل المد والجزر عمله فى إضافة أجزاء إلى كلمة أو حذفها منها ، وضمها إلى صاحبتها أو استقلالها عنها .

فتعبير « بين الطخا فالعصائب » فى قول الشاعر :

خليلى لا يبقى على الدهر فادر   بتيهورة بين الطخا فالعصائب[2]

يحتمل وجهين - حسب المراد .

فإذا نطقت العبارة « الطخا فالعصائب » فهما موضعان والفاء عاطفة وحركتها الضمة .

وإذا نطقت « الطخاف العصائب » فالمراد من اللفظ الأول نوع من السحاب ومن الثانى نوع من الغيم ، والفاء مع حركتها « الكسرة حينئذ » تعدان جزءا أساسيا فى بناء الكلمة الأولى .

(١) ابن جنى : الخصائص ٣/١٦٩ وابن منظور : اللسان ٤/٣١٦ .

(٢) الفادر : الوعل العاقل فى الجبل أو المسن العظيم - التيهورة : الرمل المشرف أو ما بين قمة الجبل وأسفله أو ما بين أعلى شفير الوادى وأسفله ، والطخا والعصائب : موضعان وقيل العصائب : غيم أحمر تراه فى الأفق الغربى والطخاف : السحاب المرتفع الرقيق انظر ابن منظور اللسان ٢/ ٩٥ ، ٥/١٦٣، ٦/٣٥٦، ١١/١١٥ ، ١١٦ وابن جنى الخصائص ٣/١٦٨ .

وعلى ذلك كلمة « هاما » فى قول الشاعر :

نفلق ها من لم تنله سيوفنا بإيماننا هام الملوك القماقم

« فالمراد : « ها » « من » فها تنبيه ، و « من لم تنله سيوفنا » نداء : أى : يا من لم تنله سيوفنا خفنا فإنا من عادتنا أن نفلق بسيوفنا هام الملوك فكيف من سواهم » .

ومثله قول الآخر :

فملك بالليط الـذى تحت قشرها كغرقىء بيض كنه القبض من عل[1]

قال الأصمعى « ملك إنه من الملك وهو التشديد ، وقال ابن الأعرابى : أراد من لك بهذا الليط[2].

وواضح هنا أن جعل المنطوق به فى اللفظ السابق كلمة واحدة أو كلمتين يقوم على أساس المعنى ولابن جنى فى هذا الصدد حديث طريف ذكره فى كتابه الخصـائص فى فصل له بعنوان « بـاب فى توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين » « فالكلمة ليست فى الحقيقة إلا جزءا من الكلام ، تتكون عادة من مقطع واحد ، أو عدة مقاطع ، وثيقة الاتصال بعضها ببعض ، ولا تكاد تنفصم فى أثناء النطق ، بل تظل مميزة ، واضحة السمع ويساعد - بلاشك - على تمييز تلك المجاميع معانيها المستقلة فى كل لغة »[3].

وعلى هذا فالسياق وطبيعة البنية ونحوهما من الظواهر اللغوية كفيلة ببيان المعانى ، وتحديد أوائل الكلمات وأواخرها ، ومقاطعها .

* * *

(١) يقال للعجين إذا كان متماسكا متينا مملوك ، وملك كما نَملك المرأة العجين : تشد عجنه - الليط : القشر ، الغرقىء : القشرة الملتزقة ببياض البيض ، والقبض : القشرة العليا اليابسة ، والبيت لأوس بن حجر يصف قوسا بأنه ترك عليها شيئا من القشر تتمالك به لئلا يبدو قلب القوس فيتشقق وهذا أدعى لقوتها - ويروى فمن لك ؟ إلا أن الأول أجود انظر : ابن منظور : اللسان ١٢/ ٣٨٥ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٦٤ - ١٧٣ وقد اقتبسنا منه هذه الأمثلة .

(٣) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١١ ، ١١٢ .

النبر والتنغيم

النبر

هو : الضغط على مقطع معين من الكلمة ، ليصبح أوضح فى النطق من غيره لدى السمع .

يقول كانتنيو : « النبرة هى إشباع مقطع من المقاطع ، بأن تقوى إما ارتفاعه الموسيقى ، أو شدته ، أو مداه ، أو عدة عناصر من هذه العناصر فى نفس الوقت ، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر فى المقاطع المجاورة »(١).

وهذا المعنى الذى عرف حديثا ، له جذوره المعجمية .

فالنبر - عند العرب - ارتفاع الصوت ، يقال : نبر الرجل نبرة ، إذا تكلم بكلمة فيها علو ، ونبرة المغنى : رفع صوته عن خفض ، والمنبر : مرقاه الخاطب ، سمى بذلك لارتفاعه وعلوه(٢).

والنبر : مصدر نبر الحرف ينبره نبرا : همزه(٣) ، والنبر بالكلام : الهمز ، والهمز : مثل الغمز والضغط ، ومنه الهمز فى الكلام ، لأنه يضغط وقد همزت الحرف فانهمز(٤).

ويقول سيبويه - عن الهمزة - إنها : نبرة من الصدر تخرج باجتهاد(٥).

وكأن المحدثين لم يزيدوا على القدماء فى تصور فكرة النبر أكثر من تنظيمه ، وتخصيصه بالمقطع(٦).

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩٤ ، ويشير هذا التعريف إلى أشكال النبر : نبر موسيقى « النبر المقطعى العادى » - نبر توتر « نبر الهمز مثل شأبة ودابة ولا الضالين » - نبر طول « هو الناشىء عن إطالة صوت المد » .

(٢) ابن منظور : اللسان ٧/ ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ٧/ ٣٩ .

(٤) المصدر السابق ٧/ ٢٩٣ .

(٥) سيبويه : الكتاب ٣/ ٥٤٨ .

(٦) د. شاهين : القراءات القرآنية ص ٢٥ .

ويقابل المصطلح العربى للنبر مصطلح انجليزى هو strees وفرنسى هو accent (١) .

والنبر يستلزم جهدا زائدا يبذل من أعضاء النطق بأسرها من الرئتين والوترين ، والحلق واللسان ، والشفتين ، فيصحب المقطع المنبور هذا الجهد الزائد فيعطيه قوة فى الوضوح والظهور أكثر من المقاطع المجاورة له فى الكلمة ، أما المقطع غير المنبور فيفتر معه نشاط هذه الأعضاء حتى يقل وضوحه فى السمع ولذا فإن المنبور يكون أطول من سواه فى الكلمة ، وأكثر تصويتا .

* * *

وظيفة النبر فى اللغات

لا تخلو أية لغة من النبر ، فكل متحدث - بلغة ما - يضغط على بعض المقاطع فيها ، وإنما الاختلاف بينهما فى استخدامه فونيمـا يغير الصيغ أو المعانى ، أو عدم تأثيره فيهما .

(أ) نبر الكلمة :

فالنبر فى الكلمة يلعب دورا تمييزيا - فى بعض اللغات - فيفرق بين الصيغ ، أو المعانى فيها ، بحيث لا يفهم المراد إلا بوجوده .

ومن هذا الصنف اللغات الهند وأوربية القديمة ، ففيها تميز النبرة بين الصيغ النحوية ، أو بين الكلمات ، وذلك بحسب مكان وقوعها منها أو بحسب جنسها ، ولذلك عالج النحاة الهنود ، واليونانيون ، واللاتينيون مسألة نبرة الكلمة الموسيقية ، وتحديد مكانها .

واللغة الأنجليزية من هذا القبيل ، فالنبر فيها يحدد صيغة الكلمة فعلا أو اسما ، فكلمة import(٢) إذا نبر المقطع الأول كانت اسما ، وإذا نبر المقطع الثانى كانت فعلا ، ومثلها torment(٣) و augment(٤) فلا يفرق بينها حين تستعمل فعلا أو اسما إلا اختلاف النبر .

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص١٩٥ .

(٢) يعنى - معنى - مهم - يستورد - استيراد - يفيد معنى - إفادة الخ .

(٣) يعذب - عذاب - يبهج بهيج - يقلق قلق - يحرف النصوص الخ .

(٤) يزيد - زيادة - يزداد - ازدياد .

كما يفرق النبر فيها بين المعانى ، ومن ذلك كلمة august إذا نبر المقطع الأول فهى بمعنى (شهر أغسطس أو علم شخص) وإذا نبر المقطع الثانى فهى بمعنى (مهيب أو جليل) .

بيد أن معظم الكلمات الانجليزية لا يؤدى اختلاف نبر المقاطع فيها إلى تغير فى معناها كما فى كلمة pillow[١] ، فالنبر فيها يقع على المقطع الأول وكلمة polite[٢] يقع فيها على المقطع الثانى[٣].

ولو أن موضع النبر فيها غير - كما يحدث عند من ينطقها من غير الانجليز - لم يتغير المعنى .

فالفرنسيون يضغطون على المقاطع الأخيرة من الكلمات الانجليزية التى ينطقونها فتنفر الأذن الانجليزية من هذا النطق الذى تشوبه لهجة أجنبية ، قد تؤدى إلى اضطراب الفهم[٤] .

والنبر - فى هذا النوع من اللغات - يسمى (النبر الحر) حيث لا تتبع تلك اللغات طريقة واحدة للنبر ، أو تحدد مكانا معينا له .

وتسمى - أيضا - (لغات نبرية) لما للنبر فيها من أثر واضح

ومن اللغات ذوات النبر الحر الروسية .

وهناك لغات لا تأثير للنبر فيها على الصيغ أو المعانى والنبر فيها ثابت على مقطع معين ، كالفنلندية ، والتشيكية - فالنبر فيهما على المقطع الأول - والبولندية ، والفرنسية - النبر فيهما على المقطع الأخير .

وتسمى تلك اللغات (لغات غير نبرية)[٥] .

وللنبر معنى ثانوى - فى كل اللغات تقريبا - هو التأكيد أو الدلالة على الانفعال .

---

(١) يوسد - وسادة - يريح على وسادة - يتوسد - يستلقى على وسادة .

(٢) لطيف - مهذب - رفيع - كيس .

(٣) د مختار : الصوت اللغوى ص ١٨٩ .

(٤) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ١١٩ .

(٥) د . مختار : الصوت اللغوى ص١٨٨ ، ١٨٩ .

واللغة العربية تستخدم النبر ، لكن ليس له أثر تمييزى فيها ، ولذا سكت النحاة العرب عنه[1] .

ويتوقع بعض الباحثين أن فى العربية أمثلة للنبر الذى يفرق بين المعانى ، مما يشير إلى أن العرب القدامى استخدموه فى هذا التفريق .

ومما ساقه فى ذلك :

١ - **كريم الخلق - كريمو الخلق** : فلعل التمييز بين المفرد والجمع كان بالنبر فالنبر على المقطع الأول للدلالة على المفرد ، وعلى المقطع الثانى للدلالة عى الجمع .

٢ - **ليلى - ليلاء** : فالتفريق بينهما - عند من لا يهمز من العرب - كان على طريق النبر[2] .

مواضع النبر فى الكلمة العربية :

لا ندرى كيف كان العرب ينبرون الكلمات إذ ليس لدينا تسجيل لهذه الظاهرة ولا ندرى بالتأكيد موضع النبر فى العربية الفصحى .

ولما كانت القراءات القرآنية المعاصرة - على لسان القراء - ممثلة - إلى حد كبير - للنطق العربى الفصيح الذى تناقلته الأمة العربية جيلا بعد جيل - استنبطت - على هديها - مواضع النبر فى العربية القديمة ، وهو ما ينطبق على العربية الفصحى المعاصرة[3] .

وقد حددت مواضع النبر فيها كما يلى :

١ - النبر على المقطع الأول :

إذا توالت ثلاثة مقاطع متماثلة - من النوع المفتوح القصير مثل مقاطع :

---

(١) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩٥ و د . أنيس : الأصوات اللغوية ص١٢٢ .

(٢) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٣١٠ .

(٣) د . نجا : التجويد والأصوات ص٧٩ و د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢٠ ود . مختار الصوت اللغوى ص ٣٠٨ .

سلم - رحم - عزم - غمر - فالمنبور هو : س - ر - ع - غ - وهى المقاطع الأولى من تلك الكلمات .

أو كانت تشتمل على أكثر من ثلاثة مقاطع ، إلا أن الثلاثة الأولى من النوع المفتوح القصير مثل مقاطع (رقبة - عقبة - ثمرة)فالمنبور هو : ر - ع - ث - وهى أولى الكلمات السابقة .

وكذا إذا كانت الكلمة كلها مقطعا واحدا (أحادية المقاطع) كالكلمات الآتية - حال الوقف - : (بأس - نار - صم) .

فالكلمة الأولى من النوع الخامس (س + ع + س + س) .

والثانية من النوع الرابع (س + ع ع + س) .

والثالثة من النوع الثالث (س + ع + س)[1] والنبر يقع على كل منها كاملة إذ هى مقطع واحد .

٢ - النبر على المقطع الأخير :

إذا كان هــذا المقطع من النوع الرابـع (س + ع ع + س) أو الخامـس (س + ع + س + س) وذلـك حـال الوقـف على مثـل : (نستعين) ، و(المستقر) فالمنبور هو (عين) - (قر) وهو المقطع الأخير من كل من الكلمتين .

٣ - النبر على المقطع الذى قبل الأخير :

إذا لم يكن المقطع الأخير من النوعين السابقين ، ولم تتوال فى الكلمة ثلاثة مقاطع من نوع واحد (هو المفتوح القصير) .

ويكثر نبر المقطع الذى قبل الأخير .

ومن أمثلته : (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) فكل كلمة فى هذه العبارة وقع النبر فيها على المقطع الذى قبل الأخير ، وهو - على الترتيب :(ان) - (خا) - (ل) - « لو » .

٤ - النبر على المقطع الذى يسبق ما قبل الأخير :

---

(١) د مختار : الصوت اللغوى ص ٣٠٩ .

فى حالات منها :

(أ) إذا كان المقطع الذى قبل الأخير من النوع الأول ، وسبق بنظير له من النوع الأول أيضا (المفتوح القصير) ، مثل : ازدهر ابتكر - انكسر - فالنبر فيها على : د - ت - كـ - وهى المقاطع السابقة لما قبل الأخير .

(ب) اذا كان المقطع الأخير من النوع الثالث ، والذى قبل الأخير من النوع الأول (المفتوح القصير) مثل : ركبك - سلمك - قدمك حال الوقف عليها - فالنبر فيها على : ركـ - سل - قد - وهى تعد سابقة للمقطع الذى قبل الأخير .

(جـ) إذا كان المقطع الأخير من النوع المفتوح الطويل ، والذى قبله من المفتوح القصير مثل : قدموا - بكروا - أكرموا - أعلموا - فالنبر فيها على المقطع الذى يسبق ما قبل الأخير - وهو الأول : قد - بكـ - أكـ - أعـ[1].

ويذكر بعض المستشرقين الأوربيين مثل : كرشتن Kirsten واربانيوس Erpenius - اعتمادا على ما سمعوه من المثقفين المصريين فى أوائل القرن التاسع عشر ، وهو يمثل العربية الفصحى الحديثة[2] أو المعاصرة - إن النبر يقع على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها وإذا خلت من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها ، ثم إن النبرة لا تقع ألبتة على المقاطع الطويلة الآخرة ، وذلك نحو (يقاتلوا)[3]و(قاتل) و(لم يقاتلوا) - النبرة على (قا)[4].

ويبدو أن كانتنيو صاغ هذه القاعدة فى وصف نبر الكلمة فى الكلام المتصل ، مع أن للكلام حالتين - الوصل والوقف ، ولذا كانت النظرة الأولى أشمل وأدق[5].

* * *

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٣٠٩ .

(٢) د. شاهين : القراءات القرآنية ص ٢٧ .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٥) د. شاهين : القراءات القرآنية ص ٢٧ .

انتقال النبر

ينتقل النبر من مقطع إلى آخر فى الكلمات العربية ، وتدعو إلى ذلك أسباب موقعية وتركيبية ، نذكر أهمها :

١ - **الاشتقاق** : فقد يكون النبر على مقطع فى كلمة مأخوذة من مادة لغوية معينة ، كالفعل الماضى « نفر » للقتال ، فالنبر فيه يقع على المقطع الأول « ن » لتوالى ثلاثة مقاطع من نوع واحد ، وعند صياغة المضارع - من المادة نفسها - « ينفر » يقع النبر على المقطع الذى قبل الأخير وهو « ف » لانطباق القاعدة الخاصة بنبره فى هذا الموقع ٠

ومثل ذلك المصدر « انتصار » - مثلا - يقع النبر فيه على المقطع الذى قبل الأخير « صا » فإذا جىء منه بالفعل الماضى انتصر ، وقع النبر فيه على المقطع الثانى - وهو الذى يسبق ما قبل الأخير « ت » ٠

ويجعل الدكتور أنيس ذلك النوع من النبر الاشتقاقى أحد العوامل المؤثرة فى سقوط حركات الإعراب فى العامية ،فالنبر فى مثل « يكتب » و« مستفهم » - بالنطق الفصيح - على « ت » و « هـ » ولكن (حدث فى لهجات الكلام أن انتقل النبر إلى المقطع الذى قبله (يكـ) و (تفـ) ٠ وترتب على هذا الانتقال أن تخلصت الكلمات من أواخرها وبذلك سقطت حركات الإعراب[1] ٠

٢ - **إسناد الفعل إلى الضمائر** :

ففى بعض صور إسناد الفعل الماضى إلى ضمائر الرفع المتحركة ينتقل النبر من مكانه الذى كان فيه قبل الإسناد ٠

فالفعل الماضى (نفر) - يقع النبر فيه على المقطع الأول (ن) وعند إسناده إلى ضمير المتكلم ، أو المتكلمين والمخاطب أو المخاطبين - مثلا - يصير (نفرت - نفرنا) - (نفرت - نفرتم) فنلاحظ - حينئذ تحول النبر إلى المقطع (فر) وهو المقطع الذى قبل الأخير ٠

ويلاحظ أن إسناد الفعل الماضى إلى ضمائر الرفع الساكنة - كألف الاثنين

---

(١) د٠ أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٨٦ ٠

وواو الجماعة - لا يغير من موضع النبر ، فإذا قلنا (المقاتلان نفرا) أو (المقاتلون نفروا للجهاد) بقى النبر فى الفعلين (نفرا) و (نفروا) على المقطع الأول لتوالى ثلاثة مقاطع متماثلة .

٣ - جزم المضارع :

يتغير مكان النبر حسب رفع الفعل المضارع وجزمه ، فإذا قلنا مثلا - (ينهض الطائر) فالنبر فى المضارع (ينهض) على المقطع الذى قبل الأخير (هـ) - كما علمنا من القاعدة الخاصة بذلك - فإذا جزم كقولنا (لم ينهض) تغير نوع المقاطع التى يشتمل عليها فأصبح مكونا من مقطعين من النوع الثالث ، ولذا يقع النبر فيه على المقطع الأول وهو (ين)[1].

(ب) نبر الجمل :

يقوم هذا النوع من النبر على الضغط على كلمة معينة ، فى إحدى الجمل المنطوقة ، لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجملة ، وذلك ، للاهتمام بهذه الكلمة ، أو التأكيد عليها ، ونفى الشك عنها من المتكلم أو السامع .

وهذا السلوك اللغوى شائع فى كثير من اللغات ، ومنها العربية .

فإذا سأل رجل صاحبه قائلا : هل صليت الفجر فى المسجد الحرام ؟

وأبرز كلمة معينة بأن أوضحها صوتيا أكثر من غيرها فى الجملة كان ذلك دليلا على غرض مقصود ، فقد يكون الاهتمام الذى علق بذهن المتكلم متجها إلى الصلاة فى ذاتها ، وقد يكون متجها إلى صلاة الفجر عينها أو إلى ارتباطها بالمسجد الحرام بوقوع صلاة صاحبه فيه .

وقد يكون المتكلم مسلما بكل ذلك إلا أنه يشك فى زمن حدوث صلاة صاحبه وهو (أمس) .

وبناء على إمكان اختلاف المراد بذلك ، يميز النبر المعنى ، كما يريده المتكلم .

وهكذا لو قال الرجل لصاحبه :(صليت الفجر فى المسجد الحرام أمس) ناسبا ذلك إلى نفسه ، وكان الصاحب يشك فى مضمون كلمة معينة فى الجملة ، فإن المتكلم يؤكد له صحة هذا المضمون بنبرها .

---

(١) انظر فى تفصيل ذلك : د. نجا : التجويد والأصوات ص ٧١ ، ٧٢ ود. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

وهذا النوع من النبر يحدث فى الأساليب العربية ، والمواقف الكلامية ، كثيرا سواء فى ذلك الفصيح والعامى ، كما هو ملموس فى أحاديثنا .

وليس المراد بنبر الكلمة أن الضغط يقع عليها كلها ، بل اتباع المنهج الصوتى السابق للنبر ، وهو إبراز أحد مقاطعها حسب القواعد المألوفة للنبر فى اللغة المستعملة فى الكلام[1].

* * *

النبر فى اللهجات الدارجة

لا ريب أن النبر يتطور من وقت لآخر ، ولذا وجدنا اللهجات الدارجة تستعمله استعمالات جديدة ، وتختلف فيما بينهما ، ولعل لها قواعدها التى تحكمها وتتوقف معرفتها على دراسته فى كل منها دراسة موضوعية .

وقد ألقى بعض المحدثين الضوء على أمثلة منها لاستنباط القاعدة التى تحكم النبر فيها فمن هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس الذى قارن بين مواقع النبر فى لهجة الصعيد ، ولهجة القاهرة ، والوجه البحرى ، فى أمثلة معينة ، منها كلمتا (ربنا) و(عملهم) فقرر أن الصعيدى ينبر المقطع (رب) والمقطع (م) على حين أن القاهريين وسكان الوجه البحرى ينبرون المقطع (ب) والمقطع (ع) .

فالصعيدى ينتقل بالضغط - فورا - إلى المقطع الثالث إذا كانت الكلمة غير مختتمة بمقطع من النوعين الرابع والخامس ، وكان مقطعها الذى قبل الأخير من النوع الأول .

ولكن القـاهرى يشترط لذلك أن يتفق المقطعان (ما قبل الأخير وما يسبقه) فى كونهما من النوع الأول[2].

وكلمة (كتب) ينبر القاهريون منها المقطع الأول ، ومثلها (مطر) على حين نلاحظ فى بعض البلاد العربية من ينبر المقطع الثانى ، وذلك لأن لهجاتهم تعمد إلى تسكين أول هاتين الكلمتين ، وأشباههما فهما فيها (كتب) - « مطر »[3].

---

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢٣ .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٣) كانتنيو : علم أصوات العربية ص ١٩٣ .

ويقول كانتنيو : « إن نبرة الكلمة ضعيفة فى أكثر اللهجات الدارجة العربية ، وليس لدينا برهان قاطع البتة على أن موقعها من الكلمة موقع قار ، فالإنسان يشعر بوجود نبرة جملة أكثر مما يشعر بوجود نبرة كلمة »[1] .

* * *

التنغيم Inonation

هو - كما يقول أستاذنا نجا - « ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظرف المؤدى فيه ، أو تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقولة فيه »[2] .

ويكون هذا التنويع على مستوى الكلمة ، كما يكون - أيضا - على مستوى الجملة أو العبارة[3] .

فالنوع الأول يعنى : اختلاف درجات الصوت فى الكلمة الواحدة « فالأصوات التى يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف فى درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها[4] .

ويسمى ذلك « تون » Tone .

وهذا النوع يستعمل فى بعض اللغات للتفريق بين المعانى كالصينية والنرويجية ، والسويدية ، وبعض لغات جنوب إفريقيا ، وشرقى آسيا وبعض اللغات الهندية الأمريكية .

مثال ذلك فى الصينية كلمة: « فان » فإنها تؤدى ستة معان حسب توالى درجات الصوت بالنغمة الموسيقية هى : « نوم - يحرق - شجاع - واجب - يقسم - مسحوق »[5] .

وفى بعض اللهجات الصينية : التتابع (Ta) يمكن أن يمثل أربع كلمات

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٥ .

(٢) د . نجا : التجويد والأصوات ص ٨٥ .

(٣) د . مختار : الصوت اللغوى ص ١٩١ .

(٤) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٢٤ و د . نجا : التجويد والأصوات ص ٧٨ .

مختلفة تبعا للنغمة التي ينطق بها ، هي : يرفع - يتخلل - يضرب - يصدم » .

وفي لغة Mixteco كلمة Zuru إذا نطقت بنغمتين مستويتين متوسطتين فتعني « جبل » وبنغمة مستوية بالإضافة إلى نغمة منخفضة فتعني « فرشاة »(١).

وفي اللغة العربية صور من هذا التنغيم الذي تختلف بحسبه المعاني ، فكلمة « ليل » تدل بنطق خاص على مجرد الظلام ، وبنطق آخر تدل على طوله ، فقد دلل ابن جني على أن طول الضغط على المقطع الأول « ليـ » يشير إلى طول الليل يقول : وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل وهم يريدون : ليل طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القائل من التطويح ، والتطريح ، والتفخيم ، والتعظيم ما يقوم مقام قوله : ليل طويل ، أو نحو ذلك ، وأنت تحس هذا من نفسك ، إذا تأملته » .

وكذلك كلمة « إنسان » : فبنطق خاص تدل دلالة عامة على هذا المخلوق ، فإذا أطيل النطق بالقطع الذي قبل الأخير ، دل دلالة خاصة على الإنسان الفاضل ، أو الكامل في صفاته ، وبطريقة أخرى من النطق تدل على ذمه .

يقول ابن جني : « وكذلك تقول : سألنا فوجدناه إنسانا ، وتمكن الصوت بإنسان ، وتفخمه ، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك ، وكذلك إن ذممته ، ووصفته بالضيق : قلت : سألناه وكان إنسانا ، وتزوي وجهك وتقطبه ، فيغني ذلك عن قولك : إنسانا لئيما أو لحزا(٢)، أو مبخلا(٣)، أو نحو ذلك(٤).

---

(١) د. مختار : الصوت اللغوي ص ١٩٢ .

(٢) بفتح اللام وكسر الحاء .

(٣) بضم الميم وفتح الباء وتشديد الخاء مفتوحة .

(٤) ابن جني : الخصائص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

وقد يراد من نبر الكلمة فى العربية تذكر ما بعدها مما عسى أن يكون المتكلم قد نسيه أو غاب عن ذهنه ، وقد عقد ابن جنى لذلك بابا فى مطل الحروف[1] وذكر فيه أن أصوات اللين طويلة ، وقصيرة تمطل ، كما تمطل الحروف الصحيحة ، وسمى ذلك باسم همزة التذكر[2].

فمن أمثلة العلل الطويلة أنك تمطل نحو (أخواك ضربا) إذا كنت متذكرا للمفعول به أو الظرف أو نحو ذلك ، أى ضربا زيدا ، ونحوه وكذلك تمطل الواو إذا تذكرت فى نحو : ضربوا ، إذا كنت تتذكر المفعـول ، أو الظرف ، أو نحو ذلك ، أى ضربوا زيدا ، أو ضربوا يوم الجمعة ، أو ضربوا قياما ، فتتذكر الحال . وكذلك الياء فى نحو (اضربى) أى اضربى زيدا ونحوه .

فلما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تال للأول منوط به ، معقود ما قبله على تضمنه ، وخلطه بجملته[3].

ومن أمثلة مطل العلل القصيرة قولهم - عند التذكير - مع الفتحة فى قمت : قمنا أى قمت يوم الجمعة - ونحو ذلك : ومع الكسرة : أنتى ، أى : أنت عاقلة ، ونحو ذلك ، ومع الضمة قمتو فى (قمت إلى زيد) ونحو ذلك[4].

وتقول فى أشباه العلل نحو : أى وكى : قد فعل كذا أيى وكيى معناه أنه كان كذا[5].

ومن العرب من يقرأ (اشتروا الضلالة) - بضم الواو - ومنهم من يكسرها فيقول : (اشتروِا الضلالة) ومنهم من يفتحها فيقول : (اشتروَا الضـلالة) فإن مطلت متذكرا قلت - على الضم - (اشتروُوا) وعلى من كسر : (اشتروِى) وعلى من فتح : اشتروا[6].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٣٣٧ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق ٣/ ١٣٠ .

(٥) المصدر السابق ٣/ ١٣١ .

(٦) المصدر السابق ٣/ ١٣٢ .

ومن أمثلة مطل الحروف الصحاح قولك فى (قد قام) ونحوه إلا أنك تشك أو تتلوم لرأى تراه من ترك المبادرة بما بعد ذلك : قدى ، وفى (نعم) : نعمى ، أى : نعم قد كان ، أو نعم هو هو ، أو نحوه مما تستذكر أو تراخى بذكره[1].

ومن كان من لغته أن يفتح ، أو يضم لالتقاء الساكنين فقياس قوله أن يفتح ، أو يضم ، عند التذكر ، فيقول - فيما روى عن قطرب - قم الليل - بع الثوب - (بفتح ميم قم وعين بع) : قما ، وبعا[2].

« ولا شك أن مثل هذا الهمز التذكرى ليس إلا من قبيل التنغيم ، أو النبر الموسيقى »[3].

وهذا - كما ترى - ينبىء عن أغراض كثيرة ، كالتقرير ، أو التعجب ، أو أن مزيدا من الكلام سيأتى[4].

وقد يستعمل هذا التنوع الموسيقى دون ملاحظة التفريق بين المعانى فى كثير من كلمات اللغة .

ويأخذ التون أشكالا مختلفة ، صعودا ، وهبوطا ، أو يتكون من الصعود والهبوط معا .

أما تنغيم العبارات فهو - كما ذكرنا - عبارة عما يلاحظ من التنوعات الموسيقية فى الكلام .

وهو يرتكز على ما للمتكلم من قدرة على التحكم فى عضلات نطقه ، ويتدخل فى طبيعة النطق والتنغيم موقف الكلام ، وحالة المتكلم النفسية وطبيعة المخاطبين والبيئة التى يلقى فيها الكلام وغير ذلك من الظروف المحيطة .

فموقف الخطابة الدينية يختلف عن موقف التهنئة ، وكلاهما يختلف

---

(١) ابن جنى : الخصائص ٣/ ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٣١ .

(٣) د. شاهين : القراءات القرآنية ص ٢٢ .

(٤) د. مختار : الصوت اللغوى ص ١٩٣ .

عن موقف الرثاء والظروف المحيطة بكل تختلف ولكل أسلوبه ، وطرائقه فى نطق العبارات ونبراتها الصوتية ·

كما أن حالة المتكلم ، وعواطفه ، من مودة أو كراهية ، وتقدير أو احتقار ، وصدق أو كذب ، ونحو ذلك لها آثارها فى التعبير ، وموسيقى الكلام ، وهذا ملموس فى المواقف المتعددة ، وظروفها ، وملابساتها ·

وفى كل ذلك تعبير عن اختلاف المشاعر ، ومقتضيات الأحوال وتغير الجمل ، من الاستفهام إلى التأكيد ، إلى الانفعال ، إلى التعجب ، وما شاكل ذلك ·

ولكل لغة - من حيث التنغيم ومواقعه وظروفه - نظامها الخاص ولهذا يجب على متعلم اللغة الوقوف على هذه الجوانب حتى لا يفقد تركيبها اللغوى طبيعته الخاصة به ·

ونلاحظ ذلك واضحا فى العاميات العربية ، وهو يمثل اتجاهات اللهجات المختلفة فى البلاد العربية كالمصرية ، والعراقية ، والسورية ، والمغربية ، والسودانية ، والسعودية ، واللبنانية ، وغيرها ولتنوع ذلك وتعدده فيها يتعذر وضع نظام خاص لطرائق التنغيم فى العربية المعاصرة ، ولهجاتها ·

ففى العامية المصرية يستخدم التنغيم للدلالة على الإثبات والنفى ·

فعبارة (أنت عالم) يمكن أن تتشكل فى النطق العامى بصور صوتية تدل على مراد المتكلم ·

فبنغمة ذات نبرات صوتية واثقة تدل على إثبات العلم للمخاطب وبنغمة أخرى تهكمية تنفى العلم عنه ·

كما يستخدم التنغيم - فى أسلوب آخر - ليدل على الإخبار أو الاستفهام ·

فإذا قيل لإنسان (انتفعت بالعلم) - فى العامية - يمكن - بنغمة خاصة هادئة - الدلالة على إعلام المخاطب بانتفاعه بالعلم ، وبنغمة أخرى ذات نبرات انفعالية تفيد هذه العبارة سؤالا للمخاطب عن مدى انتفاعه بالعلم ·

ويشترك فى بيان المراد بالتنغيم حركات وإشارات وانفعالات تبدو فى تصرفات المتكلم ، وعلى قسمات وجهه ، وكذلك ظروف الاستعمال اللغوى لهذه الجمل والمواقف الكلامية التى تدور فيها .

وهذا معلوم للناطقين باللهجة المصرية .

وبذلك اختفت منها بعض أدوات النفى والاستفهام ، وحل محلها التنغيم ليؤدى مؤادها .

ولا يزال أمر التنغيم غامضا فى العربية ، ويحتاج إلى جهد الموسيقيين(١) وعلماء اللغة .

٢ - أثر تجاور الأصوات

لتجاور الأصوات فى اللغة مظهران يدعو كل منهما إلى الانسجام الصوتى ، أحدهما يسمى المماثلة ، والآخر يسمى المخالفة .

(أ) المماثلة :

من الطبيعى فى كل لغة أن تأتلف الأصوات المفردة فى مجموعات من المقاطع الصوتية لتؤلف الكلمات التى تتكون منها الجمل والعبارات .

ولا ريب أن عملية الاقتصاد فى الجهد العضلى هدف مقصود للناطقين باللغة فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجا وصفة سهل نطقها وتحققت لها السلاسة والانسجام فلا يتناول التغير شيئا منها ، أما إذا كانت متنافرة فى ذلك فإن جهاز النطق يتعثر فى التفوه بها ، وهنا يلزم نوع من التغير فى بعض تلك الأصوات ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور .

فإذا كان النطق بالمتجاورين أمرا صعبا يستلزم جهدا كبيرا لجأ صاحب اللغة إلى الطريق المؤدية إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه صوتيا ، ويسمى ذلك بالمماثلة ، (وهذه ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصفة عامة ، غير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثر وفى نوعه)(٢).

---

(١) د. نجا : التجويد والأصوات ص ٩٥ و د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢٤ .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٢٦ .

وإذا تجاور صوتان وتأثر أحدهما بالثانى أطلق العلماء على هذا التأثر أحد اصطلاحين هما : (التأثر الرجعى والتأثر التقدمى) .

فتأثر الصوت الأول بالثانى يسمونه (التأثر الرجعى) .

وتأثر الثانى بالأول يسمونه (التأثر التقدمى) .

وهذان النوعان واقعان فى اللغة العربية[1] بيد أن بعض الباحثين يشير إلى أن الشائع فيها هو النوع الأول[2].

ومن أوضح الأمثلة على ذلك صيغة (افتعل) مما فاؤه أحد أصوات الاطباق (ص - ض - ط - ظ) أو (د - ذ - ز) أو « و - ى » .

فإذا أخذت هذه الصيغة مما فاؤه أحد أصوات الاطباق مثل (صرع - صنع - ضرع - ضغن - طلع - طهر - ظعن - ظهر) أدى ذلك إلى تجاور تاء الافتعال المستقلة مع هذه الأصوات المستعلية المطبقة فيصعب على اللسان أن ينطق (اصترع - اصتنع - اضترع - اضتغن - اضتلع - اطتهر - اظتعن - اظتهر) فالانتقال من صوت مطبق إلى صوت مستفل كالانحدار من مرتفع ، وذلك يؤدى إلى تعثر اللسان فى النطق ، والانسجام الصوتى يقتضى تحويل تاء الافتعال إلى صوت من مخرج التاء له صفة الاطباق التى تقربه من الصوت السابق عليه حتى يأتلف معه ومن هنا أبدلت طاء فقيل : (اصطرع - اصطنع - اضطرع - اضطغن - اطلع - اطهر - اظطعن - اظتهر[3] وبذلك أصبح النطق ميسورا .

وهذا مع الصاد والضاد والظاء نوع من تقريب الصوت من الصوت دون إدغام ، أما الطاء فالإدغام لا غير ، لأن فاء الكلمة (الطاء الأولى) والطاء التى حلت محل تاء الافتعال أصبحتا من جنس واحد والأولى ساكنة والثانية متحركة فتدغمان (لأنها إذا كانت معها من مخرجها فهى الغاية فى قربها فإن زدت على ذلك شيئا فإنما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ أخيه فتدغمه فيه لا محالة[4].

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(٢) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٣٣٣ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢١ ، والأزهرى : التصريح ٢/ ٣٩١ .

(٤) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٢٣٠ .

وهذا التأثر تقدمى لأن الصوت الثانى تأثر بالأول وقد حدث فى بعض هذه الصيغ نوع آخر من التغير لزيادة السهولة والانسجام فقلبت الطاء - التى حلت محل تاء الافتعال - من جنس الصوت السابق عليها ، فإذا كان السابق صادا أو ظاء قلبت الطاء إليه فيتحد الصوتان فيدغمان فتصير - عند بعضهم - اصرع - اصنع - اظهر بتشديد الحرف الأول[1] وهذا التأثر تقدمى وإذا كان السابق ضادا حدث وجهان أحدهما قلب الطاء ضادا وإدغامها فيها وهذا هو الأقوى لأنه القياس ، لنبو اللسان بهما دفعة واحدة[2] منذ بدء اللفظ فنقول (اضغن) وهذا التأثر تقدمى كسابقه .

والثانى هو قلب الضاد طاء وإدغامها فتقول (اطغن) وقد وردت على ذلك قراءة (ثم أطره)[3] وأصلها (اضطره) وهذا جائز عند بعض العلماء إلا أن ابن جنى يعتبر هذا الإدغام لغة مرذولة لما فى الضاد من الامتداد والفشو وهى عنده من الحروف التى يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هى فيها .

والتأثر - حينئذ - رجعى .

وإذا أخذت صيغة (افتعل) مما فاؤه دال أو ذال أو زاى حدثت صعوبة أيضا على اللسان ، للاختلاف الشديد بين هذه الأصوات وتاء الافتعال فى الجهر والهمس أو الشدة والرخاوة مما يجعل النطق بهما متجاورين عسيرا .

فإذا بنيت (افتعل) من (دان - ذكر - زاد) ونحوها قلت : (ادتان - اذ تكر - ازتاد)[4] فالتاء مهموسة فلا تتناسب مع الدال المجهورة قبلها ، والذال والزاى مع جهرهما يمثلان أقصى مراحل الرخاوة والتاء شديدة فالبون بينهما كبير[5] وللاقتصاد فى الجهد العضلى تحول تاء الافتعال إلى الدال - وهى النظير المجهور للتاء - حتى يتحقق الانسجام الصوتى فتصبح (ادان - اذدكر - ازداد) .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢١ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٢٢٧ - ٢٢٩ .

(٣) ابن جنى : المحتسب ١/ ١٠٦ .

(٤) سيبويه : الكتاب ٢/ ٤٢١ .

(٥) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٣١ .

ويلجأ العربى إلى زيادة التماثل فى الكلمتين الأخيرتين فيقول فى الأولى : اذكر - بإبدال الدال ذالا وإدغامها فى الذال السابقة عليها وهذا تأثر تقدمى ونقول أيضا : (ادكر) بقلب الذال دالا وإدغامها فى الدال التى بعدها وهذا تأثر رجعى لتأثر الأول بالثانى ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ .

ويقول العربى فى الكلمة الثانية : (ازاد) بقلب الدال زايا وإدغامها فى الزاى التى قبلها وهو تأثر تقدمى .

أما بناء (افتعل) من واوى الفاء أو يائيها فللعربى فيه مسلكان :

أحدهما : ألا يغير أحد الصوتين - تاء الافتعال والواو أو الياء قبلها - بل يتركهما بحالهما وهو لهجة الحجازيين الذين لا يعبأون بتلاعب الحركات فيقولون فى (افتعل) من : وسم ووحد : أو تسم - أو تحد ، ومن يبس ويئس : ايتبس وايتأس .

أما المسلك الثانى فهو قلب الواو أو الياء تاء وإدغامها فى تاء الافتعال حتى لا تتأثر كل منهما بالحركات السابقة وهذا لهجة التميميين فيقولون فيما سبق : اتسم - اتحد اتبس - اتأس ، والتأثر على هذه اللهجة رجعى .

ويلاحظ أن تقريب تاء الافتعال مع ما قبلها فى معظم الصور السابقة واجب لاتفاق الصوتين فى المخرج واختلافهما فى الصفة .

وقد يكون تقريب الصوت من الصوت جائزا فيجرى عند بعض قبائل العرب دون بعض كما إذا اجتمع فى كلمة صوتان تباعد مخرجاهما واختلفا فى بعض الصفات سواء كانا متجاورين أو فصل بينهما فاصل .

ومن ذلك تجاور الصاد الساكنة مع الدال فى (يصدر ومصدر) ونحوهما فبعض العرب - من أهل البادية - يشمون الصاد صوت الزاى وبعضهم يقلبها زايا خالصة لما بين الدال والصاد من التنافر ، فالصاد مهموسة والدال مجهورة ويقتضى الانسجام جعلهما معا مجهورين .

وكذلك اجتماع السين مع الطاء أو القاف أو العين فى مثل : سراط -

يساقون - أسبغ ، فأهل البادية أيضا يقلبون السين صادا إذ السين صوت مستقل وهذه الأصوات مستعلية فأبدلت السين صادا لتقرب منها بالاستعلاء[1] .

وكما يكون التأثر بالمجاورة بين الأصوات الساكنة يكون بين أصوات اللين ومن أمثلة ذلك تأثر الكسرة بالضمة فى مثل (الحمد لله) - بضم الدال واللام - وقراءة (الملائكة اسجدوا) - بضم التاء - وتأثر الضمة بالكسرة فى قراءة (الحمد لله) بكسر الدال واللام وقراءة (فلأمه الثلث) بكسر همزة (أمه) ومثل (اضرب الساقين أمك هابل) بكسر همزة وميم (أمك) وتأثر الفتحة بالكسرة فى قراءة (براءة من الله)[2] بكسر نون « من » .

وهذه الموافقة بين الحركات ضرب من تجانس الصوت ، وانسجامه ليؤدى إلى الإسراع والخفة ، وهو منسوب لأهل البادية الذين يقتصدون فى الجهد العضلى ، ويعمدون إلى سهولة إخراج الأصوات .

وضم اللام فى لفظ الجلالة تأثر تقدمى على حين أن كسر دال الحمد تبعا للام الأولى فى لفظ الجلالة تأثر رجعى ، وضم تاء الملائكة تبعا للحركة بعدها تأثر رجعى ، كما أن كسر همزة (ام) مناسبة للكسرة قبلها تأثر تقدمى .

وقد يحدث التأثر بين صنفى الأصوات الساكنة واللينة .

ومن تأثر الساكن بالعلة (اللين) أن الضمة فى مثل : (تؤمن . . دم) تجتذب التاء والدال من مقدم الفم إلى الوراء بقدر ما يسمح نطقهما ويكون الناتج تاء ودالا شفويتين طبقيتين[3] .

فالساكن قد يتقدم أو يتأخر مخرجه تبعا لنوع اللين المجاور له .

ومن تأثر صوت اللين بالساكن أن الكسرة - وهى من أصوات اللين الأمامية - تتجه فى مثل (طب نفسا) ناحية الخلفية ، والفتحة فى (صبر) مثلها ، وذلك تحت تأثير الطاء والصاد .

---

(١) سيبويه : الكتاب ٢/٤٢٦ وابن جنى : الخصائص ٢/٤٤ ، ١٦٨ وسر الصناعة ١/٥٦ ، ٥٧ والمحتسب ٢/٢٨٣ .

(٢) ابن جنى : الخصائص ٣/١٤٤ ، ١٤٥ والمحتسب ١/٧١ ، ٢٤٠ ، ٢٨٣ ، ٢/٢١ .

(٣) د . مختار : الصوت اللغوى ص ٣٢٨ .

ومن المعروف فى اللغة العربية أن أصوات الاطباق تمد نفوذها إلى ما يسبقها ويتبعها من أصوات[1]. (ولكن هذه التغيرات تحدث بصورة غير واعية ، ولا تفطن إليها أذن السامع ولكنها تظهر بوضوح فى التسجيلات الطيفية)[2].

ألوان التأثر :

عرفنا أن التأثر بالمجاورة يقع بين السواكن ، كما يقع بين العلل ، أو بينهما معا ، ولكن لوضوح التأثر بين السواكن[3] فصل الباحثون التأثر فيها ، وبينوا اتجاهاته المتعددة وأهمها :

١ - تغير المخرج فقط :

قد يؤدى تجاور صوتين متباعدى المخرج إلى نقل أحدهما إلى مخرج الآخر ، ليتحقق الانسجام الصوتى .

ومن ذلك تجاور النون الساكنة مع الباء فى قوله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾[4] وقوله سبحانه : ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾[5] فالنون من طرف اللسان مع اللثة العليا والباء من الشفتين ، ولأن ذلك يحتاج إلى بذل جهد كبير لاختلاف المخرجين تحول النون إلى صوت من مخرج الباء له صفة الغنة وهو الميم ، وهذا يقلل من الجهد العضلى .

ومن ذلك قلب تاء المخاطب كافا فى قولهم (عصيك) يريدون (عصيت) وعليه قول الشاعر :

يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا اليكا

وكان سحيم إذا أنشد شعرا جيدا يقول : أحسنك والله ، يريد : أحسنت[6].

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٨ . وقد سجل ابن جنى هذه الظاهرة عندما ذكر أن الحركة تقلق الحرف فى كتابه سر الصناعة . (٣) د . أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٣٠ .

(٤) البقرة : ٣٣ . (٥) الروم : ٤ .

(٦) ابن جنى : سر الصناعة ١/ ٢٨١ والأشمونى ٤/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

فقد انتقلت التاء من مخرجها متجهة نحو أقصى الحنك(١) .

وتكثر عملية انتقال المخارج بين الأصوات اللسانية بعضها وبعض ، أما الأصوات الشفوية والحلقية فلا يكاد ينتقل صوت من أصواتهما إلى مخرج آخر في منطقة أخرى ولكن ينتقل غيرها إليها(٢) .

٢ - تغير الصفة فقط :

إذا التقى صوتان متحدا المخرج ومختلفا الصفات كما إذا اختلفا فى الجهر والهمس ، فان الانسجام الصوتى يقتضى تحول أحدهما إلى صفة صاحبه فيكونان مجهورين أو مهموسين .

ويتمثل ذلك فى إبدال تاء الافتعال طاء أو دالا ففى مثل اصطبر لم تزد على تغيير صفة التاء من الاستفال إلى الاستعلاء بقلبها طاء ومثلها قلبها دالا فى ازدان ونحوه فالتاء المهموسة تغيرت صفتها بقلبها إلى النظير المجهور وهو الدال .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾(٣) فالدال المجهورة أخذت صفة التاء المهموسة بتحولها إلى صورتها فى النطق .

والمخرج فى كل ذاك باق وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا لأن هذه الأصوات (ت - د - ط) مجموعة واحدة مكانها هذا المخرج .

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾(٤) فالباء والميم من الشفتين ، غير أن الهواء يتخذ طريقه خلال الفم مع الباء ، وخلال الأنف مع الميم بما يظهر صفة الغنة فيها ، ومع الباء ينحبس الهواء ولذا توصف بالشدة ، أما الميم فيتسرب جزء من الهواء معها بحيث لا يحدث حفيفا ، ولذلك توصف بالتوسط ، فلما تجاورتا أخذت الباء طريق الميم فتحولت إليها وأدغمت فيها .

---

(١) د. لحا : التجويد والأصوات ص ١٠٠ و د. أنيس الأصوات اللغوية ص١٣٣ ويشك الدكتور أنيس فى صحة هذه الرواية بقلب التاء كافا ويقول : إن الأولى العكس - أى قلب الكاف تاء لأنه الشائع فى لغة الأطفال مثل : « تلب » فى كلب و (tat) فى (cat) ، والكبار يقولون (استنجرية) فى (اسكندرية) انظر ص ١٣٣ ، ١٥٨ لكننا لا نرى فى ذلك دليلا كافيا على الشك فى صحة الرواية القديمة .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٣) البقرة : ٢٥٦ .

(٤) سورة هود : ٤٢ .

٣ - تغير المخرج والصفة معا :

إذا تجاور صوتان متقاربان فى المخرج ، ومختلفان فى بعض الصفات فقد يقتضى الانسجام الصوتى قلب أحدهما إلى صورة الآخر ، وبذلك ينتقل من مخرجه إلى مخرج صاحبه ، وتتغير معه صفاته ، وهنا يتماثل الصوتان فيدغمان ، وذلك أدعى إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى .

ومن أمثلة ذلك قلب الدال المبدلة من تاء الانفعال ذالا أو زايا فى بعض الصور النطقية مثل (اذكر) (ازان) أو تحول الذال - الواقعة فاء لافتعل - دالا مثل (ادكر) فالدال من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والذال من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا والزاى من طرفه مع أصول الثنايا السفلى وهى مخارج متقاربة كما ترى ، إلا أن هذه الأصوات مختلفة فى الشدة والرخاوة ، فتحولت الدال الشديدة إلى ذال أو زاى رخوة ، وبذلك انتقلت من مخرجها إلى مخرج الصوت الذى تماثلت معه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾[1] فأصلها « تثاقلتم » فتجاورت التاء الشديدة مع الثاء الرخوة ، وهما متقاربتان مخرجا فالتاء مخرجهما كما سبق ، والثاء من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ، وتقليلا للجهد العضلى حولت التاء الى ثاء فتغير المخرج وتغيرت الصفة كذلك ثم أدغمتا .

وفى قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[2] جاورت الدال المجهورة الشديدة السين المهموسة الرخوة وهما متقاربتان مخرجا فمخرج الدال كما نعلم ومخرج السين طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى فليتحقق الانسجام الصوتى قلبت الدال سينا وأخذت صفاتها من الهمس والرخاوة وأدغمت فيها .

٤ - الإدغام :

هو إدخال حرف فى حرف بحيث يرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة[3] وعرفه ابن جنى بأنه « تقريب صوت من صوت »[4] وقد قسمه

---

(١) البقرة : ٣٨ . (٢) المجادلة : ١ .

(٣) محمد مكى: القول المفيد ١٠٤ ، د. نجا : التجويد والأصوات ص ١٠١ .

(٤) ابن جنى : الخصائص ٢/٢٢٧ .

القراء إلى صغير وكبير ، فالصغير هو ما سكن فيه الحرف الأول والكبير ما تحرك فيه(١) .

وعلى هذا يلتقى المثلان والمتجانسان والمتقاربان .

فالمثلان هما : الصوتان المتحدان فى المخرج والصفة كالتاءين والراءين وغير ذلك .

والمتجانسان هما : المتفقان فى المخرج المختلفان فى الصفة كالتاء والطاء ، والسين والصاد .

والمتقاربان هما : الصوتان اللذان بينهما تقارب فى المخرج أو الصفة أو فيهما كالدال والسين أو الشين والذال والزاى واللام مع الراء(٢) .

فإذا سكن الأول وتحرك الثانى فى المثلين فالإدغام واجب ، وهذا خارج عن نطاق التأثر والتأثير الذى نحن بصدده فى تجاور الأصوات على نحو يدعوها إلى التماثل والانسجام الصوتى .

ولقاء المثلين متحركين يوجب الإظهار إلا عند السوسى الذى أجاز الإدغام مثل (مناسككم) - فى البقرة - و (ماسلككم) - فى المدثر - وقد مرت أمثلة لذلك عند حديثنا عن تحديد المقطع الصوتى .

أما لقاء المتجانسين والمتقاربين فهو مجال خصب لتحقيق هذا التأثر والانسجام .

ومن ذلك فى المتجانسين إدغام القاف فى الكاف مثل﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُمْ ﴾

---

(١) محمد مكى : القول المفيد ص ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١ ، والبنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٢٢ وعلى محمد الضباع : شرح الشاطبية ص ٣٥ وهذا يعنى أن ما يسمى صغيرا يقوم على إدغام حرفين متصلين اتصالا مباشرا وما يسمى كبيرا يقوم على إدغام حرفين تفصل بينهما حركة ، ويقع الإدغام فى هذه الحالة بسقوط الحركة أولا - أى بذهاب مقطع من مقاطع الكلمة - ثم بإدغام أحد الحرفين فى الآخر ، وفى كلتا الحالتين لا يجوز الإدغام إلا إذا كان الحرف الثانى متبوعا بحركة ، كانتنيو : علم أصوات العربية ص ٣٩ .

(٢) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٢١ وعلى محمد الضباع : شرح الشاطبية ص ٣٥ .

والطاء فى الصاد فى مثل « اصبر » وفى الضاد مثل « اطمن » ونحو ذلك هذا فى كلمة واحدة ، وفى كلمتين كإدغام التاء فى الطاء مثل ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ ﴾ والذال فى الظاء مثل ﴿ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾ واللام فى الراء مثل : ﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ والقــاف فى الكاف مثل ﴿ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ والسين فى الزاى فى ﴿ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾(١).

ومنه فى المتقاربين إدغام النون فى الميم فى (امحى) و (اماز) والتاء فى الثاء نحو (اثاقل)(٢) هذا فى كلمة ، وفى كلمتين مثل إدغام الدال فى الذال أو الزاى أو الظاء كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا - وَلَقَدْ زَيَّنَا - لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾ وكإدغام التاء فى الثاء مثل ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴾ والدال فى التاء مثل ﴿ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ والذال فى السين مثل ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ .

وللإدغام حالتان :

إحداهما : يفنى فيها أحد الصوتين فى الآخر كالأمثلة التى ذكرناها فقد تحول أحد الصوتين إلى صاحبه وفنى فيه ويسمى القراء ذلك إدغاما كاملا .

والثانية : لا يتم فيه فناء أحد الصوتين فى الآخر ، بل تبقى بعض آثار الصوت الفانى ، كبقاء غنة النون بعد إدغامها فى الواو أو الياء إذا تجاورتا وسبقت النون ساكنة كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ وقوله عز حكمه : ﴿ مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾(٣) ويسمى ذلك إدغاما ناقصا(٤).

ولما كان الإدغام إدخالا للصوت الأول فى الصوت الثانى عد من التأثر الرجعى(٥).

---

(١) الضباع : شرح الشاطبية ص ٤ ، ٤١ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ وانظر البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٢١ - ٢٧ .

(٢) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٣١ .

(٣) الكهف : ١٧ .   (٤) المصدر رقم ١٢١ .

(٥) قد تحدث قبل الإدغام حالة التماثل بين الصوتين ولها صور مختلفة كما فى الأمثلة المشار إليها فتدخل فى أحد نوعى التأثر الرجعى أو التقدمى حسب نوع التماثل الذى حدث بها .

وجميع الأصوات تقبل الإدغام إلا أصوات الحلق فإنها تستعصى على الإدغام فهى لا تقبل الفناء فى غيرها[1].

(ب) المخالفة :

فى الوقت الذى تدعو فيه أحوال لغوية معينة الأصوات المتخالفة إلى التماثل ليتحقق الانسجام الصوتى بينها ، تدعو أحوال لغوية أخرى الأصوات المتماثلة إلى التخالف ليتحقق الانسجام الصوتى أيضا ·

فكما أن المماثلة هى تقريب الصوت ، فالمخالفة هى : تحويل أحد المتماثلين إلى صوت آخر منعا للثقل وتحقيقا للانسجام ·

ولا تعارض بين الاتجاهين ، فقد أوضحنا الداعى إلى المماثلة وهو الصعوبة التى قد تعترى النطق ، وتدعو إلى التخفيف والاقتصاد فى الجهد العضلى ·

وأيضا فإن نطق الصوتين المتماثلين قد يكون سهلا ميسورا لا يستنفد جهدا عضليا كبيرا وقد يستدعى التماثل مجهودا عضليا أكثر فيقتضى ذلك التخفيف بالمخالفة لتحقيق السهولة فى النطق ·

ففى مثل (قطع وعلم) يسهل النطق بالإدغام ، إذ اللسان ينبو عنهما معا نبوة واحدة[2] ولكن المثلين إذا لم يدغم أحدهما فى الآخر يثقلان على اللسان ، لأن الرجوع من أحدهما بعد الانتقال عنه إلى الآخر يسبب صعوبة فى النطق كما فى (أملل) على وزن (أفعل) ولذا أبدلت اللام الثانية (ألفا) فيقال : « أملى » وكذا إذا كثرت المتماثلات كما فى (تظنن) فالنطق بثلاث نونات ثقيل على اللسان ولذا أبدلت إحداها ألفا فقيل (تظنى) ولا إنكار للتخفيف بإبدال أحد المتماثلين ياء[3] ·

ويقول علماء اللغة المحدثون : إن المماثلة - بسلوكها الذى شرحناه -

---

(١) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٢٧ و د· نجا : التجويد والأصوات ص ١٠١ و د· أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٣٤ ·

(٢) ابن جنى : الخصائص ٢/ ٢٢٧ ·

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٣٢ ·

تقلل من الخلافات بين الفونيمات ذلك التفريق الذى لا غنى عنه للتفاهم ، وبذا فإن عامل المآلفة يستخدم لإعادة الخلافات التى لا غنى عنها ، ولإبراز الفونيمات فى صورة أكثر استقلالية[١] .

ولو أن المماثلة تركت تعمل عملها دون عوائق فربما أدى ذلك إلى خلط الأبنية وعدم معرفة أصول الكلمات .

وظاهرة المخالفة موجودة فى كل اللغات وقد شاعت فى كثير من اللغات السامية[٢] وقد لاحظها القدماء فى العربية وأشار إليها سيبويه فى « باب ما شذ فأبدل مكان اللام ياء كراهية التضعيف وليس بمطرد » ومثل لها بقولهم تسريت وتظنيت وتقصيت ، وأصلها : تسررت وتظننت وتقصصت[٣] .

ونبه ابن جنى - أيضا - على استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما فى نحو « أمليت » وأصلها (أمللت) وقولهم (لا وربيك لا أفعل) يريدون : لاوربك لا أفعل[٤] وقولهم فى (أما) (أيما) وقرأه بعضهم (ايلا ولاذمة) فى (إلا ولاذمة)[٥] .

ولاحظ بعض الباحثين المحدثين أن كل صوتين متماثلين أو أكثر يتغير أحدهما إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فى بعض الأحيان ولا سيما اللام والنون .

أحدهما إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فى بعض الأحيان ولا سيما للام والنون .

وضرب لذلك أمثلة منها :

١ - الطخ : البسط - طخا - كسعى - بسط .

٢ - زحه : نحاه عن موضعه - زاح يزيح : بعد وذهب .

---

(١) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٣٣٠ .

(٢) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٥٢ .

(٣) سيبويه : الكتاب ٢/٤٠١ .

(٤) ابن جنى : الخصائص ٢/٢٣١ .

(٥) المصدر السابق : ٢/٦٥ والمحتسب ١/٢٨٣ .

٣ - تحدس الأخبار ، وتحندس الليل .

٤ - الرس : دفن الميت ، والرمس : الدفن أيضا(١) .

والمخالفة - كما يرى - لا تكاد تتم إلا حين يتجاور صوتان من أصوات الاطباق ، أو الأصوات الرخوة ، على أن المخالفة قد تكون - فى النادر من الأحيان - بين الأصوات الشديدة مثل : (أجار) التى روى فيها (انجار) وكذلك (اجاص) التى روى فيها أيضا (انجاص)(٢) .

فالمخالفة تجرى بين الحروف التى تحتاج إلى جهد عضلى ، وفى غير ذلك يبقى المثلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة إلا فى النادر من الأحيان .

وقد استنتج المستشرق Hurwits أن الكلمات العربية للكبيرة البنية ، التى تشتمل على راء أو لام أو نون أو ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين مثل: حرجل (حجل) وجلمد (جمد) ، وعنكب (عكب) وعرقب (عقب) وقرمط (قمط) ، وفلطح (فطح) .

وهو يؤيد استخدام الحروف الشبيهة بأصوات اللين ، فى مجال المخالفة بقوله : (يوجد غالبا مقابلات مضعفة للصيغ السابقة ، وهذا يعنى أن العقل السامى كان يعتبر هذه الصيغ المزيدة مقابلة للصيغ المضعفة) و (تعد الحروف المائعة عادة وسيلة مخالفة للتضعيف فى الصيغ المضعفة القديمة)(٣) .

وهذا رأى له وجاهته ، وهو قائم على أساس نظريات علمائنا القدماء فى زيادة الحروف(٤) إلا أنه احتمال مخالف لما بنى عليه الدكتور أنيس وجهته ، فى

---

(١) د. أنيس : الأصوات اللغوية ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٥ .

(٣) د. مختار : الصوت اللغوى ص ٣٣٠ .

(٤) فقد اختلف البصريون والكوفيون فى الزائد على ثلاثة أحرف من الكلمات ، وحقيقة المزيد فيها هل هو من أصول الكلمة التى وضعت ابتداء أو أنه زيد فى مرحلة متأخرة ؟ كما قيل بتداخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية . انظر : ابن الأنبارى : الإنصاف فى مسائل الخلاف ، المسألة ١١٤ج ٢ص٧٩٣ - ٧٩٥ وسيبويه : الكتاب ٢/ ٢٣٤ وابن جنى : الخصائص ٢/ ٤٤ ، ٥٥ وعبد الله أمين : الاشتقاق ص ٤٠٦ - ٤١٢ .

تغير المتماثلين ، فمعظم الأمثلة لا تشتمل على صوتين من أصوات الاطباق ، أو الأصوات الرخوة .

أضف إلى ذلك أننى بملاحظتى الشخصية لهذه الأمثلة تبينت أن بعضها يتفق أو يقترب فيه المضعف ، ومقابله فى المعنى ، وبعضها يختلفان فيه اختلافا شديدا .

فالمضعف (فطح) ومقابله (فلطح) متفقان فى المعنى تماما .

جاء فى لسان العرب : الفطح - بفتح الفاء وسكون الطاء - عرض فى وسط الرأس ، وفطح الحديدة بتشديد الطاء - عرضها وسواها لمسحـاة أو معزق ، أو غيره ، وفطح العود وفطحه - بتخفيف الطاء وتشديدها - براه وعرضه[١] .

والمضعف (عقب) ومقابله (عرقب) يدوران فى فلك معنوى واحد .

يقال : عقب القدم وعقبها - بكسر القاف وسكونها - مؤخرها وعقب كل شىء : آخره والجمع (أعقاب) ومنه الحديث : ويل للأعقاب من النار[٢] .

وعقب بمعنى تعاقب : أى جاء هذا بعد ذاك ، وكل من عمل عملا ثم عاد إليه فقد عقب ، وعقب الحاكم على حكم من قبله : إذا حكم بعد حكمه بغيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾[٣] أى لا أحد يتعقب حكمه بنقض ولا تغيير[٤] .

والعرقوب : العصب المؤثر فوق عقب الإنسان ، وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، وعرقب الدابة : قطع عرقوبها ويقال : عرقب لبعيرك أى : ارفع بعرقوبها حتى يقوم[٥] وفى الحديث : أنه بعث أم سليم لتنظر له امرأة فقال : انظرى إلى عقبيها ، أو عرقوبيها[٦] .

---

(١) ٣/ ٣٧٩ . (٢) ابن منظور : اللسان ٢/ ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١ .

(٣) الرعـد : ٤١ .

(٤) الرازى : مختار الصحاح ص ٤٤٤ .

(٥) ابن منظور : اللسان ٢/ ٨٣ ، ٨٤ .

(٦) المصدر السابق ٢/ ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١١ .

فالعقب أو العرقوب المحسوس ، وحدوث عمل إثر عمل آخر - وهو أمر معنوى مترابطان ، والمعنوى متفرع عن المحسوس .

والمضعف (قمط) ومقابله (قرمط) متقاربان فى المعانى ، وليسا متفقين على سبيل الحقيقة .

يقال : قمطه يقمطه : بفتح الميم فى الماضى وضمها فى المضارع - وقمطه - بتضعيف الميم - شد يديه ، ورجليه ، واسم ذلك الحبل : القماط - بكسر القاف - والقماط : حبل يشد به قوائم الشاة عند الذبح ، وكذلك ما يشد به الصبى فى المهد [1] .

وقرمط فى خطوه : إذا قارب ما بين قدميه ، والقرمطة فى الخطو : من آثار الكبر ، والقرمطة فى الخط : دقة الكتابة ، وتدانى الحراف [2] .

فالشد بين الرجلين ، ومقارنة الخطى ، أو تدانى الكتابة معان متقاربة ومن الجائز أن أحدها تفرع عن الآخر .

والمضعف (جمد) ومقابله (جلمد) لا يتلاقيان فى المعنى إلا على سبيل المجاز يقال : جمد الماء وكل سائل كنصر وكرم جمدا وجمودا : ضد ذاب ، فهو جامد وجمد بفتح الجيم وسكون الميم - والجمد - محركة - : الثلج ، والجمد والجمد والجمد : - بسكون الميم أو ضمها مع ضم الجيم أو فتحها - ما ارتفع من الأرض ، ومكان صلب مرتفع .

وجمد - بتشديد الميم - تجميدا : حاول أن يجمد ، وسيف جماد - بتشديد الميم - صارم والجامد - بسكون اللام - والجلمود - بضم الجيم - : الصخر ، والرجل الشديد ، والجلد : القطيع الضخم من الإبل ، وأرض جامدة : حجرة - بتشديد الجيم - أو ذات حجارة [3] .

والمضعف (عكب) ومقابله (عنكب) يختلفان فى بعض المعانى ويشتركان فى بعضها .

---

(١) المصدر السابق ٩/ ٢٦١ .

(٢) الفيروزبادى : القاموس ١/ ٢٨٤ وابن منظور : اللسان ٤/ ١٠٤ ، ١٠٥ والزبيدى : تاج العروس ٧/ ٥١٧ .

(٣) الفيروزبادى : القاموس ط السعادة ١/ ٢٨٤ وابن منظور : اللسان ٤/ ١٠٤ ، ١٠٥ والزبيدى : تاج العروس ٧/ ٥١٧ .

يقال عكبت النار تعكيبا : دخنت ، وتعكبته الهموم : ركبته[1] .

ولم أجد فعلا بصورة المقابل (عنكب) فى المعاجم ، وإنما ذكر فى المادة (العنكبوت) و (العنكب) للدويبة التى تنسج رقيقا مهلهلا[2] .

وعن الأزهرى : يقال للتيس : إنه لمعنكب القرن - بفتح الكاف - وهو الملتوى القرن ، حتى كأنه حلقة - بفتح الحاء وسكون اللام - و (عنكب) - كجعفر - ماء بأجأ لبنى فرير بن عنين[3] بن سلامان[4] .

والمادة الرباعية - بالتضعيف أو بالنون مكانه - متفقة مع المادة الثلاثية فى معنى البخار والدخان ، والعنكبوت ، على حين أن المادة الثلاثية أوسع معنى .

فالعكاب - بضم العين - البخار أو الدخان ، والعكاب والعكب - بضم العين وسكون الكاف - اسم لجمع العنكبوت ، وليس بجمع لأن العنكبوت رباعى .

والعكب - بفتح العين والكاف - تدانى أصابع الرجل بعضها إلى بعض وغلظ فى لحى[5] الإنسان ، وشفته ، والعكب - بفتح العين وسكون الكاف - الغبار ، والكوب - بضم العين - مصدر عكبت القدر ثار عكابها - بضم العين - وهو بخارها ، وازدحام الإبل على الحوض وعكوف الطير والخيل ونحوهما[6] .

ومن هذا نرى أن أصل المادة الثلاثية له عدة معان ، والمضعف خاص ببعضها ، والمشتمل على النون له معان مختلفة عن المادتين كالتواء القرن ، وماء بنى فرير ، وهذا يدل على تفرع إحداها عن الأخرى على ما ذهب إليه هذا الباحث مجرد احتمال فالاتفاق فى المعنى أساس هذا البحث .

(١) الفيروزبادى : القاموس ١ / ١٠٧ .

(٢) ابن منظور : اللسان ٢ / ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) بضم العين وفتح النون فى (عنين) وفتح سين (سلامان) .

(٤) الزبيدى : تاج العروس ٣ / ٤٤٧ .

(٥) بفتح اللام وسكون الحاء .

(٦) ابن منظور : اللسان ٢ / ١١٧ ، ١١٨ .

أما المضعف (حجل) ومقابله (حرجل) فمختلفا المعنى تماما ·

يقال : حجل المقيد يحجل - بفتح الجيم فى الماضى وضمها فى المضارع - حجلا وحجلانا وحجل - بتضعيف الجيم - نزا فى مشيه ، والإنسان إذا رفع رجلا ، وتريث فى مشيه على رجل ، فقد حجل ، والحجلان - بفتح الحاء والجيم - والحجل - بسكون الجيم - مشية المقيد[1] ويطلق الحجل - بسكون الجيم - على القيد كذلك ، والتحجيل بياض فى قوائم الفرس ، أو فى ثلاث منها ، أو فى رجليه ، قل أو كثر ، بعد أن يجاوز الأرساغ ، ولا يجاوز الركبتين ، والعرقوبين لأنها مواضع (الأحجال) وهى الخلاخيل والقيود ، يقال فرس (محجل) - بتشديد الجيم المفتوحة - وقد (حجلت) بضم الحاء وتشديد الجيم مكسورة - قوائمه - على ما لم يسم فاعله[2] و(المحجل) - بتشديد الجيم مفتوحة - من الخيل : الذى يرتفع البياض فى قوائمه فى موضع القيد ، ومنه (الغر المحجلون) - على سبيل الاستعارة مما للفرس ، وحجلت المرأة بنانها - بتشديد الجيم - لونت خضابها[3] .

وفى (حرجل) يقال : الحرجل - بضم الحاء والجيم - والحراجل بضم الحاء وكسر الجيم - : الطويل - وحرجل : إذا طال ، والحرجل - بضم الحاء والجيم - الطويل الرجلين ، والحرجل - بفتح الحاء والجيم - : قطيع من الخيل والجماعة من الناس[4] .

ويلاحظ أن المضعف مستعمل فى المشى واللون ، على حين أن المشتمل على الراء مستعمل فى معان أخرى مختلفة تماما ·

والمعروف أن اتفاق المعنى بين المضعف ، ومقابله أساس لصحة قانون المخالفة ·

ولعل هذا يؤكد أن الأمر فى تغير أحد المتماثلين - يقتضى استقراء أوسع مما ذهب إليه الباحثان السابقان إذا أردنا وضع قاعدة مطردة لهذا التغيير ·

---

(١) ابن منظور اللسان ١٥٣/١٣ ، ١٥٥ ·

(٢) الرازى : مختار الصحاح ص ١٢٤ ·

(٣) المصدر رقم ١٥١ ·

(٤) ابن منظور : اللسان ١٥٨/١٣ ·

ولعل العوامل اللغوية تفيد أن المضعف فرع لا أصل فى هذه النماذج أو أن كلا منهما لبيئة خاصة ·

أما تغير أحد المتماثلات فهو أمر قد أكدته الأدلة اللغوية الواضحة ، فى تحول أحدها إلى صوت لين ، كما تبين من صحة النماذج اللغوية التى أوردها القدامى ، والمحدثون فى هذا الصدد ·

ويرى باحث آخر أن المخالفة تجرى فى الحركات - كما تجرى فى السواكن - ومثل لذلك بإبدال إحدى الضمتين المتتاليتين فتحة فى (سرر) - بضم السين وفتح الراء الأولى - وإبدال الكسرة فتحة فى صيغة « فعيل » بكسر الفاء وتشديد العين مكسورة - فى العاميات العربية - مثل : اكيل وسهير - بكسر الأول وتشديد الثانى - وإبدال الفتحة كسرة فى جمع المؤنث السالم حال النصب ، تخلصا من تجاور الفتحة والألف وهما حركتان من جنس واحد[1] ·

ولكن ذلك أمر لم يتضح فى العربية ، كما اتضح نظيره فى الأصوات الساكنة ·

* * *

(١) د· مختار : الصوت اللغوى ص ٣٣١ ·

البَابُ الرَّابِعُ

التجـــويد

يطلق هذا العلم على القواعد الخاصة التى يلزم اتباعها لصحة أداء كلمات القرآن الكريم من حيث إبراز الأصوات إبرازا كاملا وما تستحقه من صفات خاصة بمواقعها فى الكلمات والآيات مجتمعة ·

ويتبع فى ذلك ما ورد منقولا عن النبى ﷺ وأجمع عليه صحابته رضوان الله عليهم ، وتلقته الأمة بالقبول والعمل بمقتضاه ·

وتلك القواعد تتوقف - فى جانب كبير منها - على التلقى والمشافهة ممن يجيد قراءة القرآن وتجويده وكانت للصحابة قدرتهم وفصاحتهم ، وطباعهم التى تمكنهم من أدائه كما سمعوه من النبى ﷺ ، لأنه نزل بلغتهم[1] ·

وقد نقلت إلينا وجوه متعددة فى طرق الأداء خاضعة للهجات وممثلة لطرائق النطق لدى القبائل العربية ، وهى مأثورة يجوز اتباع ما صح منها تسهيلا على الأمة الإسلامية ·

ويلزم لنا اليوم - لنتقن قراءة القرآن وتجويده - أن نتعلم بالتلقى والمشافهة هذا العلم وقواعده متمثلة فى النطق الصحيح لآيات الكتاب الكريم إذ ليس لنا طبع لغوى كطبع أسلافنا لبعد الزمن وانحراف الألسنة عن نهج العربية القويم ·

وتجويد القرآن الكريم له أهميته لأنه السبيل للحفاظ على كتاب الله وصونه من التحريف والتغيير[2] ·

والأحكام التجويدية كثيرة منها ما هو خاص بمعرفة مخارج الأصوات ، وصفاتها مفردة ، ومنها ما هو متعلق بها مجتمعة فى كلمات الكتاب العزيز ، والأول يسمى - فى الدراسات الصوتية الحديثة - (الفوناتيك) والثانى يسمى فيها (الفونولوجى) أو (علم التشكيل الصوتى) ·

ويهمنا الآن معرفة اللون الثانى وهو الأداء المتعلق بالتركيب وخصائصه فى الآيات القرآنية ، أما اللون الأول فقد وفيناه درسا وتفصيلا فيما سبق من

(١ ، ٢) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٥ ·

عرضنا للأصوات العربية سواء منها ما يتعلق بالمخارج أو الصفات والأحكام - فى الجانب الذى نحن بصدده وهو أداء التراكيب القرآنية - متشعبة نخص منها أهمها ونجملها فى عدة نقاط :

الأولى : الإظهار والإدغام ·

الثانية : أحكام النون الساكنة والتنوين ·

الثالثة : المد والقصر ·

الإظهار والإدغام

الإظهار : هو الإبانة والإيضاح ·

وعند علماء الأداء : إخراج كل حرف من مخرجه[1].

أما الإدغام : فهو النطق بالحرفين حرفا كالثانى مشددا[2].

ومعنى ذلك أن الحرفين يلفظ بهما دفعة واحدة[3].

وفائدة الإدغام : سهولة النطق بالحرفين ·

وللإدغام عدة شروط :

١ - وجود صوتين متجاورين خطا ، وهما متماثلان أو متجانسان أو متقاربان[4].

٢ - ألا يكون الحرف الأول مشددا وإلا امتنع الإدغام مثل (مس سقر) (أنعمت على الخ) - إذ المشدد بحرفين ، ولا يجتمع إدغامـان فى مكان واحد ·

٣ - ألا يكون الحرف الأول منونا مثل (غفور رحيم - سارب بالنهار) لأن التنوين حاجز قوى بين الحرفين فيمنع الإدغام ·

---

(١) د· لجا : التجويد والأصوات ص ١٠٦ ·

(٢) على محمد الضباع : شرح الشاطبية ص ٣٥ ·

(٣) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٢١ ·

(٤) انظر ص ٢٨٥ و ٢٨٦ من هذا الكتاب فقد شرحنا فيهما هذه المصطلحات الصوتية ·

٤ - ألا يكون تاء ضمير للمتكلم أو المخاطب مثل (كنت ترابا - أفأنت تكره الناس - كدت تركن) .

٥ - الا يكون حرف مد مثل (قالوا وهم) - (فى يوم) فلابد من الإظهار لئلا يذهب المد بالإدغام .

والإدغام نوعان : صغير وكبير .

الإدغام الصغير

قوامه أن يكون أول الصوتين المتجاورين ساكنا .

وله حكمان :

وجوب الإدغام - جواز الإدغام .

الحكم الأول (الوجوب) : يتحقق إذا انتفت الأمور المانعة للإدغام عموما ، ويضاف إليها :

١ - الا يكون أول الصوتين المتجاورين هاء سكت مثل (ماليه هللك) فإنها لا تدغم لأن الوقف على الهاء منوى .

٢ - الا يكون أولهما حرف حلق نحو (فاصفح عنهم) لأن حروف الحلق تأبى الإدغام .

فإذا لم يوجد مانع مما سبق وجب الإدغام كما فى (يدرككم - يوجهه - ربحت تجارتهم) فإذا تحرك أول الحرفين وسكن ثانيهمـا امتنع الإدغام كما فى (ضللتم - وقال الملأ) .

الحكم الثانى (الجواز) : هناك مواضع خاصة لاجتماع الصوتين اختلف فيها القراء إدغاما وفكا وهى تمثل بيان حكم الجواز وتلك المواضع تتلخص فيما يأتى :

(أ) ذال اذ - دال قد - تاء التأنيث - لام هل وبل مع أصوات معينة .

(ب) حروف قربت مخارجها وهى سبعة عشر حرفا إذا اقترنت بأصوات معينة .

ونفصل الحديث عن الحروف الاولى فنقول :

ذال اذ : اختلفوا فى إدغامها وإظهارها إذا وقع بعدها واحد من ستة أحرف هى التاء والجيم والدال والزاى والسين والصاد .

وأمثلتها هى : إذ تبرأ - إذ جعل - إذ دخلت - إذ زين - إذ سمعتموه - إذ صرفنا .

دال قد : إذا وقع بعدها واحد من ثمانية أحرف هى الجيم والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والظاء .

وأمثلتها هى : لقد جاءكم - ولقد ذرأنا - ولقد زينا - قد سألها - ولقد صرفنا - قد ضلوا - فقد ظلم .

تاء التأنيث : إذا وقع بعدها واحد من ستة أحرف هى : الثاء والجيم والزاى والسين والصاد والظاء - وأمثلتها هى : بعدت ثمود - نضجت جلودهم - خبت زدناهم - أنبتت سبع سنابل - لهدمت صوامع - كانت ظالمة .

لام هل وبل : إذا وقع بعدها أحد أحرف ثمانية هى : التاء والثاء والزاى والسين والضاد والطاء والظاء والنون وتختص لام هل بالثاء فقط .

مثل (هل ثوب) وتختص لام بل بخمسة منها هى : الزاى والسين والضاد والطاء والظاء .

وأمثلتها هى : بل زين - بل سولت - بل ضلوا - بل طبع الله - بل ظننتم .

ويشتركان (لام هل ولام بل) فى التاء والنون مثل : هل تنقمون - بل تأتيهم - هل نحن - بل نتبع .

أما الحروف التى قربت مخارجها فهى :

الباء الساكنة : إذا وقعت بعدها الفاء فى خمسة مواضع هى : أو يغلب فسوف - اذهب فمن - فاذهب فإن - ومن لم يتب فأولئك - وإن تعجب فعجب .

الباء متحركة أو ساكنة : إذا وقع بعدها الميم فى : يعذب من يشاء - اركب معنا .

الثاء : إذا وقع بعدها التاء أو الذال فى : لبثت - لبثتم - يلهث ذلك .

الدال : إذا وقع بعدها الثاء فى : يرد ثواب .

الذال : بعد التاء فى : عذت بربى - فنبذتها - اتخذتم - أخذتم .

الراء الساكنة : بعدها اللام فى : يغفر لكم - واصبر لحكم ربك .

الفاء : بعدها الباء فى : نخسف بهم .

اللام الساكنة : فى ستة مواضع وردت فيها (ومن يفعل ذلك) .

النون : بعدها الصاد والواو فى: (كهيعص) و (يس والقرآن) . (ن والقلم) .

النون : بعدها الميم فى : طسم[1].

الإدغام الكبير

إذا كان الحرفان المتجاوران محركين فإن القراء يظهرون الحرفين دون ادغام ولكن السوسى - وحده - من القراء هو الذى أجاز الإدغام حينئذ ويعرف هذا الإدغام لدى علماء الأداء باسم (الإدغام الكبير) ويأتى فى المتماثلين والمتجانسين والمتقاربين .

فإدغام الحرف فى مثله - من كلمة واحدة - لم يأت عند السوسى إلا فى كلمتين (مناسككم - ما سلككم) . وإدغام الحرف فى مثله من كلمتين ورد فى سبعة عشر حرفا هى : الباء - التاء - الثاء - الحاء - الراء - السين - العين - الغين - الفاء - القاف - الكاف - اللام - الميم - النون - الواو - الهاء - الياء ، وجمعها بعضهم فى أوائل كلمات قوله : يالائمى غيرت مهجتى ، كم تعنفنى بقلة همتى ، نعيت ربعا فارقاه سادتى ، ونحت عليهم ثم حارت قصتى .

---

(١) ابن الجزرى : تقريب النشر ١٤٧ - ١٥١ والضباع : شرح الشاطبية ٩٤ والنشر ٢/٢ - ٢١ .

وأمثلتها هى : نصيب برحمتنا - الشوكة تكون - حيث ثقفتموهم - النكاح حتى - شهر رمضان - الناس سكارى - طبع على - يبتغ غير - خلائف فى الأرض - الرزق قل - إنك كنت - لا قبل لهم - الرحيم ملك - نحن نسبح - العفو وأمر - فيه هدى - يأتى يوم[1].

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهو ضربان :

أحدهما : فى كلمة اصطلاحية . **والثانى** : فى كلمتين .

فالأول : لم يدغم منه إلا القاف إذا تحرك ما قبل القاف وكان بعد القاف ميم جمع لتحقق الثقل بكثرة الحروف والحركات نحو : خلقكم ورزقكم وواثقكم وسبقكم - ولا ماضى غيرهن - ونحو : نخلقكم ونرزقكم فنغرقكم ولا مضارع غيرهن - فإن سن ما قبل القاف نحو : ميثاقكم - ما خلقكم أو لم يأت بعد الكاف ميم جمع نحو : خلقك ونرزقك ، فلا خلاف فى إظهاره ، إلا إذا كان بعد الكاف نون جمع وهو : طلقكن فقط - بالتحريم - ففيه خلاف لكراهة اجتماع ثلاث تشديدات فى كلمة .

وأما ما كان من كلمتين فإن المدغم من الحروف فى مجانسه أو مقاربه بشرط انتقاء الموانع المتقدمة[2] ستة عشر حرفا هى : الباء والتاء والثاء والجيم والحاء والدال والذال والراء والسين والشين والضاد والقاف والكاف واللام والميم والنون وجمعها بعضهم فى قوله : (رض سنشد حجتك بذل قثم)[3].

الباء : تدغم فى الميم فى (يعذب من يشاء) .

التاء : تدغم فى عشرة أحرف هى : الثاء والجيم والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء وأمثلتها هى : والنبوة ثم - والتوراة ثم - الصالحات جناح - آت ذا القربى - والذاريات ذروا - الجنة زمرا - بالساعة

---

(١) الضباع : شرح الشاطبية ص ٣٦ والبنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ص ٢٢ .

(٢) ألا يكون الحرف الذى يراد إدغامه منها منونا أو تاء خطاب أو مشددا . الضباع : شرح الشاطبية ص ٤٠ .

(٣) الضباع : شرح الشاطبية ٤٠ والبنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ٢٣ .

سعيرا - والملائكة صفا - والعاديات ضبحا - الملائكة طيبين - والملائكة ظالمى .

الثاء : تدغم فى خمسة أحرف هى : التاء والذال والسين والشين والضاد وأمثلتها هى : حيث تؤمرون - والحرث ذلك - وورث سليمان - حيث شئتما - حديث ضيف .

الجيم : تدغم فى التاء والشين وأمثلتها : ذى المعارج تعرج - أخرج شطأه .

الحاء : تدغم فى العين فى حرف واحد هو (زحزح عن النار) فقط .

الدال : تدغم فى عشرة أحرف هى : التاء والثاء والجيم والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والظاء وأمثلتها هى : المساجد تلك - يريد ثواب - داود جالوت - والقلائد ذلك - تريد زينة - عدد سنين - وشهد شاهد - نفقد صواع - من بعد ضراء - من بعد ظلمه .

الذال : تدغم فى السين والصاد مثل: فاتخذ سبيله - الكهف - ما اتخذ صاحبة .

الراء واللام : تدغم الراء فى اللام نحو : هن أطهر لكم - النهار لآيات ، وتدغم اللام فى الراء نحو : رسول ربك - كمثل ريح ، ولكن إذا انفتح كل منهما بعد ساكن فلابد من إظهاره نحو : الحمير لتركبوها - فعصوا رسول ربهم ، إلا لام قال نحو : قال ربك - قال رجلان ، فإنها تدغم حيث وقعت لكثرة ورودها(١) .

السين : تدغم فى الزاى والشين وأمثلتها هى : وإذا النفوس زوجت - الرأس شيبا .

الشين : تدغم فى السين : ذى العرش سبيلاً .

الضاد : تدغم فى الشين : لبعض شأنهم .

القاف والكاف : تدغم القاف فى الكاف وكذلك تدغم فى القاف إذا

---

(١) الضباع : شرح الشاطبية ٤٢ ، ٤٣ .

تحرك ما قبل كل منهما نحو : خلق كل شيء - ينفق كيف يشاء - لك قصورا - لك قال ، فإن سكن ما قبل كل منهما أظهرتا ولم تدغما نحو : وفوق كل ذى علم عليم ، وتركوك قائما .

الميم : تخفى بغنة مع الباء إذا تحرك ما قبلها نحو : أعلم بالشاكرين فإن سكن ما قبلها أظهرت نحو : إبراهيم بنيه ، والفرق بين الإخفاء والإدغام أن المدغم يقلب ويشدد الثانى بخلاف المخفى فاقتصر هنا على التسكين والإخفاء دون الإدغام .

النون : تدغم فى الراء واللام إذا تحرك ما قبلها نحو : تأذن ربك - نؤمن لك ، فإن سكن ما قبلها أظهرت معهما نحو : يخافون ربهم - يكون لهم إلا النون من (نحن) فقط فإنها تدغم لثقل الضمة مع لزومها ، ولكثرة ورودها[1] .

أحكام النون الساكنة والتنوين

تأتى النون الساكنة وسط الكلمة وآخرها فى الاسم والفعل والحرف والتنوين لا يكون إلا فى آخر الاسم وللنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام :

الأول : الإظهار : - عند جميع القراء - إذا وقع بعدها أحد أحرف الحلق الستة .

مع الهمزة : ينأون - من آمن - كل آمن .

مع الهاء : وأنهار - من هاد - جرف هار .

مع العين : أنعمت - من عمل - عذاب عظيم .

مع الحاء : وانحر - من حكيم حميد .

مع الغين : فسينغضون - من غل - إلَه غيره .

مع الخاء : والمنخنقة - من خير - قوم خصمون .

ولكن أبا جعفر - وروى أيضا عن قالون - يخصون النون بالإخفاء مع الغين والخاء واستثنى بعض أهل الأداء له من ذلك (فسينغضون - إن يكن غنيا - والمنخنقة)[2] .

---

(١) انظر فى الموضوع بأسره : الضباع : شرح الشاطبية ٤٠ - ٤٣ .

(٢) ابن الجزرى : تقريب النشر ٥٣ .

والإظهار فى هذه المواضع لبعد مخرج النون أو التنوين عن مخرج الحلق[1].

الثانى : الإدغـام - عند جميـع القراء - مع سـتـة أحرف هى حروف (يرملون) .

وللإدغام ثلاث صور :

(أ) إدغام بغنة : وذلك مع النون والميم .

مع النون : عن نفس - حطة نغفر .

مع الميم : من مال - مثلا ما[2].

(ب) إدغام مع الاختلاف فى الغنة : وذلك مع الواو والياء .

مع الواو : من وال - رعد وبرق .

مع الياء : من يقول - وبرق يجعلون .

فمعظم القراء - هنا - يدغم بغنة ، وروى خلف عن حمزة الإدغام بلاغنة[3]. واتفق القراء على إظهار النون الساكنة إذا اجتمعت مع الياء أو الواو فى كلمة واحدة نحو :

صنوان - الدنيا - بنيان ، خوف التباسه بالمضاعف[4].

(جـ) إدغام بلا غنة : وذلك مع الراء واللام .

مع الراء : من ربهم - من ثمرة رزقا .

مع اللام : فإن لم تفعلوا - هدى للمتقين .

والإدغام مع عدم الغنة محض كامل التشديد ، ومعها غير محض ناقص التشديد من أجل صوت الغنة الموجودة معه ، ويسمى الإدغام فى الحالة الأولى إدغاما كاملا وفى الحالة الثانية إدغاما ناقصا .

---

(١) الضباع : شرح الشاطبية ٩٧ .

(٢) ابن الجزرى : تقريب النشر ٥٣ والضباع : شرح الشاطبية ٩٧ .

(٣) ابن الجزرى : تقريب النشر ٥٣ والضباع : شرح الشاطبية ٩٧ .

(٤) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ٣١ .

الثالث : القلب : هو تحويل الحرف إلى غيره دون إدغامه .

ويتحقق بقلب النون أو التنوين ميما خالصة وإخفائها بغنة دون إدغام ، إذا وقع بعدهما الباء فقط نحو أنبئهم - أن بورك - سميع بصير[١].

وهذا التنافى حكمى الحرفين ، فالنون أو التنوين تقتضى الغنة وهى من الخيشوم ، والباء من الشفتين فحولتا إلى حرف آخر له صفة الغنة وهو من الشفتين وذلك هو الميم[٢].

الرابع : الإخفاء : وهو حالة بين الإدغام والإظهار تبقى معها صفة الغنة[٣].

ويتحقق مع خمسة عشر حرفا جمعت فى أول حروف الكلمات الواردة فى هذا البيت .

صف ذا ثناكم جاد شخص قد سما   دم طيبا زد فى تقى ضع ظالما

مع التاء : كنتم - ومن تاب - جنات تجرى .

مع الثاء : فمن ثقلت - أزواجا ثلاثة .

مع الجيم : أنجيتنا - وإن جنحوا - ولكل جعلنا .

مع الدال : من دابة - عملا دون .

مع الذال : من ذهب - وكيلا ذرية .

مع الزاى : ينزل - من زوال - نفسا زكية .

مع السين : أن سيكون - رجلا سلما .

مع الشين : فمن شهد - غفور شكور .

مع الصاد : ينصركم - ولمن صبر - عملا صالحا .

مع الضاد : منضود - من ضعف .

---

(١) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر٣١ والضباع : شرح الشاطبية ص٩٧ .

(٢) د. نجا : التجويد والأصوات ص ١١١ .

(٣) ابن الجزرى : تقريب النشر ٥٤ والضباع : شرح الشاطبية ٩٨ .

مع الطاء : ينطق - صعيدا طيبا .

مع الظاء : انظر - من ظهير - ظلال ظليلا .

مع الفاء : ينفق - من فضله - خالدًا فيها .

مع القاف : ينقلب - من قرار - بتابع قبلتهم .

مع الكاف : أنكالا - من كل - كتاب كريم[١].

وقد أعطيت حكم الإخفاء نظرا لتوسطها فى المخرج بعضها مع بعض إذ أنها ليست بعيدة بعدا يوجب الإظهار كحروف الحلق ولا قريبة قربا يوجب الإدغام كحروف يرملون ، فأخذت هذا الحكم المتوسط[٢] ويقول البنا الدمياطى : إن الحرف المواقع بعد النون والتنوين إما أن يقرب من مخرجهما جدا أولا الأول واجب الإدغام ، والثانى يبعد جدا أولا ، الأول الإظهار والثانى واجب الإخفاء[٣].

المد والقصر

المد : إطالة الصوت بحروف المد .

والقصر : إبقاء حرف المد على ما فيه من المد الطبيعى[٤] فالمد زيادة والقصر ترك هذه الزيادة[٥] .

والأول يطلق عليه (المد الفرعى) والثانى يطلق عليه (المد الطبيعى) .

فالطبيعى : هو الذى لا تقوم ذات حرف المد إلا به ، وهو يمد بمقدار حركتين مثل : ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

والفرعى : هو المد الزائد على طبيعة الحرف .

ولتفرع المد سببان أحدهما لفظى والثانى معنوى .

---

(١) الضباع : شرح الشاطبية ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) د . نجا : التجويد والأصوات ١١٣ .

(٣) اتحاف فضلاء البشر ٣١ .

(٤) الضباع : شرح الشاطبية ٤٨ .

(٥) ابن الجزرى : تقريب النشر ١٨ .

فالسبب اللفظى : هو وقوع همز أو سكون بعد حرف المد .

فالهمز : له حالتان هما :

١ - أن يتصل الهمز بحرف المد فى كلمة واحدة ، فيسمى المد المتصل مثل : جاء - يشاء - وسيئت - يضىء - من سوء - ثلاثة قروء .

ويمد بمقدار ثلاث حركات إلى ست حسب اختلاف القراء[١] .

٢ - أن ينفصل عنه بوقوع المد فى آخر كلمة والهمز فى أول الكلمة التالية فيسمى (المد المنفصل) مثل : بما أنزل الله - إنما أمره - قالوا آمنا - به إلا الفاسقين ، ويمد بمقدار حركتين إلى ست[٢] .

والسبب فى إطالة صوت المد مع الهمزة أن حرف المد ضعيف خفى والهمز قوى صعب ، فزيد فى المد تقوية للضعيف ، وقيل : ليتمكن من النطق بالهمزة على حقها[٣] .

والسكون : وهو نوعان :

لازم : وهو الذى لا يتغير وقفا ولا وصلا ، فإذا وقع بعد حرف المد حرف ساكن سكونا لازما أطلق على المد - فى هذه الحالة - (مد لازم ضرورى) .

والساكن الواقع بعد المد يكون مظهرا - (مخففا) - حينا ومدغما حينا آخر ، وفى كلتا الحالتين إما أن يكون المد والساكن فى كلمة أو فى حرف فإذا كانا فى كلمة والساكن مظهر (مخفف) أطلق على المد فى هذه الحالة (مد لازم كلمى مظهر (مخفف) مثل قراءة (ومحياى) ساكنة الياء واللايى - عند من أبدل الهمزة ياء وإذا كانا على تلك الحالة فى حرف أطلق على المد (لازم حرفى مظهر) (مخفف) مثل ق - ص - ن . وإذا كانا فى كلمة - والساكن مدغم فالمد لازم كلمى مدغم (مثقل) مثل : الضالين - دابة - تأمرونى أعبد وإذا كانا فى حرف والساكن مدغم فالمد لازم حرفى مدغم (مثقل) مثل (الم) - (حم) .

---

(١) د. نجا : التجويد والأصوات ١١٧ - ١١٨ .

(٢) السابق ١١٨ .

(٣) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ٣٧ .

النوع الثانى للسكون : السكون العارض : وهو الذى يعرض للوقف أو الإدغام فإذا وقع بعد[1] حرف المد حرف ساكن سكونا عارضا فالمد فى تلك الحالة (مد فرعى عارض للسكون) .

فمثال العارض للوقف : العباد - الحساب - الرحمن - نستعين حال الوقف .

ومثال العارض للإدغام : قال لهم - الرحيم مالك . ويسمى هذا النوع عارضا لأن حكمه يزول بالوصل أو ترك الإدغام .

والمد العارض يعامل معاملة المد اللازم وإن اختلف فيه القراء[2].

السبب الثانى لتفرع المد : هو السبب المعنوى .

وله مظاهر منها .

قصد المبالغة أو التعظيم كقولنا : ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ﴾ .

ويسمى (مد التعظيم ومد المبالغة) لأنه طلب للمبالغة فى نفى الألوهية عن سوى الله تعالى .

وهذا النوع الثانى من المد الفرعى مقصود للعرب لكنه أضعف من المد الناشىء عن السبب اللفظى عند القراء .

* * *

(١) البنا الدمياطى : اتحاف فضلاء البشر ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ٤١ .

أهم المصـــادر

(أ) مصادر قديمة :

– **أحمد بن فارس** : الصاحبى فى فقه اللغة . ط المؤيد ١٣٢٨ هـ – ١٩١٠ م وبيروت ١٣٨٢هـ – ١٩٦٤م .

– **أحمد بن محمد بن أحمد (الشهير بالبنا) الدمياطى** : اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ط ١٣٥٩هـ .

– **الخليل بن أحمد الفراهيدى** : العين جـ ١ بتحقيق الدكتور عبد الله درويش ط بغداد ١٣٨٦هـ – ١٩٦٢ م .

– **خالد زين الدين بن عبد الله (الأزهرى)** : شرح التصريح ومعه حاشية الشيخ يس زين الدين . ط دار إحياء الكتب العربية والمطبعة الأزهرية ١٣٢٠هـ .

– **عبد الرحمن بن جلال الدين بن أبى بكر (السيوطى)** : المزهر . ط الأولى ١٢٨٢هـ .

– **عبد الله الحسينى** : شرح الشافية . المطبعة العامرية ١٣١١هـ .

– **عثمان بن جنى (أبو الفتح)** : الخصائص . ط دار الكتب ١٣٧١هـ – ١٣٧٦هـ ، وسر صناعة الإعراب جـ ١ ط ١٣٧٥هـ ، جـ ٢ مخطوطة دار الكتب ٨١٦هـ ، والمحتسب . ط دار التحرير ١٣٨٦هـ .

– **على بن محمد الأشمونى** : منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ومعه حاشية الشيخ محمد بن على الصبان . ط دار إحياء الكتب العربية .

– **عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)** : الكتاب . ط بولاق ١٩١٦ ، ١٩١٧م وبتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . ط دار القلم ودار الكتاب العربى .

– **محمد بن الحسن (الرضى الاستراباذى)** : شرح الشافية . ط حجازى بتحقيق الأستاذ محمد نور الحسن وآخرين .

– **محمد بن محمد بن يوسف (ابن الجزرى)** : النشر فى القراءات العشر . ط مصطفى الحلبى بتحقيق الشيخ الضباع ، وتقريب النشر له . ط الأولى ١٣٨١هـ – ١٩٦١م .

(ب) مصادر حديثة :

– **إبراهيم أنيس (دكتور)** : الأصوات اللغوية . ط ١٩٦١م ، ومن أسرار اللغة . ط الأولى ١٩٥١م ، وموسيقى الشعر . ط الأنجلو المصرية ١٩٦٥م .

- إبراهيم السامرائى (دكتور) : دراسات فى اللغة . ط بغداد ١٩٦١م .
- ابراهيم نجا (دكتور) : التجويد والأصوات . ط السعادة ، والمعاجم اللغوية ط ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .
- أحمد مختار عمر (دكتور) : دراسة الصوت اللغوى . ط الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- سرجستراسر : التطور النحوى . ط ١٩٢٩م .
- تمام حسان (دكتور) : مناهج البحث فى اللغة . ط ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- جان كانتنيو : دروس فى علم أصوات العربية . تعريب صالح القرمادى . نشر الجامعة التونسية .
- صبحى الصالح (دكتور) : دراسات فى فقه اللغة . ط بيروت ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- عبد الرحمن أيوب (دكتور) : أصوات اللغة . ط دار التأليف الطبعة الأولى .
- عبد الصبور شاهين (دكتور) : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث . ط دار القلم ١٩٦٦م .
- عبد الله أمين : الاشتقاق . ط لجنة التأليف ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- عبد الغفار هلال (دكتور) : الأصوات اللغوية فى لهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى : بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السابع ، وأبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى . ط الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- عبد الله العلايلى : مقدمة لدرس لغة العرب . المطبعة العصرية .
- على عبد الواحد وافى (دكتور) : علم اللغة ط١٣٨٧هـ - ١٩٦٢ ، وفقه اللغة . ط ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- فندريس : اللغة . تعريب الأستاذين الدواخلى والقصاص . ط ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م .
- كمال محمد بشر (دكتور) : دراسات فى علم اللغة . ط ١٩٧١م وعلم اللغة العام : القسم الثانى (الأصوات) ط ١٩٧٠م .
- محمد المبارك (دكتور) : فقه اللغة . جامعة دمشق ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
- مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب جـ١ مطبعة الأخبار ١٩١١م .

* * *

فهرس الكتاب

الصفحة

الصفحة

الباب الرابع
التجويد
(٢٤٨ـ٢٦١)

* * *

رقـــم الايـــداع : ٩٩٩٥ / ١٩٩٥

الترقيم الدولى 41 - 0155 - 00 -977